# بلاغة النساءِ في القرن العشرين

تأليف

فتحية محمد

الكتاب:بلاغة النساء في القرن العشرين

الكاتب:فتحية مُحَمَّد

الطبعة: ٢٠٢٢

الناشر: وكالة الصحافة العربية ( ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة - جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ ــ ٣٥٨٦٧٥٧٦ ــ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www. bookapa.com E-mail: info@bookapa.com



دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

مُحَمَّد،فتحية

بلاغة النساء في القرن العشرين/ فتحية مُحَمَّد

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

١٧٩ ص، ١٨*٢١سم.

الترقيم الدولى: ١ – ٥٠٨ – ٩٩١ – ٩٧٧– ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ١٠١٥٤ / ٢٠٢٢

# بلاغة النساء في القرن العشرين

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

# ملك حفني ناصف

## مؤسسة النهضة النسوية بمصر

مجد الدين حفني ناصف

هي كبرى أخواتها على الإطلاق. ولدت بالقاهرة سنة ١٨٨٦، أبوها حفني ناصف بك الذي كان مفتش أول بوزارة المعارف وسكرتيرًا للنائب العمومي وقد أسماها باسمها؛ تيمنًا باسم السلطانة "ملك" التي كانت تزف في نفس اليوم إلى "السلطان حسين كامل".

### التعلم والتعليم

نظرًا لتنقل أبيها قاضيًا في أرياف القطر دخلت المدرسة السنية بالقسم الداخلي. وقبل هذه المدة لم تكن بنات هذه المدرسة تتبعن تعليمًا نظاميًّا، بل كن يتنقلن من فرقة إلى فرقة ثم يبقين في المدرسة إلى ما شاء الله وشاء آباؤهن وكان أكثر الطالبات من بنات الفقراء. ولذلك، بدأ الجمهور لا ينظر بعين الارتياح إلى دخولها المدرسة من تعليم البنت على إطلاقه.

وحينما وصلت إلى السنة الرابعة، أرادت وزارة المعارف عمل تجربة وهي مساواة البنات والبنين في الامتحانات العامة، فسمحت للتلميذات بدخول امتحان الشهادة الإبتدائية سنة ١٩٠٠ فكانت أولى الناجحات وأعدت الوزارة قسمًا للمعلمات مدته ٣ سنوات للتعلم و٢ للتعليم، فاجتازت الدبلوم ومدة

التمرين وكانت أولى زميلاتها بتفوق في بعض المواد؛ جعل الوزارة تعهد إليها بتلقين هذه المواد في نفس الفرقة في العام التالي، وعينت مدرسة بقسم المعلمات عينه وخرجت من المدرسة سنة ١٩٠٧م للزواج.

وكان نجاحها المطرد مشجعًا للآباء على "المخاطرة" بتعليم بناتهم في تلك المدرسة.وأذكر أن "ملك" كانت تطوف منازل صاحباتها ومعارفها لتقنعهن بإرسال بناتهن إلى المدرسة تحت مراقبتها الخاصة، ولذلك خرج بخروجها منها كثيرات منهن لعدم اكتمال الثقة بالمدرسة لذاتها إلى ذلك التاريخ.

وأظن أن معاصرينا لم ينسوا بعد كيف أن الإصلاحات التي جرت في نظم المدارس وبرامجها راجع أغلبها إلى مقترحات المترجمة التي نشأ حب الإصلاح لبنات جنسها معها. وهي غريزة ظهرت في شعرها الأول الذي نشره لها "المؤيد" في قصيدة مطلعها:

بشرى لمصر فقد نالت أمانيها وأنجح الله بالحسنى مساعيها

التي ذكرت فيها أن النساء "مساوين للرجال" ولم يكن عمرها إذ ذاك أكثر من ١٣ سنة، وكانت الباحثة تجيد اللغتين الإنجليزية والفرنسية وتعرف شيئًا عن اللغات الأخرى وذكرت ذلك عن اطلاعها وأبحاثها في إلاجتماع والفلسفة وعن خلقها وأدبها (**Mrs. Charlotte Cameroon**)، عضوية الجمعية الجغرافية الملوكية بلندن في كتابها **A Women's winter in Africa** تحت عنوان بورسعيد.

وكانت تتلقى الأدب العربي حتى حفظت ثمين الشعر العربي معنى ومبنى، فجمعت بقراءاتها المختلفة بين العقليتين العربية والإفرنجية وكونت لها منهما مذهبًا وسطًا كنا أحوج ما نكون إليه للبدء في حياتنا الجديدة. واقتصرت

سياحات الباحثة على بعض الممالك الإسلامية مثل تركيا أوروبا وآسيا الصغرى وكانت تتوق إلى عمل سياحة في الشرق الأقصى ولكن عاجلتها منيتها قبل القيام بها.

## الحياة العائلية

كان أبوها يطوف البلاد بمقتضى مهنته في القضاء، وكانت أمها مريضة متقاعدة، فتولت هي القيام بكل أعمال المنزل. كانت منذ صغرها تجمعنا حولها، فتقص علينا ما جمعته من معلومات وتنشدنا ما حفظته من شعر؛ فهي وحدها واضعة الحجر الأول في تربيتنا الأدبية عن غير قصد في صغرها وعن كل القصد وهي كبيرة. وإني في هذا الباب اعترف لها قبل والدي بالفضل. وإذا كان قد انتقل منها إلينا شيء من "عدوى" التعلق بالأدب والفن "فليس الخطأ خطأنا" وإنما "التبعة" واقعة عليها لا محالة.

وكنت أشعر أني أقرب أخوتها إليها وأخصهم بعنايتها وأنا بالمثل أكثرهم ذكرًا لها ولا أزال كلما ذكرت أمامي تصيبني سهام من الآلام في أعماق قلبي.

ومن الغريب أن أبانا كان يميل إلى "تدليلها" ولكنها كانت باستمرار بسيطة الملبس، قليلة الطلبات الخاصة على غير عهدي بالفتيات. ولم يكن ذلك عن تكلف، فقد بقيت طنافس حفلة العرس وتحفه لم تمسسها حتى توفيت.

وكانت على كثرة صواحباتها من الطبقة العليا تتأذى من مجاراتهن في بعض العادات وتفضل الاختلاط بالطبقة الوسطى وتحن إلى الطبقة الدنيا، وطالما أعالت منهن معوزة أو عالجت مريضة أو أقالت عثرة بما كانت تعطي من خبز أو رأي أو مال. كما كانت عذبة الحديث، حلوة العِشرة تخاطب كل شخص على قدر عقليته وتلبس له لبوسه. وقد أشارت إلى ذلك الأديبة الفنانة) الآنسة

مي (في كتابها الصغير الجليل في ترجمة الفقيدة) على ما أذكر.

## الحياة الزوجية

يرى المرحومان والدي وشقيقتي رأينا في إعطاء الفتاة حريتها التامة في الموافقة على اختيار الزوج؛ لأنه هو الذي سيشاركها حياتها ويريان التريث في الاختيار حتى يختار المرء لنفسه زوجًا يلائمه كل الملاءمة في الطبع والعقلية ووجهة النظر في معنى الحياة.

قد يكون كل من الزوجين نبيلًا في ذاته ولكن لا تلاؤم بينه وزوجه على أن كثيرًا من الناس يختلفون في وجهة النظر وفي التقدير، فيفهم أناس من الامر الواحد ما يفهم عكسه آخرون.

هذا رأيي.. وكان دائمًا رأي والدي وشقيقتي ولكن قوة لا نعرفها تنكبت بنا هذا النهج، فحصل التعارف بين عائلتنا وعائلة زوجها وحصلت الخطوبة والزواج وكل ذلك في نحو شهر من الزمان، والظاهر أن صداقتنا التي لا حد لها بالمرحوم (الشيخ عبد الكريم سلمان) جعلتنا نرى بعينه ونسمع بأذنه، قدم لنا صديقنا الأستاذ هذا الخاطب على أنه شاب نبيل، لم يتزوج ولم يلد، معافى، حديث النزعة، يجيد الفرنسية، كثير المعارف، قليل الدَين رقيق المعاملة ، عادل في بيته ، مستطاع معاشرة الأهل ، قابل للحياة المنزلية، ذو كلمة واحدة، نزيه، حي الضمير، هكذا قدم لنا الشيخ عبد الكريم سلمان حضرة "شيخ العرب" عبد الستار بك الباسل، رئيس قبيلة الرماح، فوصل إلى أذن الفتاة بهذه الأوصاف إلى المثل الأعلى للزوج الذي كانت تطلب واتسع أمام مخيلتها فضاء الخيال وقدرت أنه سيكون لها منه غلام تكمل له ما يرثه من صفات أبيه.. بما تورثه إياه منصفاتها وأنها ستكون لا محالة "أم المؤمنين".

## كل جديد وله فرحة

انقضت هذه الفرحة في نهاية شهر العسل، ليس غير لأن حضرة العربي الصميم بدأ يفهم زوجته "الجديدة"؛ أنه سبقها إليه زوجة أخرى. وبعد أخذ ورد، بقيا زمانًا وطلق زوجته القديمة رسميًّا ولكن مسكنها، باعتبارها ابنة عمه، لم يكن بعيدًا عن مسكن ملك. وإني أستطيع أن أتصور الفزع الذي كان يتولى فتاتنا الناعمة الأليفة حينما ترى أحكام الروابط بين الزوجين القديمين خاضعًا "لقوانين بدوية" من المستحيل معها إقصاء هذه القريبة إقصاء تامًا باعتبارها مطلقة.

وبينما هي منشغلة البال، إذ فاجأها بابنة له منها كان أمرها مخفيًا كذلك. وأنا الآن لا أستطيع أن أتصور شعور زوجة مطمئنة مستسلمة ترى كل يوم مفاجأة جديدة، غير أنه أمام هذا الأمر الواقع استقرت على أن تعاملها كما تعامل ابنة لها؛ (شفقة على البنت المقصية عن أمها غصبًا) قوانين بدوية أيضا (وحرصًا على شعور الزوج)، فصارت تحيك لها لباسها بنفسها مع أن ذلك ميسور بأجر زهيد في الخارج وصارت تمرضها وتحاول أن تعلمها مبدأ النظام في التعليم وفي الحياة. وأظن أن هذه أول تلميذاتها أخفقت في تعليمها لما كان في نفس الفتاة من الشعور الغريب.. أنا لا أريد أن أصف كيف أن هذه الطفلة كانت سببًا في تنغيص دائم لامرأة أبيها الصبورة ولكني أتمسك بمركزها لأمر واحد أثر في مجرى حياة الزوجين تأثيرًا معكوسًا؛ ذلك أن ملك لم يكن لها من زوجها ولد، فكان وجود الفتاة دليلًا على أن العقم لابد أن يكون من جهة الزوجة. بدأ الزوج يؤنب زوجته صباح مساء ويرسل لها كل ساعة من قريباته من تهددها بقرب حصول زواج جديد؛ لأن هذا الرئيس الجليل صاحب الضياع والإقطاعات لابد له من ولي عهد يحفظ اسم أبيه، وزاد حيرة الباحثة أن الأطباء

أخبروها أنها على أتم ما تكون المرأة من صحة. وأخيرًا اضطرها زوجها الجريء أن تعمل عملية "إن لم تنفع لا تضر" ولكنها لم تنفع وأضرتها طول حياتها. وما زال الكل بها تنغيصًا وإيلامًا حتى سافرت إلى الأستانة سنة ١٩١١ وهناك عرضت نفسها على اختصاصي أكد لها عكس ما أخبرها به زوجها. فما زلت بها حتى أقنعتها وساعدتني– بمجرد حضور– عبد الستار بك إليها– فأظهر الكيميائي أن الزوج مكابر، فلما كلمناه اعترف وقال: لهذا رفضت أن أطيعكم في عرض نفسي على الأطباء ومعامل التحليل. وسر المسألة أنه بعد ولادة هذه الفتاة سافر إلى أوروبا وطال مكثه بها غير ملتفت إلى صحته، حتى "زلت به الظروف" وأجريت له عملية أخبره الطبيب بعدها أنه كان يهمه أن يكون به ولد، فما عليه إلا أن يحافظ على ابنته تلك وهذا كل شيء فلن يكون في استطاعته الحصول على غيرها. أقر بكل هذا فأسقط في يدها وساءت حالها بعد ما تحملت من الإهانات والآلام ما كان غيرها أجدر به. وبعد ذلك تمكنت من توطين نفسها على مسامحته. هذه هي قصة عقمها المزعومة المستدل عليها بوجود فتاة للزوج.

لقد تحملت الباحثة في بيت زوجها ما لم يتحمله الأجانب في القرون الوسطى، فكم أهملت الباحثة المسكينة في ركن مهدود من دوارها يحده من ناحية أرض مزروعة ومن الناحية المقابلة صحراء مسيرتها خمسة أيام دون المعمور طالما أهملها زوجها لا تراه رأي العين مرة في كل ثلاثة شهور لأنه كان مشغولًا عنها. وكانت كلما صممت على السفر للقاهرة طلبا للراحة، أرسلوا إليها عشرة من أولادهم تمرض واحدًا وتعلم آخر وتجهز الثالث، وهكذا غير مشكورة من أحد مما لم يتحمله عبيد الرومان.

## إبكوا معنا أيها السادة

لقد عاد الزوج بعد غيبة طويلة في القاهرة ومن حسن الحظ أني " في نفس الوقت" عثرت في ركن على زجاجة دواء، فناديت أختي هل تعرف فيما يستعمل، فقالت إن زوجها أخبرها أنه علاج الرطوبة "لا أكثر" ولولا تدخلي في الموضوع بكل صراحة وبكل سرعة لأصاب شقيقتي ما أصابه. وكم كان يلبسها من العار إزاء تصرف بعيدا عن النزاهة والضمير إلى هذا الحد .. وما كان يقول عنها الناس: اللهم لطفا "فيا للنساء من الرجال"، كما كانت تقول.

حدث أثناء الحرب الكبرى أن زوجها سافر إلى طرابلس، على أن يعود في شهر أو بعض شهر، فحبس هناك زهاء سنة باعتبار أنه جاسوس للإنجليز موفد من قبلهم ولم يفرج عنه إلا عندما بدأت هدنة بين هذين الطرفين حينذاك أخلى سبيله وكوفئ. ولا تسل عما كان لهذا الحادثة من وقع في حياة الزوجية المضطربة التي فوجئت بهذا الخبر بعد أن انقطعت عنها أخباره وبعد أن عانت في إدارة عمله الخاص ما عانت وإن كانت تقول إنها تستسهل كل صعب وتستمرئ كل مر؛ لأن زوجها يلاقي ما يلاقي في سبيل الوطن.. مرحى مرحى.. ولا يزال على قيد الحياة عدول يذكرون هذه الحوادث وأمثالها كثير.

لقد كان هذا الشجاع يحتقر الحياة المنزلية فعلا وقولا؛ فقد سمعته يقول إن العرب (كذا) يعتبرون المرأة ... لا أكثر.

أما بقية صفات الزوج التي قيل لها، فقد يراها البعض ولكن الشهيدة رحمها الله لم تتوصل إلى اجتلاء مزاياها. ولقد سمعتها بأذني تتكلم بما يفتت الاكباد ثم بدأت تهرف ثم سكتت وماتت كل ذلك في ٣ أو ٤ أيام .

كان بعض معارفها يظن أنها تحملت هذه الآلام في سبيل ثروة الزوج،

والحقيقة أن هذه الضياع "والفيافي" كان أغلبها مرهونًا؛ وهو لم يكن بمقتضى القوانين البدوية يطلق لمن في بيته حرية التصرف، بل هو يفهم راحة الزوجة في أن يكدس البيت بما يختاره لها من ملبس ومأكل ويقول "أنت لست بالجوعانة ولا بالعريانة إذا لا ينقصك شيء".

وكان واحدة في العالم تجوع وتتعرى. إن زوجة الغني لا تأكل ثلاثة أمثال ما تأكله زوجة الفقير ورأيي أن توافر المأكل والملبس من الأمور الأولية التي ليست مفخرة للزوج.

ولولا مالها الخاص لازدادت قلقًا، فإنه كان لديها ما يكفيها لنفسها وللصدمات العديدة التي كانت تعلمها. وقد ماتت الزوجة المسكينة في حياة أبيها المريض صاحب العائلة العريضة المشتتة، فورثها صاحب الضياع في النصف بحكم الشرع، حتى في الكتب التي ربما لم يكن من فائدته الحقيقية التمسك بإبقائها. وقد أردت يومًا أن أبحث عن بعض شعرها وصورها وأوراقها، فوعدني الزوج بذلك ولكني عند الذهاب منعت من ذلك ولا أدري إذا كان هذا المنع بحكم الشرع أيضًا أم بمقتضى "القوانين البدوية". أتخيل أن القارئات والقارئين بعد أن يتنفسوا الصعداء سيتساءلون ولماذا تحملت المسكينة كل هذا؟ أقول: وما كانت عساها تفعل؟ هل كانت تستطيع بحكم الشرع أن تطلق نفسها، وهل كان يتاح لها إفهام الجماهير المتسائلة التي ترى من واجبها في مصر التدخل فيما لا يعنيها؟. أم أن الغالب في مصر أن كل انفصال يحدث فالزوجة هي المخطئة. نفسية هذا الشعب هكذا ولا أريد أن أنبئك بالدسائس التي كان يلقيها البعض حسدًا لها على هذا الزوج المختار، فصرت أذكر قول القائل حتى على الموت لا تخلو من الحسد (هذا هو النظام الاجتماعي في مصر وهو الذي جعلني أمقته، فإن ضحايا النساء منه كثيرة وسأجاهد ما حييت مع "المجاهدات"

حتى تنال المرأة المستضعفة شيئًا من حريتها رضيَ الرجال أم لم يرضوا.

أقول يجب على الحكومة إصلاح القوانين لصالح المرأة خوف خراب البيوت العاجل.على أن المرحومة- بجانب هذا وذاك- كانت تخشى على سمعة المتعلمات وتظن أن يقال إنهن لا يصلحن إلا للكلام الفارغ وأن أولى المتعلمات أعطيت ملكًا، فلم تحسن سياسته "فيا للعدل ويا لسعادة العائلة".

## الحياة العامة

نشر من زمان ديوان شعر لعائشة التيمورية والدر المنثور لـ(زينب فواز) ولم يكن لما نسميه بالنهضة النسوية مظهر ما ولا خطر لرجل أن زوبعة ستقوم، فتحدث جذور الرجعية وما وليها مما انهدم معه في العهد السابق الركن الركين للعائلة وهو "السعادة المنزلية"، فكانت "الباحثة" مؤسسة هذه الحركات بلا منازع؛ فهي أول من كتبت في الجرائد وخطبت ومثلت النساء في المؤتمرات وأول من أسست جمعيات نسائية تهذيبية.

وإذا لم تخني ذاكرتي، فإن أول ما نشرت من المقالات (لا من الشعر الذي أقرضته في الثالثة عشر من عمرها) واحدة في "الجريدة" اقترحت فيها بناء مدفن للعظماء على شاكلة (البانثيون) في باريس والوستمنستر أبي (في لندن). وأذكر أن الشيخ رشيد رضا زعم أن من كتب المقال لابد أن يكون "باحثًا بالحاضرة" ولعله استبعد هذا الاستعداد على امرأة تسكن البادية. ثم بدأت بعد ذلك تكتب في الجريدة دائمًا وفي غيرها أحيانًا مقالات بعنوان "النسائيات". وإن سألتموني لماذا كان تأثير كتابات ملك فعالا في الجمهور كاسباً لعطفهم، خلافًا لكتابات أخرى لم يكن لها الأثر المطلوب أجبتكم في غير تردد أن هذا النوع من الحياة الزوجية مضافًا إلى مزاجها العاطفي كانا يؤثران على فؤادها حتى أصبحت أكثر مقالاتها وقائع أحوال فاضت بها ضلوعها كتبتها كما هي ولم تزد عليها إلا

ما يكفي لإقصاء ذهن القارئ عن ارتباط ذلك بشخصيتها الحائرة.

وعلى كل حال، فكتاباتها نتيجة لتجارب وليست اجتهادات أو منقولات نظرية. لهذا لم يلبث أن قدرها الرجال جميعًا قديمهم وحديثهم، ولهذا سرت كهرباء روحها الطائرة إلى كثير من الفتيات بلا عناء أو تكلف، فأحسن تقريظ كتابها المتدينون والمتفرجون في وقت واحد وهذا أبلغ مدح.

وقد انتهزت عقد مؤتمر مصري عام في هليوبوليس سنة ١٩١١م جمع كل الطوائف المصرية تحت رئاسة رياض باشا الكبير وأرسلت في الحال طلباتها، فإنه عز عليها أن يكون نصف الأمة مهملًا إلى هذا الحد. ويذكر حاضر والمؤتمر كيف كان الهتاف عاليًا عندما ذكر اسمها في هذا الجمع لأول مرة. وما أكثر ثقتها ببنات جنسها وبنفسها حينما وضعت في آخر الطلبات مادة: "على الرجال تنفيذ بروجرامنا هذا" (تقرير المؤتمر المصري في هليوبوليس) سنة ١٩١١.

ثم إنها جمعت مئات من السيدات مرة في دار "الجريدة" ومرة في "الجامعة" وخطبت فيهن خطبتين ظهر فيهما العدل والاعتدال في نفس الوقت الذي ظهر فيه حرصها على جنسها وإجهاد نفسها للبحث عما يهمها من الأمور (كتاب النسائيات جزء أول) وأسست "اتحاد النساء التهذيبي" ووضعت برجرامًا مشغل هام لم تتمكن من تنفيذه وجمعت كثيرًا من التبرعات لمنكوبي طرابلس واشتغلت بصنع الخير حتى ماتت.

وآخر ما قامت به مدرسة في بيتها لتعليم التمريض بمناسبة الحرب الكبرى وقد حاكت بيدها ١٠٠ بدلة كاملة للهلال الأحمر المصري.

أما في الخارج، فكان لها صاحبات وكاتبات كثيرات ولها من رسائل نرجو أن

نتوفق لنشرها، وقد أطنبت في مدحها (شرلوت كمرون) في كتابها المذكور آنفا وكذلك Elizabeth Cooper الأمريكية التي أهدت إليها كتابها "المرأة المصرية" (The Egyptian Women) وفيه كلام كثير لا يقره المصريون. ولكن على الرغم من هذه الآراء، فالمؤلفة اعترفت أن "الباحثة" أفادتها وصححت لها كثيرًا من مخاطئ رأيها عن المصريات.

وقد اشتغلت "ملك" بالسياسة ولها مقال كله حماس نشر في جريدة الشعب عن زينب البرعصية التي خلصت موقفًا من الطليان بكلمة حماسية قالتها. ولها قصيدة عند نشر قانون المطبوعات مطلعها:

يا أمــة نشــرت منظومهــا الغــير    حتــام صــبر ونار الشــر تســتمر

مــاذا تقولـون في ضـيم يـراد بكـم    حـــتى كـــأنكم الأوتاد والحمـــر

كل هذه الأعمال من مجهودها الفردي غير معتمدة على مال ولا جاه؛ فهي لم تعتمد فيه إلا على عقلها وقلبها لم تكن ابنة لأمير ولا زوجة لكبير ولكنها أعملت الفكر وبدأت ثم استمرت. ولو رأت ما تقوم به المرأة المصرية اليوم، لطابت نفسًا واطمأنت في مرقدها الأخير.

وكانـت الباحثـة متدينـة وكانـت ترتـب كثـيرًا مـن الإعـلانات للفقـيرات مـن مالهـا الخاص في غير زهو ولا إعلان وتعني بإرشادهن إلى النظافة والتعليم، حتى غيرت كثيرًا من عادات البدو؛ فهي كما قال حافظ في رثائها:

سادت على أهل القصور وسودت    أهـــــــــــــل الـــــــــــــوبر

فلها مقدار ذلك كله من الفضل.

## الوفاة

لست من عشاق الخرافات والنبوءات، ولكني أرجع إلى حكاية وقعت في صغرها. ذلك أن إحدى معلماتها الآنجليزيات كانت تقرأ لها كفها، فتنبأت لها بمركز ممتاز في العلم والأدب، حتى إذا وصلت إلى أول العقد والرابع شهقت فجأة ولم تشأ أن تزيد شيئًا. كان مقدرًا للباحثة بالفعل أن تكون عظيمة نافعة وأن تموت شابة، ولكنها قبل وفاتها علمت كثيرًا من الفتيات واشتغلت بالنسائيات ١٢ عامًا تقريبًا، وهي مدة زواجها. ولذا كان لديها الوقت الكافي في تدعيم الأساس.

أما وفاتها، فكانت هكذا: كنت متهمًا بتهريب ضابط سجين وفد إلى مصر وكان في حكم المقرر أن يحكم علي "بالإعدام" وكانت ملك مريضة بالحمى في سفح الجبل ومحتمًا ألا تتحرك، ولكنها أسرعت بالحضور إلى القاهرة لتراني، فكان لابد لها من ركوب ٣ قطارات و٣ عربات جاءت محمومة مالكة لكل قواها حتى أفرج عني. فلم أمت ولم أحبس، فأصبحت متهللة مستبشرة. ولكنها في اليوم التالي زادت عليها الحمى، فبدأت تهرف ثم خفت صوتها وذبلت وماتت كل ذلك في أربعة أيام، وكان ذلك في صباح ١٢ أكتوبر سنة ١٩٠٨ في سن ٣٣ سنة.

## الباكون والباكيات

وقد تبعتها في مشهدها كثيرات من الكبيرات وكانت شرفات المنازل في الطريق المؤدي إلى المدفن مكللة بالسواد، غاصة بالباكيات والمولولات من تلميذاتها وصديقاتها وعارفات فضلها. وهي راقدة الآن بمدفن العائلة بالإمام الشافعي.

وقد اجتمعت طائفة من النساء لتأبينها في الجامعة برئاسة السيدة الجليلة

هدى شعراوي باشا. واجتمعت كذلك طائفة من الأدباء لتأبينها يوم الأربعين في نفس القاعة التي حاضرت فيها وكان والدي متعبًا سقيمًا من أثر الصدمة التي أصابته عند القبض علي، ولكن قوته بدأت تعاوده. فلما سمع في الجامعة من المراثي ما سمع، تأثر وعاد لينام فاختبأ في غطائه وأخذ يبكي، فعاوده المرض ومات بعد ذلك بأيام.

وإني لحائر في أمري كلما تخيلت أن واضع هذه الترجمة يمكن أن يكون سببًا ولو غير مباشر في التعجيل على حياة اثنين هما من أركان النهضة الأدبية والاجتماعية في مصر، ربما كانا فذين في نوعهما إلى الآن. فأنا أسألكم: أبإقدامي على ما أقدمت عليه باذلًا روحي على مذبح التضحية، هل كان من الممكن أن أفكر في أن الظروف ستغير الزمان على هذين الحملين الوديعين في مكانهما؟ وهل ما أقدمت عليه من شأنه أن يعمي بصري عن كل تقدير آخر؟

هذا ما لم أفكر فيه وما لم يخطر لي ببال، وهذا ما أرجو أن أعرضه من قارئ عادل.

اللهم إن كنت لهذا مجرمًا، فجازني "في نفسي" أصرم الجزاء، وإن لم أكن مخطئًا، فارفع مقتك وغضبك عني ولا تحملني ما لا طاقة لي بحمله. وأزح عني شبح هذه الصورة المخيفة وأخرجه من رأسي اليابس ثم عوضني فقدهما خيرًا وقدرني أن أنشر ما بقي لي من أعمالها) بعد أن تناولته أيدي البوليس بالعبث والتشتيت إبان الثورة؛ حفظًا لتاريخهما واعترافًا لهما بالفضل.

## الحركة النسائية بعد وفاة مؤسستها

وكانت الباحثة إذا عقدت اجتماعًا أو قامت بعمل تتخلى عن الرئاسة أو الزعامة فيه لغيرها وهي تشتغل في الجوهر. ولذلك كان لها صواحبات ومحبات

كثيرات، منهن السيدة هدى هانم شعراوي التي كانت أول من أقبلت على اجتماعاتها واعترفت لها بالفضل. وقد رأست هدى احتفال التأبين الذي أقامته السيدات في الجامعة وطلبت من إدارتها إنشاء قاعة للتدريس باسم "ملك" تصدر برسمها تخليدًا لأثرها بصفتها أول متعلمة وأول معلمة ومؤسسة هذا الانقلاب الاجتماعي الكبير ووعدت بمائة وخمسين جنيهًا عن كل سنة لمساعدة هذا المشروع. ولكن الجامعة طلبت المزيد ووقف المشروع الجليل الذي هو أقل ما يعمل لباحثة البادية.

على كل حال، أصبحت هدى شعراوي زعيمة النساء في مصر اليوم؛ فإن لها من ضروب الشجاعة وحسن التدبير في حشمة ووقار ما يرقى بها إلى أعلى مراتب الزعماء.

وسأتكلم عن النهضة النسوية بعد وفاة الباحثة مع شخص السيدة هدى لأنها رئيسة جميع الهيئات المحترمة النسوية في مصر.

ولا شك في أن معها طائفة صالحة من النساء سيقوين ساعدها إن شاء الله وسنفرد بابًا لترجمة كل من تأتي منهن بعمل يستحق ذلك عند حصول ذلك.

وإني لأرجو أن يتوصل سيداتنا، ورئيستهن الفاضلة العاملة، إلى تقريب مسافة التفاضل بين الجنسين والنهوض بالفتيات نهوضًا حقيقيًا خاليًا من المظاهر ومن التقليد غير المفكر. وهن كذلك فاعلات بإذن الله.

## المختار من نثرها

## المرأة المصرية والمرأة الغربية

### الدور الأول - المولودة:

إن حالنا الآن عند تبشير أحدنا بالأنثى، شديد المشابهة لحال الجاهلية

الأولى. ولم أر نقصًا عنهم شيئًا في ذلك إلا الوأد، قال تعالى: "وإذا بشر أحدهم بالنثى ظل وجهه مسودًا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب إلا ساء ما يحكمون". وإن الانقباض الذي نظهره عند مستهل الأنثى، يوثر في الطفلة رضوخًا إلى الذلة، فتشب الفتاة واجدة الفرق العظيم بينها وبين أخيها، فتعتقد في نفسها أنها أحط شأنًا وأدنى مرتبة، فلا تطلب من المعالي ما يطلبه أخوها ولا تنبسط نفسها إلى ما يرفع شأنها وجنسها وتضع نفسها حيث نضعها.

وليت شعري لم نكره ولادة الأنثى وهي نصف الإنسان وأمه وزوجه وابنته. إلا يصح أن تكون الفتاة نافعة كالفتى؟ ألا يرجع الفضل في تدبير عيش الرجل لها، ألم تكن في كثير من الأحيان سبب سعادته وموضع أمله؟ وكيف نهمل تعاليم ديننا الحنيف في هذه المسألة ويتبعها أكثر الغربيين؟ فإن أممهم، خصوصًا الشمالية منها، يتساوى عندها الذكر والأنثى وقد يملكون عليهم فتاة فيهم من يفضلها علمًا وتجربة وحذقًا يبرر الشرقيون ومن حذا حذوهم جزعهم هذا، بأن الذكر يحفظ اسم (العائلة) ويرث مالها ولقبها. ولكن كم والد مات ذكره بموته وإن العمل وحده عليه حياة الذكر أو فناؤه. هل رفع الله الآنبياء ـ عليهم السلام ـ درجات على الناس بأعمالهم أو بأبنائهم ومنهم من لم يتزوج ومنهم من عقه أبناؤه، أم كان أبو العلاء المعري أبا ذرية أحيت اسمه وهو الذي يعد الزواج والذرية جناية؟ وهل يغني الولد عن الأبوين شيئًا إذا كان لا يخاف حشرجة الموت، فالبنت والصبي سيان قرة عين الوالد في حياته ولا يدري ماذا يفعلان بعد مماته. وهل إذا ورث الفتى ثروة بددها يعد حافظًا غنى أسرته، أم إذا ولد لأحدهم ذكور ضمن لهم الحياة مخلدين؟!.

## الدور الثاني - دور الطفولية:

في هذا الدور تميز الصبي عن البنت في أمور شتى مع أن الغربيين لا يفرقون البتة بينهما. فضلا عن أنهم يوفونهما حقهما من التربية والعناية بحيث إذا فضلنا الذكر قليلا، فلا نزال مقصرين نحو العناية به. فما بالكن بالأنثى ترضع المرأة الغربية طفلها بنفسها وتنظفه، اللهم إلا فئة العاملات اللاتي يضطرهن الفقر إلى الاشتغال في المصانع والحوانيت وترك أطفالهن في مربى الأطفال بالأجرة. أما نحن، فنعد إرضاع أطفالنا عيبًا لا يغتفره لنا ادعاء الغنى أو الغني نفسه ونهمل أمر نظافتهم للخدم ونكل ترويضهم وتربيتهم إليهم وهم من تعلمن من فساد الذوق والجهل القبيح، فيشب أطفالنا أشبه أخلاقًا بهم ونجد بيننا وبينهم جفاء وصلة منقطعة. وكيف تعرف الأم طباع طفلها وهي لا تتعرفها بنفسها؟ ولو مرت الأمهات يومًا بالمراضع جالسات على حافة الطرق ليراقبن حالتهن الأخلاقية، لما تأخرن لحظة عن حماية أطفالهن من جيش المراضع الهازم لمكارم الأخلاق.

أما عنايتنا بصحة أطفالنا، فلم تكن بأكثر من عنايتنا بأخلاقهم. فبينما المرأة الغربية تغذي طفلها غذاء خفيفًا سريع الهضم وتتحفظ عليه من هجمات البرد والحر، ترينا نطعمه أثقل الغذاء ونبادر بإعطائه اللحوم وما يتعسر هضمه، فتختل معدة الطفل ويصاب بالإسهال والنزلات المعوية وقد يفضي به سوء الحالة إلى الموت أخيرًا، ولا نكترث بنظافته لئلا يحسد ونتركه يلعب به النقيضان القر والحر، فلا يلبث أن يمرض ولا علاج له عندنا إلا الرقى والتمائم نثقل بها حمائله. وإذا بكى متوجعًا نظن بكاءه جوعًا، فنلقمه الغذاء فوق الغذاء إلى أن يلقى حتفه. هنالك تتهم أمه صاحبتها أو قريبتها بأنها حسدته وتركت فيه سهمًا من عينيها وتتشاءم من رؤيتها.

وإذا ابتدأ الطفل يتكلم ويمشي، فأول ما ينطق عندنا لعنة الآباء والأجداد. ومن الغريب أننا نجعل ذلك منه موضوع ضحك واستحسان، فيظن أنه مصيب في قوله، فيتمادى في الإكثار منه. وإذا مشى فإننا نحجر عليه ألا يمشي وسط الحجر المزدحمة بالأثاث والأواني. فإذا لم يكسر شيئًا، فإنه يتهشم بصدمة أو بوقوع. وإذا تأخر في الخطو قليلا تساعده عليه بالممشاة (المشاية)؛ فعظام الطفل اللينة بإجهادها على المشي حين لا قدرة فيها تلتوي، فيشب أعوج الساقين، منحني السلسلة الفقرية أو الصدر. كذلك لا نلتفت لموضوع سرير الطفل وتأثير النور على عينيه، فيكثر فينا الحول والعمى. فما أعظم الفرق بين طفلنا الشاحب اللون البذيء اللسان وبين الطفل الغربي الصحيح البدن بالاعتناء! ما أجمله حين يذهب في الصباح وفي المساء ليقبل والديه حين يستغفر أيا كان لأقل هفوة ويشكر لإبداء الجميل، وإذا حرم تلك القبلة الوالدية لهفوة أتاها، فلا تسلن عن حزنه وبكاءه إلى أن يتوب، بمثل هذا تعلم المرأة الغربية طفلها. إن رضاء الوالدين أعظم للأولاد وأربى فيه الضمير الحي والاعتراف بالشكر لمن وجب له، فلا تصغر نفسه بالضرب كما نعود أطفالنا. ما المراد من ضرب الطفل؟ المراد هو نهيه عن اتيان شيء لا نستحسنه لإيذاء جسمه بأنواع التعذيب البدني وفي طرق التأديب النفسية ما يكفل تلك الغاية بغير الشتم والضرب اللذين يصغران همة الطفل ويخفضان من عزته صغيرًا ويزيدان تحكمه واستبداده كبيرًا.

وقدر ما نعطي الطفل حرية في البذائة والإتلاف نمنعها إياه في الرياضة المفيدة لنموه، فنمنعه من الجري والفسحة ومشاهدة المناظر الطبيعية الجميلة مع أن الطفل الغربي يعد عضوًا مهمًا في البيت كسائر أعضائه من أب وأم، فيذهب به إلى بلاد بعيدة لاستنشاق الهواء واجتلاء المناظر ويفرد له أدوات خاصة لنومه

ولعبه وسائر لوازمه ويعامل بالإكرام ويعود الاستقلال من نعومة أظافره والأمة بجموعها. وإذا لحن في كلامه بادرت أمه بتصحيح خطأه بالنطق أمامه نطقًا صحيحًا حتى يحاكيها فيه. أما أطفالنا البائسون، فإننا نلثغ لهم لنرضعهم ونكلمهم بلغتهم المشوشة بدل أن نعلمهم لغتنا العامية، حتى لا الفصحى.

نحن نبادر بإرسال أولادنا للمدارس وهم صغار لا يدركون ماهية العلم ولا يألفون حجر حريتهم، فيضايقهم المعلمون بتدريسهم الممل غير الجذاب يلزمون أعضاءهم المخلوقة للحركة بالسكون التام، فيتربى في الطفل نفور من المدرسة والدرس؛ فتخبره أمه للذهاب إلى المدرسة، فيزيده الإجبار خورًا وقد يكون خطأنا في إرسال أولادنا صغارًا للمدرسة ومضايقة المعلمين لهم ما ينقص من استعداد الطفل لتلقي العلم ويفسد عليه ملكاته. أما الطفل الغربي، فهو أسعد حظًّا؛ اذ تعلمه أمه في البيت طرق الملاحظة والمشاهدة وتلقنه فوائد الأشياء والأسرار البسيطة لما يحيط به من نبات وحيوان ومطر وغيره، وتعلمه الإحسان والشفقة بما تفعله أمامه من ضروبها وكذلك تعلمه القراءة والكتابة الأولية بأسلوب مشوق ولا ترسله للمدرسة إلا وفيه ميل إليها واستعداد لما سيلقى عليه. وقد جربت ضرر إرسال الأولاد للمدرسة صغارًا في نفسي وفي إخوتي وفيمن شاهدته من التلميذات، فإني ظللت حوالي الثلاث سنين لا أفقه معنى المدرسة ولا أكاد أفهم الغرض من إرسالي إليها وكذلك شاهدت أن النابغات من التلميذات هن اللائي أرسلن للمدرسة في سن الثامنة أو العاشرة. أما الصغيرات فأكثرهن لم يستفدن شيئًا غير ضعف البنية وخسارة ما أنفق عليهن. إذا كان ولابد من إرسال الطفال للمدرسة صغارًا، فيجب أن نجعل لهم فرقة مخصوصة كفرقة بستان الأطفال "السكندر جارتن" التي تجعل فيها الدروس مزيجًا من التعلم والرياضة ويراعي فيها مدارك الطفل وتمرن حواسه وأعضائه بغير

إجبار يخافه أو تكرار يمله. ولو كانت الأمهات معتنيات بأطفالهن تمام العناية، فإن مثل تلك المدرسة كان يجب أن تكون في كل بيت أنعم الله عليه بنعمة الأولاد.

للتربية عندنا طريقتين: إما القسوة أو التدليل، وكلاهما مضر؛ فالقسوة ترهق الطفل وتعلمه الذل والتدليل يطرح به في مهواة الغرور. فمن دلائل صور مخيفة لهم من الظلمة وملء أذهانهم بترهات لا أصل لها) كالبعبع والمزيرة إلخ) وضربهم عند مخالفتهم لنا. ومن تدليلنا إياهم أن نعلمهم الأنانية ونعطيهم ما يشتهون عند بكائهم بعد منعهم إياه قبل البكاء، فيتعلمون من ذلك أن الصياح ميسر العسير ومقرب البعيد، فلا يتأخرون عن البكاء عند أي شيء تمنعهم عنه. وقد رأيت كثيرًا أن طفلًا ينصح أخاه أو أخته الأصغر منه سنًا أن يبكي، حتى يأخذ كيت وكيت مما كان منع عنه. أما الإفرنج فطريقتهم في تربية الأطفال خير من طريقتنا أضعافًا؛ فيعاقبون الطفل الذي يبكي لطلب شيء بالحرمان منه، فيعلم أن البكاء لا يجدي ويطلبه بالطريق المشروعة. وإن منع منه، فلا يعود يتشبث به ويستحضرون في المنزل ما تمس إليه حاجة الأولاد من الحلو واللعب خوفًا عليهم من قذارة ما في الأسواق واقتصادًا للمال والزمن.

### الدور الثالث - دور المراهقة:

هذا هو الدور الذي تتجلى فيه صفات الفتاة، حسنة كانت أو سيئة، وإن كانت الأخيرة، فمن الصعب تغييرها. في هذا الدور يهتم الأهلون بإرسال أولادهم الذكور للمدرسة ولا يهتمون كثيرًا بتثقيف عقل الفتاة على أنهم قد أخذوا يقلدون الغربيين أخيرًا في تعليم الفتاة وإنما لم يأت التقليد نافعًا لنا ولا محكمًا في ذاته. فالفتاة الغربية تتعلم العلوم إلى أن تحصل منها على درجة عالية أو محمودة. أما فتاتنا المصرية، فلا تكاد تقرأ وتتعلم قشورًا بسيطة من العلم

حتى تستغني بها عن الاستمرار في الاستفادة، فهي لا تقلد الغربية في التعلم النافع؛ وإنما تقلدها باستماتة في تعلم البيانو والرقص. ولا أدري لماذا أخذت البيوت الشرقية تبطل العود والقانون وتتعلم البيانو مع أن الأولين فضلًا عن كونها شرقيين، فإنها ألطف صوتًا وأشجى نغمة وأقل جلبة وأرخص ثمنًا. أما البيانو، لازم جدًا في الغرب لتحية الجموع في المراقص والكنائس لأنه بنغماته العالية يسمع إلى مكان بعيد. أما في بيوت المسلمين حيث لا مراقص ولا كنائس، فلا أجده من الضرورة بالدرجة التي يتهافت عليها فتياتنا. نعم.. إن تعلم الموسيقى من الكماليات الممدوحة ويقولون إنها مهذبة للطبع ومرققة للشعور، ولكن ألم يكن الأولى تعلمها على الآلات الشرقية التي لا ضوضاء لها إذا هي بذلك أدعى للحشمة، فلا يتعدى صوتها البيت الذي هي به؟!

لو سلمنا بضرورة تقليد الغربية في تعلم البيانو، لوجب محاكاتها أيضًا في تعلمه من حيث هو فن وإتقانه، لا أن تقتصر الفتاة على نقر لا تناسب بين نغماته حتى أن سليم الذوق مع عدم تلقيه دروسًا في البيانو يمكنه نقد ذلك الضرب على صماخ الأذن لا على البيانو، فإن أذنه تنبو عنه لسماجته.

ماذا تقرأ الفتيات في سن المراهقة؟

لا يقرأن إلا الروايات الغرامية وهن في ذلك الوقت قابلات لشدة الانفعالات النفسية، فيتأثرن بحوادث العشق والهرب وتنطبع في ذاكراتهن أشعار وجمل غرامية مما يقرأن وتمر أمامهن صور تلك الحوادث كالصور المتحركة، فلا تعدم أن تلقى أثرًا في عقولهن اللينة. وإن الآباء ملومون في هذه الحالة؛ لعدم اختيارهم كتبًا نافعة تقرأها فتياتهم. لماذا لا يختارون لهن مثل كتب الأطفال ومعاملة الأزواج أو مثل كتاب كليلة ودمنة أو كتب تراجم المشاهير، ما يبعث القارئ على أن يقتدي بهم أو مثل كتب آداب اللغة وغيرها مما يلذ ويفيد في

آن واحد. هذا إذا وجدت الفتاة من كتب الفلسفة والعلم ما يستعصي عليها فهمه أو ما تتضجر من الاستمرار على قراءته لجده الخالص وجفافه، ماذا تفعل الفتاة في سن الرابعة عشرة والسادسة عشرة وهي ممتلئة الذهن بحوادث "روميو وجولييت". إنها تتمنى أن تسمع مثلها وتكون مرموقة بنفس تلك العين لأن سنها كما بينت أخصب مراعي إبليس. هذا من جهة القراءة، أما الحرية، فإن الفتاة المصرية الأولى كانت محجورًا عليها لدرجة الحبس والفتاة الغربية لها مطلق الحرية أن تغدو وتروح وحدها وتسافر من بلد إلى آخر بغير رقابة أهلها. وهذا من الخرق في الرأي وأخاف أن تغرنا زخارفه فتعمل به لأن كثيرات من فتياتنا المتعلمات يحسبن أن الدرجة التي وصلن إليها تكفي لإعطائهن مطلق الحرية يغدون ويرحن وحيدات. وإن حوادث الفتيات المحزنة كثيرة جدًا في أوروبا؛ لأن الفتيات الطائشات لصفاء نيتهن يصدقن كل مدع لهن بالغرام وتساعدهن حريتهن المطلقة على مسايرة الفتيان ولا يلبث الرجال أن ينفضوا من حولهن ويتركوهن بين اليأس والعار، وهما أمران أحلاهما مُر.

في رأيي أن تمنع الفتاة في سن المراهقة من الاختلاط بالشبان وحاشا أن أمس بكلامي هذا شرف الفتيات، وإنما يجب أن أنبه إلى شيء طبيعي والعاقل من اتعظ بغيره. ويكفي تجنبنا لمثل هذا الاختلاط المعيب أن أهله ذاتهم هم أول العائبين له، والفتاة في هذا السن ككل إنسان تطلب الحرية ويجب أن تتروض وتخرج وهذان لا أمنعهما عنها، وإنما أنصح الأمهات أن يراقبوهن مراقبة تخفي عليهن؛ لأن المراقبة إن كانت ظاهرة قد تصنع في نفس الفتاة أنها يجب أن تراقب وأنها ضعيفة للذود عن نفسها. وإذا تملك منها هذا الشعور، كان وبالا عليها وإذلالا لها.

ثم إذا أثبتت للوالدين مقدرتها على حسن السير، فلا بأس من إباحة الحرية

لها في زيارة صاحباتها. ولكني أري أن الحرية المطلقة والحجر المطلق كلاهما مضر؛ فكما أن الأولى تسهل سبل الفساد لمن تريدها، كذلك الثاني يخلق في الفتاة ميلًا لأن ترى كل شيء ويعلمها الغش والكذب، فيكون قد جنى أهلها عليها جنايتين.

إن صلاح الفتاة مترتب دائمًا على تربيتها الأولى. فإن فسدت، فقد يكون قليل من الحرية أفضل من الحجر البات؛ لأنه لا ينفع ولا تعدم الفتاة منفذًا لأغراضها، فتتعلم بذلك السرقة والخداع وقد تكون بعيدة عنهما من قبل.

أفضل طريقة لتربية البنات هي رؤيتهن قبل البلوغ كل شيء تصح مشاهدته بمعنى أن البنت في سن العاشرة والثانية عشرة يجب أن يريها والدها الصور المتحركة والتمثيل والألعاب المختلفة والحوانيت الكبيرة والمنتزهات والآثار ويركبها السيارة ويريها الحفلات وغير ذلك، حتى تدرك بكل شيء حسن أو عجيب، فتتنور من جهة ولا تظل بلهاء ككثير من فتياتنا وحتى تكون امتلأت نفسها من الصغر، فلا تجد فيها فراغًا فيما بعد لطلب المزيد من المشاهدات. فإذا عرضت لها الفسحة في حياتها المستقبلية، فلا بأس بها وإن لم تعرض، فلا تتأسف كثيرًا عليها.

المدارس:

تعجبني جدًّا طريقة مدارس الفرير في نقل الفتيات صباحًا ومساء في عرباتها الخصوصية؛ حتى لا يختلط بهن السابلة ويأمن عليهن أهلهن وكذلك يوفرن وقت من سيعطل نفسه ليستصحبها إلى المدرسة، فحبذا لو اشترت نظارة المعارف أو استأجرت مثل تلك العربات لنقل التلميذات إلى مدارسها في الغدو والرواح، ويكون لكل قسم من أقسام البلد واحدة أو اثنتان حسب كثرة

التلميذات وفلتهن. فإن التعليم في مدارسها أرقى بكثير من التعليم في المدارس الأخرى، وخصوصًا في اللغة العربية التي هي لغتنا ويجب أن نتعلمها جيدًا. كذلك يراعى فيها آداب البلد وعوائده ودينه أفضل مما تراعى في تلك المدارس الأجنبية التي لم تفتح إلا لنشر مذهب من المذاهب الدينية أو لكسب أصحابها فقط.

بعض أضداد تعليم الفتاة يرون أن تظل الفتاة جاهلة خير لها من أن تتعلم؛ لأن التعليم يوسع عليها حيل الاختلاط الذي تبرره العادة ولا يسمح به أولياؤه وهي نظرية فاسدة، فالتربية الحقة تحول دون ذلك؛ فالفتاة الكاملة تجد من عفتها وقدوة أهلها وآداب نفسها ما يخفيها من سوء إلا حدوثه وتعلم أن سمعة الفتاة كالزجاج الصافي يتلوث من أقل الأشياء وإذا انكسر، فلا يجبر. أما الفاسدة، فتميل إذا وجدت مسر بأسواء كانت عالمة أو جاهلة، وغاية الأمر أن الجاهلة أسرع شططًا وأدنى إلى أن تشهر بنفسها وقلما تعرف نتيجة تصرفها السيء إلا بعد وقوعها في سوء مغبته.

## الملابس والأزياء:

الملابس الشرقية أخف مؤونة وأيسر كلفة وأشد ملاءمة لجونا الحار وصيفنا المحرق من الملابس الإفرنجية؛ فهي جلباب مرة واحدة فوق الملابس وعند الخروج تلبس فوقه الملاءة. أما الملابس الإفرنجية، فإنها متعددة القطع، مضاعفة التركيب، عسرة اللبس والنزع. فمن مشد يخنق الخاصرة ويحشر الكبد والطحال ويدلي إلاحشاء ويمنع الجلد من التنفس الطبيعي اللازم له.

ومن بنيقة (باقة منشأة كالورق المقوى لا تستطيع المرأة تحريك رقبتها ولا الآنثناء لقضاء أي عمل مشرئبة العنق) ومن صدار لاصق بالإبطين ضاغط على

الكتفين أو مقور الفتحة معرض القفا والنحر، بل الصدر والظهر إلى الحر والقر واختلاف درجات الجو وجلب النزلات الصدرية ومن مرطة ضيق الأعلى غير محكم الأزرار، واسع الأسفل، طويل الذيل كأن لابسته من ذوات الأذناب تثير عند مشيتها الجراثيم وتضايق الرئتين والخياشيم. ومن قبعة شاسعة الأرجاء، مدججة بالدبابيس، مثقلة بالطيور وريشها والغصون وأزهارها وثمارها، مدبجة بالأربطة الحريرية ومن أناشيط ينابيع في أجزاء الفستان يضيع في ربطها وحلها الزمن سدى. فضلًا عن تعدد الملابس لتعدد الأغراض؛ فحلة للصباح وأخرى للمساء وثالثة للخروج وأخرى للرقص وغيرها للاستقبال وهلم جرا. وإن الزمن الذي يضيع كل يوم في اللبس والخلع لو صرف في عمل نافع، لأتى بالفائدة وأراح من العناء. على أن النساء الإفرنج لهن حسنة واحدة في ملابسهن مفقودة عندنا؛ وهي البساطة عند الخروج للنزهة أو لقضاء شغل، فتلبس المرأة ثوبًا قصيرًا كي لا يعوقها عن المشي. أما نحن، فنرتدي أحسن طرفنا في الخارج ونطيل في الذيول نجرها. على أن الأوروبيات أحق منا بتفنن الأزياء وشدة التألق فيها لأنهن بارزات. أما نحن فأكثر من يرانا جدران المنازل وإن خرجنا فتحت الأزرار في العربات. وإذا فلا لزوم لاتباع الموضة بشغف زائد لأنها تفقر وتعل. وإن كان للفتيات حق التمتع بصرف ما لهن ولو فيما لا يجدي الإنسانية، كالأزياء، فليس للمتوسطات حق إفقار بعولتهن أو آبائهن جريًا وراء الموضة المتقلبة.

تخرج بعض نسائنا عن حدود الأدب والشرع زعمًا باتباع الموضة. ولكن هناك فرقًا كبيرًا بين الموضة والخلاعة، فإن لبست المرأة آخر صيحة الأزياء في بيتها، فما عليها في ذلك من حرج. ولكن إذا ظهرت زينتها للمارة وظلت تتلكأ وتضحك، فتلك هي الخلاعة الشائنة ولم تجيء في مجلات الأزياء "كالبرنتان

واللوفر" وغيرهما، ففي أي كتاب قرأتها.

لاحظت شيئًا غريبًا في الفتيات وهو أن الفتاة التي تتبرج وتتأنق مغالية في إظهار محاسنها وغناها تريد أن يعجب بها الخاطبون والخاطبات، هي التي تتأخر دائماً في الزواج. وإن تزوجت، فبرجل أقل مما كان ينتظر لمثلها وهو عقاب طبيعي للمتبرجات؛ لأن الرجل مهما أعجبه شكل الخليعة وكلامها، فهو لا يود أن يقتنيها لنفسه اعتقادًا بأن ما أعجبه منها ظاهر لغيره أيضًا. ولو فطنت الفتيات إلى أن أول شرط يشترطه الرجل في امرأته هو الحشمة والترفع عن البهرجة، لما تأخرن لحظة عن الإقلاع عما زعمنه يقربهن لراغبي الزواج وهو في الحقيقة يبعدهن وينفر الرجال منهن. لست بذلك أدعو النساء إلى التقشف أو البعد عن الزينة، فليس لي أن أحرم ما حلل الله ولأن في الزينة للمرأة بعض السعادة لزوجها كذلك، ولكن غرضي الاعتدال في الزينة وعدم الخروج عن المعروف.

### الدور الرابع - الخطبة والزواج:

تتعجل الفتيات كثيرًا في انتظار الدور ولو علمن مصاعبه ومتاعبه لما تعجلنه. وأظن ما يشوقهن إليه هو الزخارف والحلي الجديدة وما يقام للعروس من مظاهر الزينة وما يتقاطر عليها من التهاني والهدايا، ولكنهن لا يدرين المسؤولية الكبرى التي تتحملها المرأة بزواجها وما قد يصيبها من الآلام النفسية في حياتها الجديدة، وشتان بين الفتاة تنام ملء عينيها ولا تسأل إلا عن نفسها، ويسعى أبوها وأهلها في إرضائها وجلب ما تشتهيه من ملابس وغيرها، وبين الزوجة تنتظر بعلها إلى ما بعد منتصف الليل وتبكر قبل بزوغ الشمس لتجهيز طعامه وتنظيف ملابسه وتظل يومها تشتغل في بيتها أو تلاحظ الخدم وعليها أن ترضيه وترضيهم وتخطب ود أهله وتقوم بتربية أولادها، وهي بين كثرة العمل

وتنوع المسؤولية تحاسب حسابًا عسيرًا على أقل هفوة وربما وجدت منه سكيرًا فظًا أو أحمق وأدهى من ذلك أن يتحفها بضرة شرعية أو غير شرعية تأتي على ما بقي من رونق جمالها وسعادتها.

لا وسيلة للزواج عندنا إلا الخطبة ولكن بأعين الأهل والجيران والخاطبات، وقد تحسن في أعينهن من لا تحسن في عين الخاطب لاختلاف الأذواق والمشارب، فيتزوج الرجل على مجرد أوصاف قيلت له، فيصور منها شكلًا في مخيلته قد لا يطابق العروس الحقيقية لسوء تعبير الخاطبات وتحريفهن. وكذلك الفتاة لا تكاد تعلم عن خطيبها شيئًا إلا اسمه وماله المبالغ في تقديره لترغيبها هي وأهلها. فإذا حان وقت المقابلة، يكاد العروسان يصابان بالبكم والغشيان لفرط اندهاش أحدهما من الآخر. وبعد المعاشرة قليلًا، قد يتفقان وقد لا يتفقان وهذه المخاطرة نتيجة اعتقاد المقسوم في القضاء والقدر لا تجدي مغالبتها، ولكن لا يصح اتخاذهما وسيلة للإهمال في جلب المنفعة أو درء الضرر؛ فإن هذه المسألة مسألة اختيار محض وللعقل أن يحكم فيها وحده. فإذا أحسن الاختيار، حسنت عاقبته. وإن قصر أو أهمل، ساءت العقبى. بينما سفور النساء عن وجوههن لم تجمع الأئمة على تحريمه، فضلًا عن أنهم يُجيزونه عند الخطبة؛ تحاشيًا من وقوع الاختلاف ودعوى الغش فيما بعد.

أما الإفرنج؛ فخشية أن يصابوا بما أصيب به أغلب أهل الشرق من الخطبة العمياء وما يترتب عليها من الشقاء المستمر. أجمعوا رأيهم على أن يتراءى العروسان قبل الخطبة مرارًا ويتقابلا ولكنهم أفرطوا في إلامر كما فرطنا نحن فيه وكلا طرفي الأمور ذميم. لم يكتفوا بأن يرى الخطيب خطيبته عدة مرات، بل شرطوا أن يكون الزواج بعد الرضى أو الميل المتبادل بينهما والذهاب معه إلى المراقص ومجتمعات الفتيان، لعل الواحدة منهن تخاطب فتى من الموجودين هناك

بالاتفاق وقد تذهب المقابلة بعد المقابلة سُدى، فتتعرض لغيره ويتعرض لغيرها إلى أن تجد بعد طول مدة التحيز في أن يكاشفها بعزم الاقتران، فتظن أنها وجدت ضالتها المنشودة، فتعلم أهلها ويتردد الخطيب عليها في البيت وغير البيت. وربما تمضي الشهور أو السنون ثم يفض الفتى عن الفتاة؛ بدعوى أن الاختبار لم يؤد إلى المرام والقلوب لم تأتلف. وإذا كان أصل الفكرة وجوب الاختبار الطويل فيما يتعلق بالأخلاق والتأكد من الحالة الصحية، كان العدول فيما بعد الاختبار أمرًا غير مستقبح، وإنما يكون الاستقبال بعد الإعلان ولبس الخاتم عندهم ولا شك في أن التساهل إلى هذا الحد فيه من العيوب ما لا يخفى على الناقد البصير.

واالحق أن هذه المسألة من المعضلات الاجتماعية، فلا الاسترسال في الاختبار بمأمون العواقب ولا الاحتجاب عن الخاطب بمفيد، بل ربما كان مؤخرًا للفتاة عن الزواج في الأوان المناسب، وربما في الحي الواحد فتيان وفتيات كل منهم يبغي الزواج ولا يعلم الفتيان بوجود الفتيات لاحتجابهن الاحتجاب الشديد ولعدم التعارف بين البيوت. ولا خلاص من هذه العقدة إلا باتباع سنة السلف من العرب في صدر الإسلام من مباشرة الفتاة خدمة الضيوف في القرى للمساعدة في بعض الأعمال ويجب على الفتيان في مثل هذه الحال ألا يظهروا غرضهم أمام الفتيات أو يتعرضوا لهن بالخطبة؛ فإن ذلك مغاير للذوق والأدب ومؤد لخجل الفتيات وانزوائهن وراء الحجب. وينبغي أن تتعود الفتيات هذا الأمر من صغرهن حتى لا يستغربنه عند الكبر ويشعرن بشذوذه. وهذه الطريقة متبعة في القرى والبوادي المصرية، فحبذا لو اقتدى بهم أهل المدن! وإنما يشترط في الأخيرة أن يكون خروج الفتاة مع أبيها أو أحد محارمها. وعلى كل حال، فالشيء الذي لابد من منعه هو انفراد الفتى بالفتاة وطول المحادثة في غير

ضرورة؛ لما في ذلك من مخالفة الشرع وإثارة التهم.

## الزواج

طريقتنا فيه مختلة أيضًا؛ فالمرأة الغربية تدفع الصداق وقد يكون من جراء ذلك أن تصير الزوجة سيدة الرجل، الآمرة الناهية. والمرأة الشرقية كانت لا تدفع شيئًا ويدفع الرجل الصداق، فيأخذه أهلها ولا يشترون لها منه شيئًا وبذلك يعتبر الرجل سيدها لا حق لها في معارضته. وهاتان الطريقتان بغير نظر إلى تفضيل إحداهما على الأخرى واضحتان في أن دفع الصداق هو المفرد بالسيادة في البيت. أما طريقتنا الآن، فهي مملة. ولذلك فالسيادة متنازع عليها بين الزوجين المصريين، يدفع الرجل الصداق، فتأبى له المرأة لما يساوي ضعفه أو أكثر، فهو إذا أنفق يظن أنه السيد وهي بما أنفقت تظن كذلك، فيتنازعان على الرئاسة.

مالنا ولهذا التكليف الثقيل والبيت باسم الرجل لا باسم الزوجة، فإن أعجبه أن يفرش بيته حصيرًا، فليكن. وإن راقه أن يموه سقوفه وجدرانه بماء الذهب، فليفعل. وليس للزوج وأهله أن ينتظروا شيئًا من العروس فهي وشأنها في مالها. إن حوادث الطلاق فيها عظات كثيرة لو انتبهنا لها؛ فكثيرًا ما يتنازع الزوجان على الأثاث كل يدعي أنه له وإذا كان في الرجل مروءة وتركه لمطلقته، فإنها تزحم به بيت أهلها ويظل مكدسًا يرتع فيه العث والجرذان. فإذا تزوجت المرأة ثانيًا، وجدت أكثره تالفًا أو طال عليه القدم مع ما يستلزمه نقل الأثاث وترتيبه كل مرة من النفقات والتعب.

وإذا لمت الغنية مرة على هذا التبذير، فإنني ألوم الفقيرة المدعية مرارًا، فكم من بيوت خربت وأرض بيعت أو رهنت لا سبب سوى تجهيز عروس لا

يلبث فرشها أن يحول لونه أو يتمزق بعد سنين قلائل، فتكلف زوجها بتجديده أو يبقى خرقًا. سمعت عن أب له ثلاث بنات جهزهن واحدة بعد أخرى جهازًا كان موضوع الحديث عند معارفهم وكان له مائة فدان من أجود الأطيان، يعيش بريعها عيش الرخاء، فباع ثلاثين لتجهيز الفتاة الأولى ورهن ثلاثين للثانية والباقي للأخيرة. ولما حان ميعاد السداد، لم يف وإذا بالدائنين أتوا على ما ورثه وهو كل ما يمتلك وحجزوا على بيته أيضًا، فبالله إلا بعد هذا الرجل قصير النظر أخرق، وهل أغناه أثاث بناته وقد أصبح معدما ذليلًا؟ من الجنون بل ومن القساوة أن تجهد الفتاة في تخريب بيت والديها لتزيين بيت زوجها. ولماذا تقلد كل سيدة من هي أغنى منها. وهل يعد التوسط في الغنى أو الفقر عيبًا؟!

## المرأة الغربية

إن المرأة الأوروبية لا ترمي مالها كما نفعل في أوان لا نستعملها وفي خرق تبلى بعد زمن قصير، بل تستثمر ذلك المال فتنميه وتحفظه للعوز وذخرًا لأولادها بعدها وتنفق منه على الجمعيات الخيرية والمدارس، فتحيي البائسين وتحيا بحسناتها؛ فهي أبرع منا بمراحل في طرق الاقتصاد.

## الاقتصاد المالي والمنزلي

لا تكتفي المرأة الغربية بتنمية مالها فقط، بل تضع ميزانية مضبوطة لإيراد بيتها ومصروفه، فلا تخرج عن حد الاعتدال في النفقات ولا تصرف درهمًا في غير موضعه وتفحص مشترياتها بنفسها لتتأكد من جودتها واستحقاقها لما تباع به وتهتم برقو الثياب وتصليحها وتعمل من كل قديم جديدًا، وقد تغير شكل الثوب الواحد وزينته مرارًا، فيظهر جديدًا، فقد تقع بقعة صغيرة على جلباب من الحرير الغالي، فإذا أهملناه لا يصلح للبس، وإذا أعطيناه لخادمة أو لامرأة فقيرة، فقد ينفعها ثوب من القماش البسيط أكثر من ذلك الثوب الجميل وبهذه

الحالة يكون كرمنا غير مجد. فلو اجتهدنا في إزالة تلك البقعة أو مداراتها بشيء من الزينة (الكلفة)، وجدنا على تلك الفقيرة ثوب بسيط لكان أنفع لنا ولها.

إن تربية الغربية مؤسسة على العناية والملاحظة. أما نحن، فقلما ننتبه إليهما، تقتصد المرأة الغربية من مالها بما تظهره براعتها وعملها؛ فهي تخيط لنفسها ولزوجها ولأولادها وتكوي ثيابهم. أما نحن فالبيوت المتوسطة كلها تكوي في السوق وتخيط كل شيء حتى التافه عند الخياطات، بعشرين قرشًا يمكن المرأة الغربية أن تحضر طعامًا لبيتها وتجعله لذيذًا وشهيًا بكثرة (السلطة) والحلوى. بينما العشرون قرشًا عندنا، فتعمل بها المرأة طعامًا ولكن غير منوع ولا مشتهٍ.

## العمل

أما العمل البيتي أو الخارجي، فإننا يجب أن نعترف للمرأة الغربية بسبقها فيهما وإن كانت النساء الاغنياء لا يكترثن إلا بالملاهي والأزياء، لكن المتوسطات هناك لا يأنفن من مزاولة الطبخ والكي والترتيب في البيت كما يأنفن متوسطاتنا، وفقيراتهن يعملن ما يقوم بأودهن وأود عائلاتهن. أما فقيراتنا، فإما أن يتسولن أو يشتغلن بعمل قليل الكسب والشواهد مثيرة على ذلك، وأقربها ما نعرفه كلنا أن الخياطات المصريات لا تكاد تجد بينهن واحدة يمكنها تفصيل الثياب وخياطتها جيدًا. ولعدم إتقانهن العمل يكتفين بأجرة قليلة مع ما يكبدنه من التعب وإنفاق العافية، فتأخذ الواحدة خمسة قروش أو عشرة أجرة الثوب. في حين أن الإفرنجية تطلب جنيهين على الأقل مقابل تعبها فقط، وكذلك الطبيبات منا يكتفين بدروس قليلة من التمريض ولا ينظرن لمثيلاتهن الأجنبيات اللاتي برعن في الطب ونلن نفس شهادات الرجال والمربيات والخدم المصريين لا يفقهون معنى التربية وأغلب الخادمات لا يصلحن، فنضطر أن

نجلب هؤلاء من الإفرنج.

يقولون الجادة أم العمل، فما بالنا نكسل ونقصر ونحن في شديد الحاجة لأمثال هؤلاء الخياطات والطبيبات والمتعلمات وغيرهن من فروض الكفاية أن يكون هؤلاء مصريات في مصر، فيمنعن بعض مالها من التسرب في جيوب الأجانب وهن ساكنات ينظرن. لقد أصبحت كلمة مصرية في أفواه الأجانب عنوانًا للكسل وعدم المقدرة، فهلا يبعث فينا ذلك التعيير روح النشاط وحب العمل؟

هلا حاكينهن فيما تفوقن فيه علينا من العلم والعمل، أم هل تكفي محاكاتنا لهن التصنع لنصبح مثلهن؟ إنهن أسسن الجمعيات وأدرن المستشفيات والملاجئ وقمن يشتغلن بكل فن حتى أنهن يطلبن مشاركة الرجال في الانتخاب لحكم بلادهن، وما ذلك إلا نتيجة العلم والتربية على حب العمل.

## الأخلاق

لا أدري أنفضل المرأة الغربية في معرض الأخلاق أم تفضلنا؟ فهي أكثر منا شجاعة في اقتحام الخطوب، وإن كانت لا تقل عنا جزعًا عند حلول المصائب ونحن لا ينقصنا ذكاء كذكائها؛ وإنما ينقصنا عزم وثبات كعزمها وثباتها، وهي تعمل لتعيش ونحن نتكل. أما على آبائنا أو أزواجنا، فلا نعمل شيئًا وهذا الاتكال معيب في نفسه، فضلًا عما تخلفه تقلبات الأيام عن تخطئته. فلو تعلمت كل فتاة وخصوصًا من لا إيراد لها كيف تكسب عيشها شريفة مستقلة، لما رأينا البائسات تموج بعن الطرقات بعد سابق عز ونعمة ينتظرن إحسان الأخ أو أحد الأقارب، وقد تكون امرأته سيئة الخلق فيمللن عشرتها أو يكون لهن من الأولاد ما ينوء بتربيتهم ذلك الأخ أو القريب. أما المرأة الغربية، فتعتني بكل شيء ونحن بما ركب في طبعنا من المسالمة تميل إلى الإهمال والكسل. وأرانا أسلم

منها قلبًا أو أقل خداعًا لعدم الاختلاط بالرجال أيضًا، فإنها لتجوالها في الخارج تتعلم كيف ترضي هذا وذاك لتظهر فاتنة جذابة والحاجة تعلمها الاحتيال على العيش؟فهي تطلبه بكل الوسائل الممكنة وهي أنشط ولا شك منا وأثبت على العمل إلا أننا أكثر قناعة منها.

## بقية العادات

للخرافات سلطان كبير على المرأة الغربية، وإن كان بعضنا يظن أنها معصومة من الخطأ، فنحن وهي سيان في التفاؤل والتشاؤم وتصديق الخرافات والمشعوذين والاعتقاد بظهور العفاريت في الخوف من الظلمة، وعندنا الزار وهو أبو الخرافات، ونفسد البيوت وهي لا تعتقد به وإن كانت تصاب بأعراضه العصبية. فلماذا اختارتنا العفاريت مسكنًا لها وإذا فرضنا المستحيل وصدقنا القائلين بتقمص الأرواح، فلماذا لا تلجأ إلينا روح أرسطو وابن رشد وأبي العلاء وغيرهم من الفلاسفة والمصلحين؟ أم قضي علينا حتى في الكذب والخرافات أن نكون دائمًا متأخرات، فلا يلبسنا إلا الشيخة رمانة وسفينة ويوسف مدلع وغيرهم ممن يطلبون الخلاخيل والمصوغات والسيوف المذهبة؟ إلا أننا لم نبرع في حيلة إلا هذه. تخاف المرأة أن تطلب ملابس، فيرفض زوجها الطلب، فتعهد إلى ادعاء العفاريت والجن لتهديده. أعرف كثيرات أدعين (الزار)، فرفض طلبهن وبعضهن ضربن عليه فلن يعد إليه. فيا ليت شعري إذا كانت العفاريت جبناء إلى هذا الحد. فلماذا لا يستعمل الرجال العصي وهي كثيرة، وإن كنت لا أوافق ضرب الرجل المرأة بأي حال من الأحوال، وإنما هي تصر أن العفريت يتكلم بلسانها ويشعر بأعضائها وأنها أعارته ظاهرها ولا أعلم أين ذهبت هي، فيضرب العفريت فهو الذي يتألم ولا يصيبها شيء كما تزعم في غير الضرب. ولعل المتحضرات الحديثات يدعين بأن الملائكة تقمصت في أجسامهن لأنهن أحكم

تصرفًا وأحسن اقتدارًا . وأظن أن عفاريت الأرض نفذت بكثرة الطلبات ليصرفن همهن إلى السماء كما صرفه مخترعو الطيارات لما ضاقت بهم الأرض. وحينذاك يأنف من ركوب الضأن والإبل، فيمتطين المخترعات الحديثة وإن كانت لا تزال خطرة، فلا تخفى علينا البارونة دي لاروا فربما نبغ عندنا مثلها كثيرات وإن كان باعثهن (مودة الزار) لا العلم. عند الإفرنجية عادة تساوي الزار في القبح إلا مخاصرة الرجال في الرقص وما يتبع تلك العادة من التهتك والتصنع والميل عن جادة الصواب وما ينشأ عن حريتها المطلقة بلا قيد ولا وازع من الضرر البليغ والإخلال بالشرف وأدهى من ذلك أن ينتشر بينهن مذهب حرية الاعتقاد وهو مذهب من لا يصدق بالله ولا باليوم الأخر، فيزعمن أنهن يجتنبن الرذائل بمحض إرادتهن ولكن هل إذا منعت الفضيلة امرأة؟ ألم يكن إلايمان بالله وترقب ثوابه وعقابه ما يغني لكثير من الناس عن الانتحار والكفر؟!

# هدى شعراوي

## زعيمة الحركات النسائية في مصر

والدها المرحوم سلطان باشا، رئيس أول برلمان مصري وحاكم هذا القطر بالنيابة عن الخديوي توفيق في عصر من عصور الثورة سنة ١٨٨٢ ولدت في المنيا وتربت في القاهرة حيث استطاعت أن تتلقى أرقى أشكال التربية في ذلك العصر، لم تكن ثمة مدارس نظامية للفتيات المسلمات، فجيء لها بمعلمات خاصة بها لتلقينها العلوم المعروفة والموسيقى واللغتين التركية والفرنسية.

وبقيت في خدرها الصغير حتى تزوجت يافعة من المرحوم علي باشا شعراوي الذي كان وصيًّا عليها. وهي ليست من أهل اليسار الواسع كما نسمع من غير العارفين ولكنه كرمها وصديقاتها العديدة وحرمانها نفسها من النفقات الخاصة وتعطيل صدرها من الحلي واحتشامها في اللبس واقتصاداها فيه؛ وهذا ما جعلها تنفق على الغير أكثر من ثلثي إيرادها وهذا في ذاته كثير بالنسبة لغيرها من الموسرين الحقيقيين الذين لا تعد ثروتها بالنسبة لثرواتهم الواسعة شيئًا مذكورًا.

وليس لها ولد إلا محمدًا ربته على الدرس والتحصيل وابنتها (بثنة) هي الآن حرم محمود سامي باشا، الوكيل السابق لوزارة المواصلات. وهو على ما ترعرعا فيه من العز كامل الخلق أميل إلى الجد ولا شك أن ما تعهدت به ولديها من العناية الفائقة هو من خير ما سمعت به في بيوت الذوات.

توفيَ زوجها رحمه الله في ١٤ مارس سنة ١٩٢٢ مشيعًا بمشهد حافل بعد أن قضى حياته في العمل النافع. فقد كان أول وكيل للوفد المصري الذي سافر إلى فرساي سنة ١٩١٩ للمطالبة بالاستقلال عقب الثورة المصرية.

وكانت هذه الثورة أول عهد تلك السيدة بالحياة العامة، على أنها قبل ذلك التاريخ لم تكن ساكنة ولكن الحركات السياسية تتبعها دائمًا تغيرات اجتماعية واقتصادية ولكل منها دولة ولكل منها رجال ونساء.

صاحبة هذه الترجمة تربت على المطالعة والمشاهدة. يستفيد عقلها الجيد الخصب من كل ما تسمع وما تروي؛ فهي ذكية بالفطرة وفوق ذلك مجتهدة بدأب. فقد سافرت مرارًا– ابتداء من سنة ١٩١٩– إلى أوروبا مع أخيها المرحوم عمر باشا سلطان أو مع زوجها. وآخرسياحاتها اثنتان، الأولى: إلى إيطاليا مع السيدات المصريات، والثانية: إلى فرنسا والنمسا وإنجلترا مع ولديها– وسيأتي تفصيل ذلك بعد. فلا عجب إذا سما بها ذكاؤها واجتهادها إلى حيث هي الآن.

## نظرة إنسانية

أما جهودها قبل الثورة، فسلوا عنها جمعية رعاية الأطفال سنة ١٩١٩ وسلوا الأتراك عن الاكتتابات التي نظمتها لهم في حروبهم الأخيرة ومئات العائلات المعوزات، يخبروكم أن هذه السيدة الجليلة تنفق على المعوزين والمحتاجين أكثر مما تنفق على نفسها. أنا أقول ما أعني وأعني ما أقول. سلوا كذلك فقيرات مبرة مُحَمَّد علي على هذا العمل دون أن نلفت نظر القارئات والقارئين إلى الوطنية الناطقة التي تتجلى في كل شيء حتى في عمل البر والإحسان، كانت الأميرة عين الحياة تدعو مساعدة ملجأ ليدي كرومر كما

دعيت السيدة هدى للاشتراك في هذا العمل، فوافقت بشرط أن يكون المشروع مصريًّا في كليته كما هو مصريًّا في ماليته. وبالفعل تأسست مبرة مُحَمَّد علي وتوفيت الأميرة العظيمة ولكن السيدة الخيرة استمرت في عملها حتى صار المستوصف من أحسن أمثاله.

ولابد من تقدير المساعدات القيمة التي أدلت بها الأميرات العظيمات أمثال الأميرة طوسون والأميرة أمينة حليم، وغيرهما مما لا تحضرني أسماؤهن.. وقد اقترحت إلحاق مدرسة بهذا المستوصف واشترت دارًا فسيحة في شبرا لذلك ولكن الحرب الكبرى قضت على المشروع. وعلى كل حال فمبرة مُحَمَّد علي قائمة بفضل السيدات، وفي مقدمتهن صاحبة الترجمة، وكذلك فعلت بجميمية المرأة الجديدة كانت هذه الجمعية قد تأسست فعلا ولكنها كانت صغيرة محصورة، فانضمت إليها وعضدتها حتى أصبحت لها دار فسيحة بها مشغل للسجاجيد والحياكة ومدرسة داخلية وخارجية للفقيرات، وفي النية بناء دار في جاردن سيتي. فيا حبذا لو التفتت الحكومة والجمهور عناية بهذا المعهد الذي نريد أن يبلغ إلى المثل الأعلى بين أمثاله، فإن في تهذيب الفقيرات وتعليمهن المهن الحرة الشريفة وقرًا دون كثير من الشرور.

والجدير بالذكر أن السيدة هدى شعراوي لها ذوق خاص في اختيار الوسائل لنشر الفضيلة؛ فقد تعهدت مع صاحباتها عمل دار صحية في أحد الأحياء الوطنية بالقاهرة تذهب إليها كل يوم إحداهن لمباشرة توزيع الأدوية وإرشاد الفقيرات إلى وسائل الصحة والنظافة، بمساعدة بعض الأطباء المتبرعين وتعليم بناتهن مما لا غنى لهم عنه. وأظن أنه كامل تعود الأهالي في حي من الأحياء على هذا النظام نقلت الدار إلى حي آخر، ولا يخفى ما في هذا من الخير في تعويد النظام ومكافحة الجهل والأمراض، فحق على كل منصف أن

يشكر هذه السيدة ورفيقاتها والأطباء المتبرعين بهذه العناية وهذه المشقة.

### نظرة اجتماعية

أما من الوجهة الاجتماعية، فإن صاحبة الترجمة أول من عني بأن تلقي محاضرات على ملأ من النساء، فدعت المدموزيل كليمان سنة ١٩٠٩ وسنة ١٩١٤ تلقي محاضرات في بيتها بالجامعة تحت رياسة الأميرة العظيمة عين الحياة. كما اشتركت مع ليدي بنج في تأسيس جمعيات نسوية مما كان له أثر حميد. ولولا قصر أجل هذه الجمعيات لاستفادت السيدات كثيرًا. فإن المحاضرات والاجتماعات التي توالت زمانًا كان لها شأن في التمهيد للحركة النسوية، ولابد من شكر فضيلات الأجنبيات اللائي كان لهن ضلع قوي في تنظيم هذه الجمعيات المفيدة.

وما أخشاه أنني لا أستطيع الوصول إلى هذا الدور دون أن أشير إلى علاقتها بشقيقتي المرحومة ملك حفني ـ باحثة البادية ـ أول خطيبة مصرية التي أسست الحركة النسوية في مصر وكانت أسبق زميلاتها إلى هذا العمل العظيم المؤسس على الدين والعلم. أشير إلى هذا لأن السيدة هدى على ما أرى أشجع من أن تقدم لإعلاء صرحه وإدخال الحديث عليه كانت السيدة هدى شعراوي صديقة المرحومة باحثة البادية وكانت تحبها وتعجب بها وتعترف لها بالفضل. ولا أدل على ذلك من أنها بعد وفاتها تقدمت لإدارة الجامعة بتبرع قدره ١٥٠ جنيهًا سنويًّا نظير أن تخصص الجامعة قاعة كبرى للمحاضرات النسوية تسمى باسم ملك حفني ناصف وتصدر برسمها على حجمه الطبيعي، وما كان أجمل ذلك من صاحبة الترجمة تخليدًا لذكرى صديقتها واعترافًا بفضلها على بنات مصر اللاتي كانت المرحومة أول مصرية علمتهن تعليمًا نظاميًّا في مدارس الحكومة، ولكن الجامعة توسعت في الشروط فوقف المشروع. ومهما

يكن فالجامعة ملومة في الماضي ولعلها لا تنسى في المستقبل المرأة التي هي نصف المجتمع ومربية الجيل الخالف جميعه.

## نظرة نسائية:

دعا الاتحاد النسوي الدولي جماعة السيدات المصريات إلى تمثيل مصر في مؤتمر جنيف سنة ١٩٢٠. فلم تسافر هي لأسباب عائلية ولم يسافر أحد. ولما أُعيد عقد المؤتمر في روما سنة ١٩٢٣، سافر وفد انتخبته السيدات بين من قبلت السفر لهذه المهمة، فسافرت الآنسة سيزابنراوي إحدى الملمات بخفايا اللغة الفرنسية، والآنسة المربية الكبيرة نبوية موسى كبيرة مفتشات وزارة المعارف ومؤلفة بعض الكتب النافعة، والرئيسة السيدة الجليلة هدى شعراوي. وكان للوفد تأثير يذكر في تغيير أفكار الأجانب بالنسبة للمرأة المصرية التي كثر ما ظنوا أنها قاصرة على "الحريم". فكم شوه سمعة مصر والإسلام مبشرو الإنجليز والأمريكان بهذه الفكرة المسرفة الخاطئة. ويزيد إعجابًا بالرئيسة أنها سافرت مطمئنة ساكنة والوطنية تعمل ولا تقول عن نفسها.

وبعد أن جاء الوفد لمصر، عادت مع عائلتها إلى باريس واشتغلت بالنشر والدعوة في الجماعات والجرائد حتى سمعت كثيرًا من الاطراء والاستبشار برقي المرأة المصرية. ومن المصادفات الغريبة أنه أسعدني الحظ بمرافقتها في باريس، كما رافقت غيرها من المشتغلين لمصر وتركتها مودعة من كثير من المعجبات بفضلها ونشاطها في وقارها وحشمتها غير المكتسبتين.

## نظرة اقتصادية

وإني لأجد من واجبي أن أشير بكلمة عن جهودها في مسألة الصناعة الوطنية. فإنها تقول لكل من حولها– وقولها الحق– "إن الاستقلال السياسي لا

يقوم ولا يؤمن عليه إلا بالاستقلال الاقتصادي". فهي من العاملات على ترويج الصناعات الوطنية النافعة والمشاريع المصرية المهمة كبنك مصر. وقد تعدى مجهودها القول إلى العمل، فوضعت نواة لعمل الفخار والزجاج الراقيين وشهدنا في معرض أوتيل سفوا هذا العام أطباقًا جميلة الصنع متقنة الرسم صنعتها أيادٍ مصرية ولها الآن معمل مساحته ١٢٠٠ متر في روض الفرج سيديره أحد طلبة إرساليتها الذي يحضر قريبًا من سفر بفرنسا. ولا عجب إذا كانت هذه السيدة في مرورها على فرنسا والنمسا درست هذا الموضوع بقدر مكانتها وأرادت أن تخدم الصناعة، فأبرزت هذا الموضوع الجليل إلى حيز الوجود وصدت إلى مشغل المرأة الجديدة ما كان ينقصه من الآلات، فهل نحن مقتفين أثرها في النهوض بالصناعة الوطنية بالفعل لا بالقول؟!

## خاتمة

لا أدعي أنني قد صورت السيدة "هدى شعراوي" بصورتها الجلية ولكني على كل حال رسمت الخطوط الكبرى لهيكل هذه الصورة. ولعلي بما كتبت أكون قد أديت واجبًا للمرأة المصرية الناهضة وللسيدة هدى التي أسميتها "المصرية الكبيرة والتي أستعيد فيها أثرًا من آثار شقيقتي والتي تعرفني بهذا الوصف المتبادل ويسرني أن أقف "متطوعًا" بجانبها مادامت تحوي ما قل أن يجتمع في غيرها من النبل وحب الإنسانية ومن الاستهانة بالتضحية في سبيل المبدأ– بالرغم من العقبات التي يلقيها في طريقها خصومها ولكنها تبرهن كل يوم على قوة عقيدتها في انتصار الحق– وهي كذلك أبدًا إن شاء الله.

## مختارات من نثرها رسائلها

(١)

### الدفاع عن المرأة

حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء ووزير الحقانية بالنيابة:

أتشرف بأن أبعث لدولتكم بقطعة من جريدة "الجورنال دوكير" معنونة بنداء موجه إلي. وباطلاعكم عليها تجدون أن محكمة جنايات قنا حكمت بعقوبة تتراوح بين ثلاث وخمس سنوات على ثلاثة متهمين؛ مثلوا بامرأة في الشوارع العمومية ثم قتلوها بطريقة بربرية ضربًا بالنبابيت ثم وضعوا جسمها الممزق في كيس وألقوه في النيل.

خففت العقوبة إلى هذا الحد؛ لأن قاتليها ظنوا فيها السوء دون أن يقدموا برهانًا للقضاء يؤيد هذه المظنة.

يا دولة الرئيس: إن الشرائع تعتبر حرمة حياة المرأة كحياة الرجل على السواء، وأنه لو صح ظن هؤلاء القتلة، لما جاز لهم ارتكاب هذه الجريمة بالطريقة الوحشية التي حصلت بها. إن الشرائع السماوية والقوانين الوضعية لا تعفي أمثال هؤلاء من عقوبة الإعدام حتى في حالة قيام البرهان على صحة ظنهم، فكيف ولم يثبت منه شيء.

إننا نخشى أن يكون هذا الحكم متأثرًا بتلك الفكرة التي عرضها أحد النواب على المجلس في دور انعقاده، يطلب بها تعديل قانون العقوبات بإطلاق أيد كثيرة للانتقام من المرأة التي تفرط في عرضها ومساواتهم بالزوج في هذا الحق.

ولهذه المناسبة، أحتج وأستنكر هذه الفكرة؛ لأنها تعرض حياة كثيرات من

النساء إلى الخطر تحت اسم استعمال هذا الحق وقد يكون الباعث عليه أغراضًا شخصية وشهوات دنيئة ومنازعات عائلية.

نعلم أن هذا الحكم لا راد له إلا إذا رفع نقض وإبرام عنه من النيابة، إن كان الميعاد باقيًا، ولكننا نعلم أن وزير الحقانية بيده العمل على صيانة الأرواح في المستقبل من أن نكون فريسة لتلك الشهوات البهيمية. فإليه نتوجه سائلين استعمال حكمته في وضع حد لهذا الخطر؛ لأن نظام القضاء والثقة فيه هو الأساس لحياة الدولة ومجدها. وكلما زاد القضاء نظامًا وعدلًا، ارتفع شأن الدولة وقوي الاعتماد عليه، ونحن على أبواب العمل لتعميم القضاء المصري على جميع الساكنين في البلاد على اختلاف أجناسهم أحوج الأمم لأن يظهر قضاؤنا ثابت الأركان كافيًا لتطمين النفوس البريئة الهادئة من أن ينالها اعتداء أو قلق في سكينتها.

وتفضلوا بقبول فائق احترامي

(٢)

## في مؤتمر جراتز الدولي

ألقت حضرة السيدة هدى هانم شعراوي الخطاب الآتي في المؤتمر الدولي السادس الذي عقد في مدينة جراتز في ١٨ و١٩ و٢٠ سبتمبر سنة ١٩٢٤؛ للبحث في استئصال الاتجار بالنساء والأطفال.

أتقدم بالشكر للآنسة بيكر إذ دعتني إلى ذلك المؤتمر، فبعثت بذلك عندي فكرة الاشتراك في ذلك العمل الإنساني العظيم وسيكون من دواعي ارتياحي التام أن ينظر المؤتمر إلى الاقتراحات التي أقدمها إليه، إذ يسمح لي ذلك أن أقوم بنصيبي من العمل والمعاونة في تحقيق برنامجه. إنني أرى أنه يجب

على المؤتمر إذا أراد أن يصل إلى غايته المنشودة؛ أن يجتهد في تحقيق ذلك المشروع ويسعى لهذه الحكومات ليحملها على إغلاق منازل البغاء في جميع بلاد العالم إغلاقًا تامًا مطلقًا.

ولما كانت غاية الاتحاد الدولي هي استئصال الاتجار بالنساء والأطفال وإذا كانت الجهود التي بذلت إلى الآن لم تؤد إلى النتائج المقصودة، فإني أرى وجوب القضاء على الداء من أساسه باجتناب كل تردد في طلب إغلاق منازل البغاء العامة؛ لأن وجوب هذه المنازل تشجيع للرذيلة وإطلاق ليد الذين يتجرون بالنساء والأطفال.

**المنازل العامة**

ارتأت بعض الحكومات أن تحدد المضار وتقلل المخاطر التي تترتب على وجود هذه المنازل، فاعتقدت بفائدة تترك رقابتها إلى البوليس ولكن إذا كان من الواجب أن تبت في ذلك إلامر طبقًا للنتائج التي أسفرت عنها ما يحدث في مصر، فإن لنا أن نعتقد أن البوليس لم يقدم الدليل على أنه يقوم دائمًا بمهمته كما يجب؛ أولا: لأن من يقبلون اكتساب عيشهم من استغلال ذلك العمل التعس "البغاء" أشد حذرًا وأغور دهاء من أن تضرب على أيديهم أي مراقبة، حيث إن البوليس كثيرًا ما يقع في شراكهم. وثانيًا: لأن رجال البوليس يتهاونون في مراقبة النسوة السافلات من جراء اشمئزازهم منهن ومقتهن لهن، فيترتب على ذلك أن رقابة البوليس صارت لا تفي بتاتًا بالغرض. وإثباتًا لما أقول أقص عليكم مثلًا واقعًا: انتهت النيابة المصرية من تحقيق قضية بدأت بها في العام الماضي وقد أسفر ذلك التحقيق عن إدانة عدد كبير من المتهمين ووجود منازل عديدة للدعارة بمدينة القاهرة كانت تساق إليها فتيات منكودات، بينهن بنات قاصرات لم يتجاوزن الستة عشر عامًا، بل وطفلات بين السابعة والتاسعة كن

يسلبن من أهلهن بإغوائهن بوعود خلابة ووسائل جنائية أخرى. فإذا ما سجن في تلك المنازل روقبن مراقبة صارمة تحول دون اتصالهن بعائلاتهن أو بأي شخص آخر غير مستغلين، فتعاني البغايا المنكودات أفظع ضروب الإنهاك دون أن يستطعن تذمرًا أو شكوى، بل ثبت أن كثيرًا من المتجرين بالنسوة لم يكونوا يقنعون بالاتجار بهن في منازلهن، بل يبيعونهن إلى أقرانهن في المنازل الأخرى بثمن كأنهم سلعة يجوز الاتجار فيها وتعتبر مصدرًا للكسب دون أن يصيب الفرائس نصيبًا من الغنم. وثبت أيضًا أن كثيرًا من أولئك الفتيات كن يقين نحبهن بسبب الأمراض الفتاكة وإهمال وسائل الصحة والعلاج. وإن الأطباء المكلفين العناية بهن يغفلون أداء مهمتهم كما يجب؛ وذلك لنفورهم منهن واحتقارًا لهن. وكأن من نكد الطالع أن أسفر التحقيق في هذه القضية عن أن عددًا من ضباط البوليس ـ معظمهم من الأوروبيين ـ كانوا يمالئون أصحاب هذه المنازل بإهمال مراقبتها المطلوبة إهمالا مقصودًا؛ ما أدى إلى استكشاف عدد من الرخص سلم إلى بنات دون العاشرة، فقد كانت تتداول من يد إلى أخرى دون أي رقابة أو مسؤولية.

وقد ثبت أيضًا أن معظم هذه المنازل السافلة تزاول الأعمال الشائنة منذ أكثر من عشرين سنة تحت بصر البوليس وسمعه.

وفي الختام.. لا يسعني إلا أن أبدي شكري للحكومة المصرية الحاضرة لأنها اهتمت بتلك القضية ولم تدخل وسمًا في محاكمة المتهمين الأصليين وإحالة الضباط الذين اشتركوا في تلك الفظائع وأهملوا تطبيق القانون عمدًا على مجالس التأديب، إذ كان سببًا في تصرفهم ذيوع الدعارة في عاصمة الديار المصرية إلى درجة مريعة. لا أستطيع تصور كيف أن الحكومات التي عهد إليها السهر على إلامن العام والأخلاق العامة تسمح بوجود هذه المنازل العامة، في حين أن

الأزمة الحاضرة التي تجوزها عقد فقد الملايين الكثيرة من الفتيات الذين سقطوا في ميدان الشرف أثناء الحرب الكبرى تتطلب التشجيع للزواج لتكثير عدد السكان الذي تحول بين كثرته هذه المنازل. وأنا أرجو أن تحتذي حكومات العالم بريطانيا العظمى وسويسرا وهولندا، فتحظر وجود هذه المنازل. كما أرجو المؤتمر أن يتناول تلك المسألة بعين الاعتبار وأن يضعها في مقدمة المسائل ويسعى السعي اللازم لهذة الحكومات ليفوز بمحو تلك البؤر الخبيثة. أما في مصر، فإن وجود الامتيازات يحول دون تشريع يقضي بمحو هذه المنازل إذا كان أصحابها من الأجانب. ولذلك فإني أطلب من المؤتمر أن يتدخل لدى الحكومات صاحبة الامتيازات وإلى الدول أن تسمح للحكومة المصرية بإغلاق هذه المنازل.

وأختم كلمتي بأن أرجو المؤتمر أن يغضى عن صراحتي فيما لاحظت إذ كان أكبر مما يجب. فإني معتمدة على الاعتقاد الجازم والنزاهة الصادقة اللتين يخالجان المؤتمر للسعي إلى غايته؛ فأنا أول مصرية ومن بلد تحملها حضارتها وعواطفها الإنسانية الجمة الفياضة دائمًا على أن تعني بالصالح العام قبل صالحها الخاص، ولكم في ذلك مثل قناة السويس الذي هو اليوم بالنسبة لمصر مصدرًا للشقاء. إنني أعتقد أن عملًا إنسانيًّا كالذي نسعى إليه هنا هو قضية عامة لا تفريق فيها بين الجنس والوطن.

(٣)

### البرلمان الصغير

صورة الكتاب المرسل من حضرة صاحبة العصمة السيدة هدى هانم شعراوي، رئيس جمعية الاتحاد النسائي المصري لرئيس مجلس الشيوخ والنواب.

حضرة صاحب المعالي..

أتشرف بأن أرفع لهيئة المجلس الموقرة هذه المذكرة رجاء أن تنال منه رعاية وقبولًا.

جاء بخطبة العرش التي فتح بها البرلمان في دور انعقاده الأول بين المشروعات التي اعتزمت الحكومة تنفيذها أثناء ذلك الدور العمل على ترقية المرأة أدبيًّا واجتماعيًّا وحماية الأمة والعناية بالأطفال. وقد زادنا غبطة وسرورًا أن قوبلت عناية الحكومة هذه من بين المشروعات الأخرى التي وردت بالخطبة من حضرات النواب بالاستحسان والتصفيق الحاد. كل ذلك أطمعنا في أن هذا المشروع سيكون من أول المشروعات الموعود بها تنفيذًا وتحقيقًا.

ولما طال العهد ولم نسمع ذكرًا لتنفيذ هذا المشروع لا في دوائر الحكومة ولا بين مقترحات المجلس، حملنا ذلك على أن اشتغال الحكومة بالمسألة السياسية أفضى إلى هذا التسويف، فاتفقت لجنتنا النسائية والاتحاد النسائي على تقديم مذكرة تشمل أوجه الإصلاحات الضرورية لتحقيق ما وعدت به الحكومة من العمل على ترقية المرأة.

وبعد الاطلاع على هذا التقرير، تبين أنه لم يحصل إسراف أو تنازل في الطلبات، بل وضعت بطريقة لا يشق على الحكومة العمل على تنفيذ الأهم منها.

وكنا فيما كتبناه نعتقد أننا سهلنا في خطبة العرش ولم يكن يخطر في بال أحد أن الحكومة إذا لم توافق في الدور الأول بسبب تلك المشاغل لتحقيق ما وعدت به– تهمل في خطبة العرش الأخيرة هذه المسألة إهمالا كليًا دون أي إشارة تدل على أنها لا تزال ذاكرة عهدها في خطبة العرش الأولى، مع أنها

عنيت في التنصيص فيها على موضوعات شتى منها ما هو أقل أهمية من مسألتنا كتنصيصها على إصلاح نتاج المواشي وتحسين الأسمدة.

ولا شك في أن إصلاح المرأة، وهي نصف المجتمع مجموع الأمة، من أهم المسائل الحيوية التي لا يتأسس استقلال أمة على قواعد ثابتة بدونها.

فليس بدعًا أن تقع في نفوسنا دهشة من إغفال الحكومة لهذه المسألة الكبرى وهي تعرض برنامجها على نواب الأمة للمرة الثانية من انعقاد البرلمان.

ومما يزيد في أسفنا أن الحكومة لم تقف عند حد هذا الإغفال، بل تعدته إلى حد تعطيل روح بعض القوانين التي صدرت في مصالح المرأة قبل توليتها الحكم. فقد أصدرت منشورات للمحاكم الشرعية تجيز إثبات سن الفتاة عند عقد زواجها شهادة أقاربها، مع أن القانون يقتضي لإثبات السن تقديم وثيقة رسمية ولم يصدر إلا ليكون بين الفتاة وأقاربها. ولهذه المناسبة نذكر أيضًا أن الحكومة استبقت العمل بتلك القوانين الرجعية القديمة التي تمنع قبول الفتاة في المدارس العالية وتمنع قبولها في الامتحانات الثانوية والنهائية.

لذلك نرجو أن يتدارك المجلس ـ وهو المسؤول المباشر ـ حماية مرفق من مرافق حياة الأمة عند الرد على خطبة العرش ما فات الوزارة في هذا الباب وكلنا أمل في وطنية نوابنا الكرام أن تجاب هذه المطالب.

وتفضلوا بقبول فائق احترامي

## السيدة عائشة التيمورية

هي عائشة عصمت ابنة المرحوم إسماعيل باشا تيمور بن مُحَمَّد كاشف تيمور. ولدت سنة ١٢٥٦ هجريًّا بمدينة القاهرة، وكانت شاعرة ثائرة وضعت لباب الأدب في مهد الطفولية وتضلعت باللغات العربية والفارسية والتركية وقد تعلمت على أستاذتين من النساء إحداهن تدعى فاطمة الأزهرية والثانية ستيتةالطبلاوية، فأتقنت علم النحو والعروض وأخذت تنظم القصائد الرنانة والأزجال المتنوعة والموشحات المبتكرة، فجمعت منها ثلاثة دواوين أحدهما: بالتركية واسمه "شكوفه" طُبع بالأستانة العليا. والثاني: بالعربية سمته "حلية الطراز" ثم كتاب "في نتاج الأحوال". وقد انتشرت مؤلفاتها انتشارًا دل على سمو مكانتها من الآداب والعلم، ومن بديع شعرها قصيدة نقتطف منها ما يأتي:

| | |
|---|---|
| بيد العفاف أصون عز حجابي | بعصمتي أسمو على أترابي |
| وبفكرة وقادة وقريحة | نقادة قد كملت آدابي |
| ولقد نظمت الشعر سيمة معشر | قبلي ذوات الخدر والأحساب |
| ما قلته إلا فكاهة ناطق | يهوى بلاغة منطق وكتاب |
| فجعلت مرآتي جبين دفاتر | وجعلت من نقش المداد خضابي |
| كم ذخرفت وجنات طرسي أنملي | بعذار خط أو أهاب شبابي |
| ما ضرني أدبي وحسن تعلمي | إلا بكوني زهرة الألباب |

ما سألني خدري وعقد عصابتي وطراز ثوبي واعتزاز رحابي

ما عاق خجلي عن العليا ولا سدل المنار بلمتي ونقابي

كالمسك مختوم بدرج خزائن ويضوع طيب طيبه بملاب

أو كالبحار حوت جواهر لؤلؤ عن مسها شلت يد الطلاب

وقضت ابنتها في شرح الشباب، فأثر عليها هذا المصاب جدا ورثتها بقصيدة طويلة نقتضب منها ما يأتي:

إن سال من غرب العيون بحور فالدهر باغ والزمان غدور

فلكل عين حق مدرار الدما ولكل قلب لوعة وثبور

لبست ثياب السقم في حفر وقد ذاقت شراب الموت وهو مرير

جاء الطبيب ضحى وبشر بالشفا إن الطبيب بطبه مغرور

فتنفست للحزن قائلة له عجل ببرئي حيث أنت خبير

وارحم شبابي إن والدتي غدت ثكلى يسير لها الجوى وتشير

لما رأت يأس الطبيب وعجزه قالت ودمع المقلتين غزير

أماه قد كل الطبيب وفاتني مما أومل في الحياة نصير

أماه وقد عز اللقاء وفي غد سترين نعشي كالعروس يسير

وتجلدي بإزاء لحدي برهة فتراك روح راعها المقدور

صوني جهاز العرس تذكار فلي　　قد كان منه إلى الزفاف سرور
فأجبتها والدمع يحبس منطقي　　والدهر من بعد الجوار يجور
بنتاه يا كبدي ولوعة مهجتي　　قد زال صفو شأنه التكدير
لا توصي ثكلى قد أصاب فؤادها　　حزن عليك وحسرة وزفير
قسما بغض نواظر وتلهفي　　مذ غاب إنسان وفارق نور
وبقبلتي ثغرًا تقضي نحبه　　فحرمت طيب شذاه وهو عطير
والله لا أسلو التلاوة والدعا　　ما غردت فوق الغصون طيور

ولها في النثر مقالات شائقة ووسائل متناهية الرقة والمتانة وقد أجابت دعوة ربها سنة ١٣٢٠ عن ٦٤ عامًا قضتها بين المكاتب والمحابر، فلن تدع لولادة مقالًا ولم تترك للأخيلية مجالًا.

**ومن نثرها رسالتها المسماة التأمل في الأمور:**

## التأمل في الأمور

الحمد لله الذي أضناه سبيل الهدى بسراج العقول وصير مواهب الرشد والإدراك أرفع مشهود وأمتع معقول ومهد بساط العرفات بتدبير همم الفحول وجعل منحة الإذعان أوثق دليل على مناهج الوصول. حتى لمعت بوارق هذا الفضل المشكور بأداء كل إنسان من إناث وذكور، فكم من ليال طوتها عن أيادي الفكر وسلبتها مني أكف التأمل بين أرق وسهر وكم أيام أرتني مرات الوقت بها عبر. غريبة إشكال وأشكال لمن اعتبر. وأنا بين جدران الخدر كقطاط سجتها المطر وعاقها عن الانسياب برق يخطف البصر أسرح أحداق الحيرة يمينًا

وشمالا لعلي أرى أسماء الصفو هلالًا لعقد الأزمة انحلالا، لسان الحال يقول لا لا. د

حقًّا لعين الهدى أن لا ترى وسنًا إذا رأي الوقت ما لا يحسن حسنًا

فرفضت الطباق لمن رفع الطباق وأوجد العدل في الإنصاف والإشفاق فناداني زعيم الجسارة. هلمي إلى مقصورة السلامة ولا تحذري الانتقاد والملامة وعليكي بإيضاح الدعوى من أولى الهمم والشهامة، قلت يا لها من خير علامة، أموجود هو يا عراف اليمامة، قال نعم. قال عليه الصلاة والسلام الخير في وفي أمتي إلى يوم القيامة. وهو علامة هاشمي متفقه معنوي، قد فرض علة نفسه إجابة الداعي والقيام بحسن المساعي وكأنني أراه بالباب، ولا حرج على منن الوهاب فقلت أهلًا بسارية الصبا وواسطة عقد الحبا. لا غرو في جرأتي عليك بقولي. إن لم تكن لي في الخلق، فمن لي! قف أيها العلامة بإزاء الستور وانظر بحاسة السمع إلى هذه الرقيم المسطور. لو لم تكن علامة تعي معنى هذا إلاسم وتفقه هذا الوسم وتعي وجه الدلالة عليه وتدرك حد الوقاية وتؤدي حق الرعاية إليه، ما خصصت بهذا اللقب الفخيم وتقلدت بذاك النعت الكريم. فبحق من توجك بجوهر الفضل الذي تعلقت بأشعته عليات الهمم وتمسكت بأسبابه نقيات الذمم.

إن لي مدة مديدة أجوب صعيد الأفكار وأجول في جزر تلك القفار واللهف يحثني شديد الحث على التدقيق في البحث. عن طبيب يواسي الجراح بمرهم شفاه ولبيب يشخص أسباب الداء، فتهدأ الآلام ببنات شفاه فوا أسفاه غش البصيرة ما غش فغميت عليها الأنباء وتراكمت عليها الظلماء، حتى توارت بتلك الحجب طرق السلامة وانطمست معالم الاستقامة، فخذ بيدي لا أراك الله ضيرًا وجزاك عني خيرًا.

لعلي أستظل بواد طاب غراسًا وزكي أنفاسًا ونمى بالإصلاح أغصانًا وأورق بالفلاح أفنانًا، كشف النقاء من ساق أشجاره وحيلت مذاقًا حلاوة أثماره يميل لنضارته كل غريب وقريب ويعشق بهجة منظره كل غبي وأريب. لاسيما من كانت هيولاه من تلك البقعة البهية الصفية النقية فله أضعاف الشرف والافتخار بنشر نفحات تلك الأزهار.

وها قد مددت إليك ساعدًا أرجفه السقام ويدًا قصرت بالضعف عن جذب الزمام، ناظرًا بإنسان العين إلى خيمة الظلام المضروبة على سبل المرام فاكشف بهمتك غاشية المغمى واهدني إلى طرق الرشاد، فإن الاسم ما دل على مسمى.

جمحت ركائب دهشتي في قفرها وإليك قد سلمت أمر زمامها

قد أراني من لا تراه العيون وأمره بين الكاف والنون، سبل الهدى والصواب فيما أمرنا بتلاوته من آيات الكتاب، فبين بصريح المقال حقوق الرجال على النساء والنساء على الرجال، فقال: "الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم". فالرجل يقوم بأمر الزوجة مجتهدًا في حفظها وصيانتها وأداء كل ما تحتاج إليه. ثم إن الحق لم يكتف بالحكم حتى بين السبب، بقوله بما فضل الله يعني بأمور لها وفرة في العقل والدين. ولذا جعل لهم الولاية والإمامة وجعل فيهم الخلفاء والأئمة وميزهم في الشهادة بين الأمة. فقال في آية أخرى: "فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحدهما الأخرى". وما ذلك إلا لتأكيد فضلهم ووثاقة عدلهم، وبقوله عز وجل: "وبما أنفقوا من أموالهم"؛ أي في المهر والمطعم والشرب والسكن والكسوة على حسب حال الأزواج والزوجات. كما نبه عليه في آية أخرى منه قوله تعالى "وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا يكلف

نفسًا إلا وسعها". أي على الوالدات.

وكما وجب ذلك بالنص وجب بالإجماع، فمن العجيب أن معشر الفتيان في هذا الزمان أعرضوا على تلاوة هذه الآيات فضلا عن تدبير معانيها ولم يعبئوا بشيء من ظاهرها ولا خافيها، حتى محيت من مدركتهم حقائق الأمور وشد الجهل بصائرهم بعصابة الغرور، فغرهم بالله الغرور، حتى أن كل إنسان هم بالاقتران من وضيع ورفيه وخامل ونبيه كان كل بحثه عن الحلي والحلل والضياع والعقار. لا عن النسب والتدين والعفة والوقار، فأقول:

أمــور تضــحك الســفهاء منهــا ويبكــي مــن عواقبهــا الحكــيم

فلا شك في أن هذا النسق مستهل الخيبة التي تذرف الصبيب من المحاجر والغسق الذي تضل بكالح غمته أولي البصائر. وهو الأصل الذي يحط بشرف الأمم ويحبط بل يهدم مباني الهمم تمتد فروعه إلى كهوف الوبار وتنتهي بحدود الويل والضلال. وأستغفر الله أن يعم قولي لرجال الرفعة والقوة وأسود محافل الفتوة والمروءة، وقد قال أسد الله الغالب علي بن أبي طالب:

وفي الناس دينار وفي الناس درهم وفي النـاس أقمـار وفي النـاس أنجـم

إنما أعني بمقالتي الذين جعلوا الكلال طرفة والطيش خفة والسلب تحفة والجبن أهنى حرفة ويدعون بالصورة الظاهرة أنهم رجال. فعلا أقول فيهم وربما ينفع المقال:

لا فخــر في اســم صــدق النــدا وعوامــل الأفعــال منــه تكــذب

بل وحقي أن أقول:

مــا الفخــر إلا في امــرء بيمينــه سـيف القـوى وبفرقـة تاج الهمـم

وإذا كان الظاهر عنوان الباطن وما في الجنان يظهر من فلتات اللسان، قد اتضح من حالهم وظهر من مقالهم ما أكنته الأفئدة وأضمرته النفوس من أن رغبة هؤلاء الفتيان من الاقتران ليست للصيانة والديانة ولا لطهارة العصمة وطيب العفة، بل لطمع المقال وحيازة الأموال والتصرف فيما تمتلكه ربات الحجال، ابتغاء مرضاة نفس دنية وذمة ردية، حتى إذا صار له الولاء على تلك الزوجة المطيعة، رفيعة كانت أم وضيعة، تمتع كيف شاء وأراح أفكاره من الأتعاب وألقى عن عاتقه حمول الأوصاب وقعد مستغنيًا عن الجهد في الاكتساب وسلم الزمام للهوى وانقاده لأمره وغوى واتكأ على آرائك الغرور وليس بزعمه خلع السرور، فينطلق إلى الخان ومحافل الإخوان بتلك الثروة المستعارة ولم يدر بأنه واقع في حبائل الخسارة، فتحتاط به أقرانه وتسدير به خلانه ويقوم جيش المداهنين بين يديه ومن المعلوم أن شبيه الشيء منجذب إليه.

فتارة يبتهج بحيث الأوتار وضرب الآلات وتارة يطرح أدوات المقامرات والنشاط يسمو ويزهو والندمان بالأقداح تمرح وتلهو وخيال الذهول يقول: هلموا أيها المفرطون وارتعوا أيها الجاهلون، ولسان الحال ينعيهم بقوله أيها الغافلون. أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون، ثم يرجع كل منهم إلى الدار كأنه ديار وهو لا يعي ما يقول ولا يدري كيف يتخبط ويصول. وعلى هذا الحال يمسي ويصبح ملازمًا أفعال النقص والاعتدال والضيم والوبال حتى إذا نفذ من يده الدينار والدرهم وغاب الصديق وحضر الويل والهم ويتكاثر الوهم وقد فر الرشد عنه وضاع الفكر منه، فتقابله الزوجة بأشد النفور وتقوم بالخدمة لكن بقلب مكسور كيف لا وقد خلت مدركته عن التدبير وجد الكف في التبذير والبيت لا يقبل في النفقة أعذار وحالة العسر

تأبى الاستتار.

فتقوم الزوجة بإدارة خدرها وتقاوم هذا العناء بصبرها، ومن ثم انتقلت السلطة إلى الزوجات وصرن ربات التدبير وآل النفقات وتخلت الرجال عن ما لها من الزعامة التي كانت أوجبت لهم الهيبة والوقار وتلثمت شهامتهم ببراقع الأدبار من الجبن والخجل ووافقهم هذا المثل.

وهو أن أسدًا تكاسل عن الصيد وغله الجبن بالقيد، فأمر لبوءته أن تنوب عنه وتأتي بالفريسة بدلا منه، فانقادت لأمره وسارت على ما عهدته من سيرة واستمرت مدة على هذا الحال. فلما طال الشرح عليها، صارت تصطاد وتأكل ما اشتهت من أطايب اللحوم ولذائذ الأكباد وتلقى إليه من فضلات ما بقي، فاشتاط الأسد غيظًا ورأى أن ذلك إهانة لوقاره ومجلبة لعاره، فقال لها: خزيت يا لكاع كيف تأتيني بسقط المتاع وتجسرين على أكل المطايب قبلي وتخفضين رفعتي وتنسين فضلي؟ إن كان غلب الشره عليك واستحيت أن تأكلي بحضرتي، فاعذلي أطايب الطعام وقدميها إلي أولًا كما جرت به العادة في سالف الأيام، فضحكت اللبوءة منه وقالت قد أخطأ وهمك وغلظ فهمك. إني لم أنس فضلك ولم أجهل قدرك ولكن كان ذلك مذ كنت أنت أنت وأنا أنا. أما الآن فقد انعكس الحال وصرت أنا أنت وأنت أنا، فلك علي ما كان لي عليك، فأفحم الأسد ورجع على نفسه باللوم رجوعًا وآلى على نفسه إلا يستعين بها على الصيد ولو مات جوعًا. فعلا أعض بنان نادم بأضراس أسف واكب بناصية ذل فوق كف حسرة بدمع واكف على رجال فضلهم العزيز الحميد في تنزيله المجيد بآيات بينات ولآل نيرات، فقال وللرجال عليهن درجة؛ أي منزلة ورفعة وأباح لهم التزوج بأربعة وأوسع لهم في التسرى ما شاءوا غاية السعة وجعل أمر الصحة بأيديهم عقدًا وحلًّا.

فيا أيها الرجال أن تعدوا نعمة الله لا تحصوها. فلم لا تعدوها؟ فكيف بفئة تتوجت بهذه اللآلاء وأضاءت مفارقها بثنا هذا الولاء لا تعي سر هذا الأمر الجليل ولا تفي بالشكر على نضارة هذا الجميل؟

قد أقر لسان الناطقين بأن النساء حبائل الشياطين، فخصت النساء بهذا النعت الوخيم وعرفن بذلك اللقب الذميم، فالمعول في تهذيبهن على أولي الفضل وفي تأديبهن على ذوي الهمة والعدل؛ فالزوجة منقادة لأوامر الزوج ومناهيه لأنها لا ترفل فيما يرضيها من حلي وحلل وغيرها إلا بهمم مساعيه وقد دل قوله تعالى: "ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف". أي أن للنساء على الأزواج حقوقًا يلزم حفظها ووجب مراعاتها من حسن العشرة وأدوار الخدمة وترك الأضرار، وأن حق الزوجية لا يتم إلا إذا كان كل واحد منهما يرعى للآخر فيما له وعليه، فيجب على الزوج أن يقوم بكل حقوقها ومصالحها، كما يجب عليها طاعته والانقياد لأمره. فإذا انقلب الموضوع وخفض بالعكسي المرفوع وصار لها عليه الولاء، كيف لا تلقي وشاح الخدر وترمي برقع الحياء؟!

فإن كانت من خبايا المصونات الصابرات وارت بازار الصبر كلما تلقاه وأغمضت بعين عفتها عن كل قبيح تراه وتوحشت بالحيل على تجلد الكتمان ودفنت هذا الويل بحدث قلبها الحزين الولهان ولم ترض صيانتها بإعلان نجوى الخزلان حذرًا من شماتة الأعداء وقهر الآل والإخوان وتجتهد في إطفاء هذا اللهيب بمدافق الصبيب وهو لا يزيد إلا ضرامًا ولا يقل فم الجفن بلسان الدمع يا نار كوني بردًا وسلامًا. فإن لم تبلغ الأمل وصادف قصر الأجل، تسعرت جذوة الحسرات وأحرقت حديقة الحياة فتيبس أغصانها وتحترق أفنانها وانقلب الظل بالحرور وبدلت القصور بالقبور، فتيتمت عيالها ونعاها بالصيب آلها والزوج لا يرثى ليتم الأطفال ولا يكترث بنجيب الأقارب والآل، بل يأخذ من

الميراث ما لقي وأبقى ويجعله صداقًا لمن يلقيها في أكفة الشقاء.

وإن كانت سليطة اللسان، ضعيفة الجنان، فلا يسعها إلا المبادرة باللوم والمشاجرة وعلت بينهما الضوضاء صباحًا ومساءً، فيسمع البعيد والقريب ويفهم العدو والحبيب وانقلب الامتثال والطاعة بالغرور وتبدلت ألفة الأُنس بالنفور، فلا طاقة له حينئذ على التأديب ولا جراءة عنده على التهذيب؛ لأنه إن هم بشهامة الرجولية وأظهر أبهته الأصلية وشدد في الزجر ونهض للعقاب، انقطع حبل الاتصال وطلب الحساب فطال سحبه عند الحكام ودارت عليه الأحكام وثبتت عليه الحقوق وهو صفر الكفين، خالي الصندوق. ولأولي البصيرة نظرًا في مستقبل هذا الحال وتبصرًا فيما يؤول إليه من الاضمحلال.

هنالك لا يسعه إلا السكوت عن الجواب والاستعانة بالمداهنة التي تراها عين الصواب، فيرضى بكل ما يلقاه ويغض الطرف عن كل مستقبح يراه ويستعين ببعده عن الدار، فيقضي النهار في الحوانيت والخانات والليل بالحدائق والحانات، فيسمع الآلات ويشاهد رقص البنات. وإذا أتى المنزل نام في الحال؛ خوف المرافعة في القيل والقال وإذا انتبه أسرع بالفرار واتخذ البورصة قرارًا وبئس القرار.

فأجبني أيها العلامة بعزة فضلك وعين عدلك. كيف تستقيم الزوجات وهي تكظم الغيظ مع الزفرات، وأنى لهن السكون والصبر وهن بين هجر وهجر ونضارة عنفوان الشباب تلمع بنواصهن وطراوة صبا الصبا تلعب بذوائبهن وحسرة ضياع ما لهن تومض بصدورهن وجمرة طول الهجر تستعر بأفئدتهن فلا يكفي هذا الحال مجلبة لكل أسف ومقذفة لكل عار وتلف.

وطبعًا ترى كل منهن قصرها العالي سجنًا غير محدد ونطع طلمها بسيف العدوان مقلد، فيحرها الضجر على الخروج إلى بيت الجيران، فتشكو بثها

وحزنها وتنفس عن قلبها وتستجير عن عذابها وكربها، فتبادرها السيدات المحصونات بحسن العبارات ويضربن لها الأمثال في نتائج الصبر وحسن عواقب السكون ونيل الأجر ويهونن ما هي فيه وما تلقاه وتقاسيه، فيسكن برهة جأشها ويزهو ساعة انتعاشها بقول تلك العفيفات (وقليل ما هم)، فتجد في ذلك الراحة وتجبر لكثرة الخروج للزيارات في تلك الساحة. ومن المعلوم أن ليس كل غصن يميله الصبا ولا كل واد تسكنه الظبا، حيث لا يخفى على السامعين حالة البيوت الآن، فإنها كانت قبل وجود الحرية للرفيق محافظ الضرر وإدراج الغرور وبعدها صارت مخازن الآلات ومخابئ الويلات. لا تخلو من الدخول فيها والخروج منها خصوصًا دور الأكابر والأعيان التي كانت لا تدخل إلا باستئذان، وقد كانت الأسافل لا تدوس لها بساط والفجار لا ترى منها سم الخياط وكانت القصور خزائن الأسرار والغرف مقاعد الأبرار والجوار يقمن بالخدمة ولسيداتهن إجلالًا وطاعة وامتثالا خوفًا من سوء المعاملة.

ولما فتحت أبواب الحرية، ظهرت خبايا أخلاق تلك الطائفة الوحشية، فأيقن إلى ذرائب البوظة للرقص مع العبيد لا يرغبن في وعد ولا يرهبن من وعيد، فخلت منهن المنازل وتخلت عنهن المحافل، فاحتاجت السادات إلى البدل وإن كان من الرعاع ليقوم مقام المبدل منه في خدمة البيت وحفظ المتاع فأدى الأخطار وشديد الأعذار إلى استخدام من لا خلاق لهن ولا أخلاق، فانصرم حبل الأصول من كثرة الخروج والدخول وصارت الدرة المصونة وما بها من الدرر المكنونة، ملعبة لأيديهن مرآة لأعينهن فربما رأت إحداهن تلك المصونة وهي تشكو ما هي فيه وتبث ما تلقاه وتقاسيه، فتتقدم إليها بالإغواء والخيانة وتريها بالمداهنة كل حنانه وتوسه لعن ذاك الزوج وسبه وتعلن شتمه وصخبه.

وربما كان من بيت المجد والكرم يأنف أن تكون مثلها بأبوابه من الخدم لكن لا حرج على ألسنة الأسافل ولا الحياء من خلق الأراذل. إنما أقول الجزاء من جنس العمل هو الذي جعل شرفه جذاذًا ونفسه عرضة لهذا.

والحاصل أن تلك الزمرة الوقيحة الدنية تجذب بأذمة مكرها وخبثها هاتيك التقية النقية وتسلبها بأقاويل المداهنات محفوظة بالفكاهات، فتصغى بسمع جهلها إليها ويعتمد ذهنها الطائش عليها، فيبادرن بقولهن علام تحسبين نفسك في هذا المنزل. ألكي ثلاث أرواح؟ إنما هي روح واحدة. أتصبرين على هذا الضيم والهجر وأنت فريدة في الجمال بهية المنظر رقيقة الدلال؟ جل من أنشأكي منية لمن يراكي. اخرجي إلى الحدائق والبساتين واستنشقي عرف الأزهار والرياحين وتنزهي بمناظر الأسواق وادخلي الحوانيت والمغازات، لترى ما لم تريه من تحف البضاعات، فتقول أخشى أن يراني من يعرفني فأكون عرضة للملام واتسم بسمة اللئام، فيقلن لها كيف ذلك ونحن لديك أشفق عليك من والديك. ألم تري حرم الأمير فلان؟ ألم تعرفي ابنة الأمير فلان؟ كانا قد أشرفا على الهلاك من حبسهن في المنازل وسوء أفعال أزواجهن، فأغثناهن بشفقتنا حتى صارا يتنزهن ويتفسحن كما يرغبن، فغدون اليوم كالبدور الزاهيات ولم يتجاسر أحد أن يتفوه في حقهن بأدنى كلمة لأننا نعرف ما لا يحصى ولا يعد من النفاثات في العقد، فيعتقدون السنة الكبير والصغير والغني والحقير والمراد أن يسلبوا ما بقي من الحلي واللباس لتمام حالة الإفلاس. والحال أن المصونات الذين يرمونهم بالبهتان لم يكونن أبصرنهن ولا يعرفوهن، فتشكر تلك المسكينة فضل ذاك الفواجر المسولات وتخرد كما أمرن وتمتثل بما به أشرن، فيستلمن تلك الخيبة وهي عن كل عيب خلية وقد غلبها الخجل والحياء وتمشي بينهن على استحياء وهن يسحبنها ويغررنها حتى تتعود وتتقوى وتغلب غفلة الجهل

على التقوى. ولكم يا أولي الأبصار نظر في مستقبل هذا الحال.

فيرى هذا الزوج المأفون كيفية هذا الحال ويشاهد التغير والانتقال، فتأخذه الغيرة الغريزية (وماذا يصنع؟) فتتقطع ورايد صبره وتنحل عرى جلده ويقوم بالتهديد والتكدير، فلا يجد هذا الأعزل ما يبطش به عار عن الشهامة برئ عن الشرف والفخامة. فبأي جارحة يقطع حبل ابتذالها وبأي قوة يفصل وصل اعتزالها؟ فما يجد غير قوله كيف تجترئين على هذه الأفعال وبأي جسارة تقدمين على هذا الضلال؟ أتخترقين حرمتي وتحبطين مقامي ورفعتي؟ ألم تدرِ من أنا، ألم تسمعي بسيرة أبي وجدي؟ ألم تعرفي بيت أبهتي ومجدي؟ وهو الغافل عن قولي:

إن الفتـــــوة قـــــوة ومهابـــــة　　　ليســـت بقـول المـرء كـان الوالـد

وقد طابق هذا السير هذا المثل.

خرجت حمامة من وكرها إلى عين ماء بجانبه، فلقيها بالباب صقر وغراب، فأعجب الصقر نضارة تلك البقعة ووفرة أثمارها وكثرة أزهارها وعذوبة ماءها، فتقترب من الحمامة سألها لمن هذه الأرض وهذا النبات الغض. قالت هي لي توارثتها عن آبائي. فقال لها هل تتزوجين بي وأشاركك في هذه النعم؟ ففرحت الحمامة بشرفه واستغربت تنازله إلى اقترانها، فأجابته بالبشاشة نعم، لكني أشاور أمي فأتني في الغد، ثم طار إلى سبيله فتقدم الغراب وقال لها أترضين باقتراني لتكوني معي في بقعتي وتتنعمي بأنعم همتي وتتباهي بمجالب سعي وقوتي؟ فقالت وهي معرضة عنه مظهرة للنفور منه أجاوبك بعد غد. قال وعزة أبيك لا تنظري إلى صورتي واضع لسماع سيرتي واعلمي أنك ستفتخرين على أقرانك برفعتي وحسن إدارتي ثم طار أيضًا إلى سبيله، فأتت هي إلى الوكر فلقيتها أمها فأخبرتها ووضحت لديها ما سمعت فتبسمت الأم وقالت لها أراك تذكرين الصقر

بالبشاشة والغراب بالإعراض. أغرك رفعة جنسه وحسن عيونه وشهامة اسمه وعلو صيته؟ وما الفائدة في اسم على غير مسمى؟ الويل لك يا جاهلة. تأملي واعقلي لو لم يكن هذا الصقر أحمق جهولا عديم الهمة ما قدم إلى هذا الخذلان ورضي بالجبن وأكل أنعم النسوان. فالرأي الصواب والأمر المستطاب والقول المجاب هو ما قاله الغراب وقد غاب عنك يا هفية ما قالته التيمورية:

المجـد ينشـأ بيتًـا لا جـدار لـه          والجـبن يهـدم مـا أنشـأته آباء

وقولها:

كم من وضيعٍ غدت ترفعه همته          حتى سما فوق من قد كان يسموه

فتلقت الابنة القول بالترحاب واقترنت بالغراب وعاشت معه عيشة هنية وتمتعت بنعم أخلاقه المرضية.

فأجبني أيها العلامة.. ما الفائدة بافتخار المرء بنسبة وما النتيجة في التفاضل الوهمي بحسبه، إذا كانت الأفعال تناقض الأقوال؟ وما الفائد على تلك المظلومة من بيت مجد السلف إذا هدم علاه بخيبة الخلف وصار ذلك المشيد عرضه للتلف. فهل ينوبها إلا الأسف على ضياع الشرف؟.

فاعذروا أيها المتأملون واعقلوا ولا تبسطوا ألسنة اللوم إذا رأيتم كواكب الكواعب رضيت بانحدارها عن الأبراج وتنازلت إلى غير كفؤها وجنسها من الأزواج، حيث إن كلا من ذوي الإنسانية وعاليات الأبواب صار بالكيفية المتقدمة عن كل شرف ساهٍ ولاهٍ وأضاع دينه ودنياه. فكيف الرضا باقترانهم والرغبة في انتسابهم، وكيف لا تكيل المدركون عنهم بكل ملل وقد طابقهم هذا المثل؟

اتفق أن فارسان خرجا إلى ضيعة لهما، فأسند عليهما الهجير وأخذ بهما العطش، فرأيا شجرة عظيمة الساق، سانحة الأغصان، وريفة الأفنان، ففرحا بها وقصداها يستظل بها، فقدما عليها وكانت الأرض مذبذبة بالري، فهزها الريح فسقطت منها ثمرة وكانت شجرة سفرجل، فقال أحدهما للآخر تحتال بالسهم في جلب تلك الثمرة البهية حتى تصل إليها، فتدرأ عنا حرارة الأورام ببرودتها ويدفع مرارة الأفواه بحلاوتها.

فقال الثاني: أخي.. لا يعرك عظم الساق ورفعة الإغصان. فما كل الأثمار تفيد نقاوة الأشجار وهذه الثمرة مقطوعة النفع؛ لأن باطنها مسوس وظاهرها ملوث. لو كان فيها الخير ما عاقها الطير ولا لعب الهوى ورماها من شاهق عال إلى هذه الأوحال. فإن لم تصدق فدونك والسهم والاحتيال فاحتال الطالب حتى جلبها فإذا هي كما قال.

فاستغفر الله أن أكون مدعية بالفضول، متطفلة بالدخول، على محافل الفحول وأنا أدري بحيثيتي النسائية وأعلم تهافت قدرتي في هذا الميدان ولا أنكر انزوائي بين الجدران وأقر بضعفي الذي هو ثابت للعيان. ولكن جريت في سبل الأخطار وقرعت باب التذكار وقادني بالعنف بلبال هذا الأمر الوخيم. وحرضني الأسف الملم المليم، فجئت أمشي على استحياء متوكأة على عصا الرجاء، ألتمس إنقاذ عصبتي من أخدود الملام ونجدة زمرتي من قذف السنة الخاص والعام وتداركها بالوقاية في أكناف الصيانة وإظلالها بظل الإعانة والعناية وذلك بالتفات أولي العزم وتوجهات ذوي البصيرة والحزم. هذا وإني لا أشك في نجدة الالتفات والاقتباس من أنوار التوجهات، حيث إن مرآة العصر مجلوة غاية الجلا وبدوره نيرة في أفق العلا وقد تقلدت بالمهابة رجاله وتمنطقت بالعناية أبطاله. رفعوا بأيادي العدل رايات الفنون وأبسطوا بسواعد الفضل سجلات الأماني

للعيون، فتب عني أيها العزيز في كل محفل أضاه بهاتيك الأنوار ولمعت به تلك الأسرار وقل عني.

أيها السادة الأخيار والنبلاء الأبرار. الحمد لله الذي من أنعم وأنار سبل الآمال بمصابيح الهمم ومهد طرق الاستقامة بنضارة الذمم. قد تمسكت بمكارمكم المنيفة وتشبثت بحسن توجهاتكم الشريفة أن لا تنبذوا خطاب هذه الضعيفة ولا تعيسوه بأقوال النساء السخيفة. فلا تلتفتوا إلى من قال وانظروا إلى ما قال:

ذويبـــة صـــحراء تـــئن وإنمـــا يقر بفضل النحل من ذاق شهده

والحق أنتم أحق بالغيرة على معشركم مني وأقدر، بل وأجدر بالحمية على صواحبكم عني. وقد أوسع الله لكم ميادين الهيبة والقوة ومهد لكم مهايع الأبهة والمروءة وقلدكم بأسنة البلاغة ومنطقكم بمناطق الإفصاح والبراعة، فحاشا أن تسعو عن الإصلاح مساعيكم وهمتكم تحقق قول هذه الضعيفة فيكم:

لهـم همـة غـرا تغـار مـن الصـبا رجـال بأبـواب المهابـة رصـد

وقلت أيضًا:

إن الرجـال أسـود عـزت رفعـة تسطوا على روض العلا وتصول

لهـم النضـير بكـل غصـن الثمـر وسـاعد للسـاميات تطـول

حـازوا المكـارم تحت عـزة فضـلهم وشـهودهم بـين الآنام عقـول

فلكم اليد الطولى في جذب من غسله الملال وشد جوارحه الكسل والكلال، حتى ألقاه الضلال في أخدود الحيف والوبال وأقصى التماسي أيدكم

الله. أن لا تبخلوا ببذل نقود النصح على المحتاجين وتتصدقوا بدنانير الوعظ على المفترقين. فأراكم أجدر بالتفتيش فيما بسطه والبحث فيما وضحته.. والسلام.

# السيدة زينب فواز

هي الكاتبة المصرية الشهيرة والشاعرة البارعة الأديبة السيدة زينب بنت علي بن حسين بن عبيد الله بن حسن بن إبراهيم بن مُحَمَّد بن يوسف فواز، ولدت سنة ١٨٦٥ ميلاديًّا في قرية تبنين ضمن قائم مقامية صيدا التابعة لولاية بيروت، ولما بلغت العاشرة من سنها، أتت الإسكندرية وشرعت تدرس القراءة والكتابة على الأستاذ الشيخ مُحَمَّد شبلي من خريجي جامع الشيخ إبراهيم باشا في الإسكندرية وأخذت بعد ذلك الصرف والبيان والعروض والتاريخ عن الأستاذ حسن حسبي باشا الطويراني، صاحب جريدة النيل ثم الآنشاء والنحو عن الأستاذ الشيخ محي الدين النبهاني، فنبغت في تلك العلوم ومالت بعد ذلك إلى نظم الشعر، فأجادت فيه ولها ديوان شعر كبير لم يطبع بعد.

ومن بديع قولها:

للشـــرق فضـــل في البريـــة أنـــه ... يأتي الوجـود بكـل حسـن معجـب

والغـرب أظلـم مـا يكـون لأننـا ... نشـفى بفرقـة شمسـنا في المغـرب

وقالت مشطرة ببيتين لأحد الشعراء ثم خمست الأصل والتشطير معًا:

أي زمـرة الخـلان يا صـاح تبتعـد ... عن الصدق وإلاخلاص والحقد يتقد

أراهـم حيارى حيث لا قلب متحد ... أمنــت إلى هــذا وذاك فلــم أجــد

من الخلق من ارجوه في عالم الحس

حرمت بدهري من طريف وتالد لدى أمة لا تنثني عن مكائد

فأصبحت أخشى منهم كل رائد وما رمت من أبناء دهر معاند

اخاثقة الا استحال الى العكس

أخذت طريق اليأس والصبر منهجا لعلي من سقمي أرى اليوم مخرجًا

ولكن رأيت الصبح يزري به الدجي فأيقنت أن لا خل في الكون يرتجي

من الناس حتى كدت أرتاب في نفسي

فؤادي لا يعنو ولا يقبل الضنى وقد منيت باليأس منهم نفوسنا

فأبديت فكري بائساً وأنا أنا وأصبحت مرتاباً بمن شط أو دنا

وإن كان في المريخ أو جبهة الشمس

لعمرك ما أزرت بقدري خلتي وقد أعجز الحساد صبري وصمودي

ألا فانظروا في الكون يآل ملتي فمن ذا الذي في الناس ينظر حالتي

ولا يلعن القرطاس والحبر والقلم

وقالت مهنئة موالنا السلطان الأعظم بعيد جلوسه سنة ١٩٠٥

عيد الجلوس على سعد السعود علا وغيهب النحس عنا شط وارتحلا

ويومه زاد في الأفلاك بهجتها وزينت مصر حيث البشر قد شملا

وجنـة العيـد قامـت تحتفـي فرحًـا مقرونـــة بســـخاء غيثــه هطـــلا

فأشـعلت ضـوئها بالكهـرباء وقـد جـاز الحـدائق حـتى السـهل والجـبلا

وتلـك رايات مصـر صـفقت طـربًا يـوم الجلـوس وضـج الجمـع مبـتهلا

بقولـــه دم أمـــير المـــؤمنين لنـــا ركنًـــا ركينًـــا وكهفًـــا لا ينـــال ولا

أرسـلت للعلـم ضـوءًا فاسـتنار وقـد كـان انـزوى زمنًـا واليـوم قـد كمـلا

تـذكار مـولى الـورى عبـد الحميـد لنـا روح الحيـاة ونجـم البـؤس قـد أفـلا

فاستبشـروا معشـر الإسـلام أن لنـا حصـنًا منيعًـا يـرد الخصـم معـتقلًا

ومن قولها التخميس الآتي:

هـل للشـجي ارتيـاح في ربوعكمـا أم يرتجـى أنـس مخـزون بقربكمـا

أم للكئيـب المعـنى مـنح فضـلكما يا صـاحبي الخمـر في كؤوسـكما

أم هذه غير ما در العناقيد

أعن كؤوس الصفا اعتاص بالاحن أن ارتضى بصروف الدهر والمحن

هـل المزاهـر والأكـواب تطـربني أم هكذا الراح أن دارت على شجن

أو في كؤوسكما هم وتسهيد

هـذا محـال علـى مـن لازم العلـلا وحـالف السـهد والأشـجان منشـعلا

منامـه قـد جفـاه والسـهاد حـلا لا ينفـع الأنـس مكلـوم الفـؤاد ولا

هذي المدام ولا تلك الأغاريد

كـــأنني ميـــت لا روح في بـــدني          إذ لا صـــديق إليـــه أشـــتكي حـــزني

لا الـــراح يومًـــا ولا الأوتار تنعشـــني          أصـــخرة أنا مـــا بي لا تحـــركني

مجالس الأنس والأقداح والغيد

ولصاحبة الترجمة مقالات عديدة نشرتها في الجرائد والمجلات تشهد لها بطول الباع في فنون الأدب، ومما تفردت به هذه الفاضلة حبها لبنات جنسها وتصدرها للدفاع عنهن في كل سانحة وكثيرًا ما ناظرت الكُتاب والأدباء في هذا الموضوع؛ رغبة منها في تعزيز شأن المرأة الشرقية وتمهيد سبل تقدمها. وفوق ذلك، فإنها جميلة المنظر عذبة المنطق لطيفة المحضر بعيدة عن الادعاء والكبرياء، تجتنب الكلفة والمجاملة في أحاديثها وهي من خبرة ربات البيوت علمًا وتربية وإتقانًا.

إلا أن قيامها بهذه الواجبات النسائية لم يعقدها عن الاشتغال بفنون الأدب كما تشهد تآليفها العديدة التي منها كتاب "الدر المنثور في طبقات ربات الخدور"، جمعته من كتب تاريخية وأدبية تقرب من ٤٠ مؤلفًا عدا ما التقطته من المجلات والجرائد من المقالات النسائية التي أيدت فيها ما ذكرته في كتابهم عن تقدم المرأة الشرقية بفضل العلم الذي أتيح لها أن تطرق بابه ولا يخفى ما في عملها هذا من المشقة وما يكلفها من نفيس الوقت فوق ما وكل إليها من الأعمال البيتية.

وقد جمعت مالها من نفيس الأقوال في كتاب دعته "الرسائل الزينبية" ولها ثلاث روايات أدبية هي حسن العواقب، والهوى والوفاء، والملك قورش. ولها كتب أخرى لم تطبع حتى الآن هي كتاب مدارك الكمال في تراجم الرجال،

وكتاب الجوهر اليضيض في مآثر الملك الحميد. ولا تزال هذه السيدة مثالا للفضل والإقدام، لا تمل من الكتابة والتأليف عاملة على تقدم بنات جنسها وفائدتهن.. أكثر الله من أمثالها اللواتي اتخذن لهن من القرطاس مرآة ومن المداد خضابًا وجعلن لذواتهن من الآداب حلية ومن العلوم جلبابًا.

## المختار من نثرها

### ليست السعادة بكثرة الأموال

مضى زمان والمرأة منا، نحن الشرقيات، مغلق أمامها باب السعادة لا تعرف نفسها إلا آلة بيد الرجل يسيرها كيف شاء ويشدد عليها النكير بإغلاظ الحجاب وسد أبواب التعليم وعدم الخروج من المنزل وبحرمانها من حضور المحافل النسائية العامة، إلى حد أنه كان يخيل لها أن تلك الأفعال من الموبقات لو اتبعتها لخلت بنظام شرفها وناموس صيانتها، وحجة الأزواج في ذلك أنها لو علمت المرأة كنه الهيئة الاجتماعية وأحوال طبقات الناس، فإنها تصير على زعمهم غير راضية بعيشتها كارهة لحكم زوجها الجائر، فيوجبها العلم والتعلم إلى أن تشق عصا الطاعة وتخرج من ربقة العبودية إلى ميدان الحرية. هذا إذا كانت المرأة فقيرة والرجل غنيًا.

وأما إذا كان الرجل فقيرًا والمرأة غنية، فإن زوجها يتمكن من أن يمضي عليها أوامره المار ذكرها بدعوى أنه يحبها الحب المفرط ولا يقدر على مقاومة الغيرة الناشئة عن هذا الحب الذي يحكم عليه بإمضاء ذلك الحكم، فتضطر المرأة إلى الإذعان لسماع أوامره، فتعيش تحت طي الخمول مطروحة في زوايا الغفلة. ولهذا السبب ترى القليل من أولادنا من يتصف بالنجابة والنباهة. أما الآن فقد انقشعت تلك الحجب الكثيفة والحمد لله وسطعت أشعة شمس الشرق من ورائها وعاد مصرنا للتقدم والإصلاح وانتشرت أنوار المعارف

والنجاح، وقد شيدت المدارس والندوات. وإذا لنا بتعلم العلوم واكتساب الآداب والفنون. فعلينا الآن أن نشمر عن ساعد الجد ونجتهد في تحصيل سعادتنا وحيث لا تتم سعادة المرأة إلا إذا اتصفت بصفات تمدح بها وتشعر بكمالها، كالأخلاق الحميدة المهذبة ولين العريكة والعفة والذكاء والرصانة والآداب والخبرة بفن تدبير المنزل وحسن السلوك والاقتصاد في معيشتها وحسن تربية أولادها، إلى غير ذلك من الصفات التي لا يتم شأن المرأة بدونها. فإذا اتصفت المرأة بهذه الصفات، حسن ذكرها عند العموم وكثر مادحوها وزاد اعتبارها بين بني جلدتها وذويها، فتشعر حينئذ بلذة الحياة وحلاوة العيش وهذه هي السعادة الحقيقية، لا كنز المال والحرص على الدرهم والدينار كما كان يزعم البعض.

قال بعضهم إن السعادة هي الكمال العقلي الذي نيط به الثواب والعقاب والتكليف، ومن هنا نعلم أنها السعادة المقررة. ولذلك نرى كل أمة من الأمم إنما تمدح بأئمتها عقلًا حتى أنها تتغالى فيه بحسب درجته، فمنهم من جعله إلهًا كاليونان في بادئ أمرهم ومنهم من جعله نبيًا ومنهم من جعله وليًا ومنهم من جعله عالمًا فيلسوفًا، فمنشأ هذه المراتب المتفق عليها وجرثومة هذه الدرجات هو العقل الذي بكماله يتم للإنسان ما أراد به ويسود على من هو دونه؛ فالسعادة الحقيقية هي انقياد البهيمية للنفس الناطقة وانقياد الهوى للعقل. وعلى هذا يكون طريق السعادة التخلق بالفضائل واجتناب الرذائل والترشح للكمالات القدسية والتطهر من رجس الأعمال الدنيوية الحاصل للطبع بالتطبع، فلنجهد النفي لاستحصال هذه الخصال لندرك بها السعادة ونتحصل على استحقاقنا بأن نغدو أهلا لنشيد دعائم أساس النوع الإنساني كما هو مطلوب منا معشر النساء أمام الهيئة الاجتماعية. على أنني أقدم معذرتي

لحضرات القراء الكرام كوني تطفلت على نادٍ لست من أخدانه وجاريت في ميدان لست من فرسانه.

### تقدم المرأة

تأمــل ســطور الكائنــات فإنهــا 	مــن المــلأ الأعلــى إليــك رســائل

لا يخفى أن الزمان أدوار والأيام أطوار ودور للصلاح وطور للفساد ودور للراحة. وقد مضت هذه الأطوار في القرون البالية والعصور الحالية، إذ كان ليل الجهل أرخى سداله ومد فيها شراعه وأقام الاستبداد حجابًا بين الشرق والعلوم، فجزى الله الأعصر الأخيرة خيرًا عن الإنسان كيف أدبته وهذبته ورقته إلى مدارج السعادة والخير ولقنته دروس الحياة والمعارف ولولاها لبقي ولو عُمِّر عمر نوح وحشيا جاهلًا كما كان في النشأة الأولى وكيف لا نشكرها وقد هذبت الإنسان ودربته ومرت به على الحوادث وحثته على حفظها، فتذكر وسمع وشهد فقاس واستنبط من مجموعها عبرة صورها أمامه في الأعمال، حتى صار يقدر الأمور حق قدرها، فكد واجتهد فوصل إلى إتمام المبادئ العلمية وما زال هكذا سائرًا في طريق التقدم وسبيل النجاح حتى تكون من مجموع المجهودات الشخصية ارتقاء النوع الإنساني إلى ذوي الحضارة والتمدن. ولما كان الإنسان في الواقع ميالًا إلى الأثرة والاستبداد، فكان مفتقرًا إلى مرشد آخر غير ما اكتسبه من تلك الأعصر وحوادثها يكون ممثلًا في عين كل فرد من أفراد بني آدم. وليس هذا المرشد الأخير فيما أرى سوى الشريعة التي تدعو كل واحد إلى الوقوف عند حده في المعاملات والأخلاق؛ فلا يبخس أحدًا حقه ولا يغتصب منه ماله ولا يخدش ناموسه وشرفه. ومادام هذا المرشد نصل الأعين وملكة راسخة في النوع الإنساني، حَسُن حال الأمم، فصاروا أبناء بررة وآباء أتقياء وأمهات شفوقات وإخوانًا أصفياء وعاشوا عيشة راضية على أحسن حال

وأصفى زمان، فأفضى بهم حسن حالهم وتمكن الائتلاف من قلوبهم إلى السعي وراء منافعهم العامة والخاصة وصرف الجهد المستطاع إلى تأييد سعادتهم حالًا ومالًا.

ومن الشواهد على ذلك أن من قابل بين القرون الماضية والحقوب الحالية، حكم بالفرق الواسع والبون الشاسع بينهما؛ إذ بعد أن كان الظلم ضاربًا أطنابه والاستبداد سائدًا على جميع العالم، أصبح كل منهما وقد غشيها عناكب الاضمحلال ونبتت عليهما أعشاب الزوال وتنفس صبح العدل من فجر الحرية وافتر ثغره عن در المساواة المنضد وبدا منه عمود نور غمر الأنام في بحر ضيائه وكاد يخطف أبصارهم من سنائه هو الحرية والمساواة اللتان هما منار العمران وعلم الزواج وحجة التمدن والحصن المنيع دون حب الاختصاص والأثرة الذميمة وبها يحيا الحق ويزهق الباطل ولقد أنشئت المحاكم على اختلاف أنواعها، فصارت تحكم بين الناس بالعدل لا فرق هناك بين الكبير والصغير والغني والفقير والصعلوك والأمير وتأسست المدارس ورفع لواء العلوم والمعارف واتسع نطاقها في جميع الأنحاء حتى بلغ أقاصي المسكونة بعد أن كان لا يسمع إلا اسمها ولا يوجد سوى رسمها وكان يتعذر وجود فرد واحد في المائة من الناس يعرف القراءة والكتابة. أما الآن وقد تحسنت الأحوال وقويت الأمال وتعددت المدارس في جميع النواحي، لبثت روح الحياة الأدبية في عقول الولدان من الجنسين القوي واللطيف وصار لا غنى عن شرب رحيق المعارف والعلوم بأكواب الاجتهاد والجد والنشاط. كما لا مندوحة لحفظ الجسم من الفناء والفساد عن تناول المطاعم في مواعيدها المقررة إذ لا يخفى أن ارتقاء أي أمة لا يكون إلا بارتقاء أفرادها وتهذيبهم وقد صدق من قال وأحسن في المقال أن أطفال أي أمة عنوان مستقبلها ولقد أنشئت الجرائد العلمية والسياسية

وتداولتها أيدي الناس على اختلاف طبقاتهم وتباين أعمارهم ولهجاتهم، فصاروا يقتطفون من أشجارها النضيرة وثمارها اليانعة وأزهارها المفيدة. وللنساء اليد الطولى والفضل الأعظم في تحرير هذه الجرائد ومكاتبتها، فلطالما سمعنا بأنه يوجد كثير من النساء في الأقطار الأوروبية والبلاد الأمريكية فازت بأعظم سهم وأكبر نصيب في إشهار الفوائد العلمية والصناعية في الجرائد الدورية التي يتولين تحريرها وإدارتها بأنفسهن وكثيراً ما اتصل بنا خبر من جانب الأقطار وطوى القفار واجتاز الأنهار منهم متزييات بزي الرجال ومتحشمات أقوى المصاعب سعيًا وراء اقتطاف فائدة علمية يكاتبن بها الجرائد أو حبًا في استطلا ع أحوال البلاد والاستفسار عن عادات أهلها ومعتقداتهم. ولقد كان بين ظهرانينا في السنين السالفة، امرأة إفرنجية زارت مداين الشرق بأكمله والبلاد الإسلامية من المغرب الأقصى إلى ما يلي بلاد الهند؛ لتكتب بما تراه لأحد الجرائد الأوروبية الخطيرة وهذه المرأة الفاضلة هي المدام أوليمب أدوار صاحبة امتياز جملة صحف دورية شهيرة في فرنسا ولها عدة مؤلفات منها ما هو على مصر قد توخت فيه البحث عن عميق أسرارها ولم يختص بهذا الامتياز نساء المغرب، بل كان من الشرقيات أيضًا في القرون الوسطى القريبة منا من خلدن لهن في عصرهن ذكرًا على توالي الأيام ومدى الإعصار، فمنهن السيدة مزنة التي اشتهرت بحسن الأداء في الصوت ورقة المعنى في إلاشعار الغنائية التي كان الخليفة عبد الرحمن الثالث الأموي بمدينة الزهراء في الآندلس يميل إلى سماعها والسيدة عائشة التي قال في شأنها المؤرخ ابن حيان أنها أعقل وأجمل وأعلم بنات عصرها، والسيدة صفية التي ملكت ناصية الشعر وذللك صعاب المعاني، والسيدة مريم كانت تعلم الشعر والعلوم لخرائد أمراء إشبيليا، وقد تخرج من مدرستها كثير منهن، والسيدة راضية الملقبة بالنجمة السعيدة معتوقة الخليفة عبد الرحمن كانت أعجوبة عصرها في الشعر والتاريخ وجابت آفاق المشرق

بأكمله عقب موت سيدها. وغيرهن من نساء التاريخ اللواتي لو عددتهن لضاق بنا المقام وأمامنا في هذا العصر الحاضر من النساء الفاضلات من امتاز البعض منهن بالشعر الرقيق والبعض الآخر بالإنشاء الرشيق وبالمباحث الجدلية وبالاستنباطات المفيدة الجلية. هذا وقد كثرت الاختراعات في هذا العصر حتى عجزت الأعداد عن حصرها وللنساء أعظم نصيب في استنباط جزء عظيم منها، ونحن نضرب عن ذكرها هنا إذ أن من أراد الاطلاع عليها بأكملها، فعليه بالجرائد العلمية والنشرات الدورية وإنما نذكر هنا منها مثالا أن امرأة أمريكية اخترعت آلة لحياكة الملابس توضع في جيب الحامل لها وقد بلغت اختراعاتهن في هذه القارة خمس سنين مبلغًا عظيمًا حتى قيل إنها تزيد في العشرين ألف اختراع عدًّا كما ذكرته إحدى الصحف الإخبارية. فإذا أضفنا هذه الاختراعات إلى اختراعات الرجل الذي لم يخرج عن كونه ابن المرأة وثمرة أتعابها لتبين للقارئ درجة التقدم في هذا العصر وزيادة الفرق بينه وبين العصور الحالية، ولما كان الفضل في ذلك عائدًا إلى ما أسسته المرأة من حسن التربية، فلماذا تحرم من حقوقها ولماذا تلام إذا طالبت بحقها المسلوب ومالها المنهوب؟ على أن السواد الأعظم من رجالنا الشرقيين يعلم أن إلامم العربية ما عقدت عناصرها واتفقت آراؤها وخواطرها على وجوب احترام امرأة وإنزالها المنزلة التي تجب لها إلا بعد أن تيقنوا أنها العضو المهم في جسم العالم الإنساني.

وما اشتهر به منشأ العالم الغربي غني عن الذكر وشاهدنا على ذلك أيضًا ما تناقلته الصحف عن أعمال النساء في معرض شيكاغو وما أظهرته من حسن البناء وما اشتهر به نساء روسيا من إتقان صناعة الطب ومزاولته برخصة من مجلسها الطبي وهن يجرين العمل كالرجال، بحيث قرر مجلسها الشورى أن تفتح لهن جمعيات لهذا الخصوص وما منحته النساء الباريزيات من حقوق الانتخاب

في مجالس فرنسا، إلى غير ذلك من الشواهد التي لو أوردناها لما كفى لنا حجم مجلد كبير.

وما من أمة انبعثت فيها أشعة التمدن في أي زمان كان إلا وكان للنساء فيه اليد الطولى والفضل الأعظم. كما لا يخفى ذلك على من اطلع على تواريخ المصريين واليونان القدماء؛ فكل هذه الأمم المتمدنة كانت تعتبر النساء كعضو لا يتم العمل إلا بمساعدته.

نعم وإن كان بيننا وبين نساء الغرب بونا بعيدًا من حيث الحجاب والمنعة والبعد عن مخالطة الرجال بحكم الشرع، إلا أنه لا حجاب بيننا وبين دروس العلوم واكتساب المعارف التي ترفع بواسطتها راية الفخر بأنفسنا إظهارًا لعلو منزلتنا.

وما المانع بعد أن علم الكل من الرجال ميزة تعليم المرأة لو قام البعض منهم بتشييد مدارس لتعليم البنات على مقتضى القواعد الدينية لأننا نعلم علم اليقين أن التمدن في شريعتنا الغراء متوفرة أسبابه وإن (كل الصيد في جوف الفراء).

ولعلنا باتباع هذا المنهج المفيد والطريق المستقيم؛ ندرك في المستقبل رفعة وشأنًا في الحضارة ونسترجع ما سلب منا ظلمًا وعدوانًا ونتحصل على حقوقنا بعون الله وهمة رجالنا.. وليس ذلك على الله بعزيز.

## العزوبية والزواج

قد اطلعت في جريدة الأحوال الغراء على سؤال تحت عنوان: أي الأمرين أفضل للمرأة، أن تعيش عزباء في البيت كل عمرها أم تقترن برجل سيء الأخلاق؟ وقد نقلته الجريدة المذكورة عن إحدى المجلات الفرنسية طرحه أحد

الكُتاب الفرنسيين ذكر أنه أجيب عليه بما يزيد على ثلاثة آلاف وتسعمائة رسالة وكلها من أقلام النساء وأن قسمًا منهن فضل الأمر الأول وقسمًا فضل الثاني وهذا الأكثر. وقد طلب الكل من صاحب السؤال الحكم في المسألة، فأجاب بأنه لا يستطيع الوقوف على شعور قلب المرأة بالتمام ويجب على الفريقين أن يدرس أخلاق الآخر، فعني بقوله أنه ترك الحكم لهنَّ يحكمن بما يرينه ويعلمنه من بعضهن ممن علمنا كلتا الحالتين. وبما أني درست العملين ومارست كلتا الحالتين، فأقول إنه من المعلوم لكل فرد من الجنسين أن الأشياء متى كانت محجوبة عن الإنسان توهم أن كل خطوة يخطو نحوها تقربه الى أوج السعادة وترقيه إلى ذروة المجد، فيبلغ ما في النفس من أمنية وبقدر ما يعترض المرء من المصاعب والمشاق يكون له رغبة وتشوق لنوال المرغوب وذلك بمقتضى المنعة والحجاب. وقد قيل كل محجوب محبوب والمرأة أيضًا إذا كانت غير متزوجة لا تدري ما يتكبده المتزوجات من المصاعب وحتى أنها إذا نقل لها خبر من أخبارهن هزأت به وظنت أنه من سوء تصرف المرأة المتزوجة وعدم سياستها مع زوجها بما يجلب حاسته نحوها ولم تعلم أن المعدن الخبيث لا يؤثر فيه الثقل ولو صقل، فلا يلبث أن يرجع لأصله، وتود لو أنها تزوجت بأي رجل كان خير لها من أن تعيش عزباء أو تخيل لها أمانيها أنه إذا كان شريرًا تهذبه بآدابها وتغنيه عن الغير بجمالها. ولكن ماذا تؤثر الآداب في نفس الرجل السيئ الأخلاق، وما يفعل الجمال بمن لا هم له غير الاستحصال على ما عند المرأة من الثروة لينفقه في طريق غروره؟

والمرأة إذا اقترنت بالرجل السيئ وأوقفت قلبها عليه وسلمت أمرها إليه واجتهدت في مرضاته وعملت على تهذيب أخلاقه ولم تر منه إلا النفور والتمادي في طريق اللهو والغرور واتباع خطة الشهوات والشرور، فتصير كمن

كتب على صفحات الماء أو تعلق بالهواء، فتندم من حيث لا ينفع الندم ويصعب الخلاص إذا ذلت بها القدم وتلازم الحزن الدائم الذي لا ينقطع إلا بانقطاع حبل التواصل بينهما. ولو أني أذكر تفصيل ذلك لمئات الصحف ولكني اكتفي بهذا.

وإذا كانت المرأة تتجرع مرارة المعاشرة مع الزوج السيئ تتذكر ما كانت فيه من النعيم في زمن العزوبية، لم لا تفضل حالتها الأولى على قرين السوء وتعيش في أرغد عيش متمتعة بلذيذ الراحة، بعيدة عن تلك الأفكار التي كانت مستحوذة على عقلها، طامسة على بصيرتها، مالكة قيادها داعية إياها للافتكار بسوء ما يؤل اليه مستقبلها، متبعة خطة الآداب متمتعة بثمر العفاف في دوحة الشباب إلى أن يقضي الله أمره. وتود لو انطلقت من تلك القيود إلا تعود إلى مثلها أبدًا.

ولا يسهل لها أن تميز الحالة الأولى ويظهر لها الفرق إلا بعد أن تغادر الحالة الثانية كمن لا يعرف حلاوة العافية إلا بعد الوقوع في المرض.

كما وأني أرجو من فضل العقائل والأوانس اللواتي يرين غير ما أرى أن يتكلمن بما يسصوبنه في هذا الشأن.

**الزار**

بينما أنا أسبح كعادتي في جداول النيل المبارك لالتقاط درره اليتيمة، إذ عثرت فيه على درة مصوغة بيد الحكمة مفرغة في نموذج الكمال لصائغتها ربة الفضل الكاتبة الشهيرة السيدة زينب فواز التي نبهت إلافكار بدرتها على أفظع العوائد المصرية، إلا وهي مسألة الزار ذي الثقل الفادح على كاهل الهيئة الاجتماعية. وحينما تأملت تلك الدرة هم لساني في الحال بالشكر أولًا

لصاحب النيل الذي لا نفتأ تأتينا فرائده يوميا، فلا نهاية لها وثانيًا لحضرة الكاتبة الفاضلة لما أتوه من باهر الآيات.

رفعت يدي عن شكر فضل شكرته  وما فوق شكري في الثناء مزيد

ولو كان مما يستطاع استطعته  ولكن ما لا يستطاع شديد

هذا ولقد أسفت كل الأسف على ما هو مبثوث في عقول بعض أبناء الوطن من اعتقاد الأمور المخالفة للشرع والعقل مثل هذه المسألة الوخيمة وأخذتني لذلك الحمية الوطنية وكنت وقتها معتقلًا بالقلم فجرى كاتبًا ما جاش في فكري معربًا عن حقيقة هذا الأمر من حيث إنه مخالف للقواعد الدينية والنواميس الطبيعية مبينًا أن ما كان كذلك كان آفة على الإنسانية تستوجب العلاج لاستئصال شأفتها ومنع سريان سمها في بدن الهيئة الجامعة وهذا ما كتب.

## الأدلة الدينية على بطلان الزار

الدعامة التي يعتمد عليها من يعتقدون في الزار هي أن الجسم يكون مصابًا بأرياح يزعمون بأنها مؤمنة تحدث فيه مؤثرات ناتجة عن عدم رضائها على الشخص. وباستعمال الزار تزور تلك الأرياح الجسم، فيحصل الاتفاق معها على الطريقة التي ترغب فيها وبتنفيذ ما اتفق عليه، يرتاح من مؤثراتها.

هذا محصل قولهم ولعمري إذا كانت هذه الأرياح مؤمنة كما يزعمون ويسمونها بأسماء أشياخ ويقولون بولايتها ما بالها توقع الجسم هذه الأضرار الجسيمة وتكلفة فوق الطاقة من حيث لبس الحلي وغيره وكل ذلك بدون أدنى سبب ألم تكن والحالة هذه من الأرياح الشريرة ولنضرب صفحًا عن كونها شريرة أولا ونبحث في هل تدخل تلك الأرياح بدن الإنسان وتتلبس به كما يزعمون؟

نقول لا تدخل هذه الأرياح الجنية أبدان البشر، وما ورد موهمًا لذلك من النصوص تأولته العلماء بما يناسبه من التأويل قال في الجوهرة:

وكـــل نـــص أوهـــم التشـــبيها أولـــه أو فـــرض ورم تنزيهـــا

فما ورد موهمًا كون الشياطين تتلبس بجسم الإنسان، قول النبي صلى الله عليه وسلم إن الشيطان يتمكن من وسوسته كتمكن الدم من العروق، لقائل يقول إن النصوص سواء كانت قرآنية أو نبوية لا يجب تأويلها إلا إذا استحال تطبيقها على ظاهرها، وإذا الحديث لا يستحيل أن يكون على ظاهره، فقد قال القاضي عياض لا مانع من أن يجري الشيطان في باطن الإنسان في مجاري دمه .

أقول.. قال النبي ﷺ: "ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد، فيستهل صارخًا من مس الشيطان إياه، إلا مريم وابنها". فإذا كان الإنسان يستهل صارخًا من مس الشيطان إياه، فما باله لو سرى في مجاري دمه؟ إذًا لا محالة في أنه هالك. وقد أول الزمخشري هذا الحديث بأن كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه إلا مريم وابنها، فإنهما كانا معصومين وإلا لقوله تعالى حكاية عن إبليس اللعين لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين. وأما استهلاله صارخًا، فتخييل تصوير لطمعه فيه كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن أغويتهم.

لكن هذا التأويل لا يعكر علينا جوابنا عن قول القائل المار الذكر، فإن قوله تخييل وتصوير يؤخذ من فحواه أنه لو حدث عن حقيقة لكان مصحوبًا بالصراخ.

ومذهب الزمخشري في هذه المسألة أن الشيطان، فضلًا عن كونه لا يدخل باطن البدن، لا يمسه أيضًا وفسر قوله تعالى: "الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا

كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس" بأن هذه الآية نزلت على حسب ما تزعمه العرب من أن الشيطان يخبط الإنسان، فيصرع. فكلام الله سبحانه وتعالى الذين يأكلون الربا يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين.

وقال في تفسير قوله تعالى: "إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم"؛ أي من إغوائه.

وقال في آخر كلامه على هذه الآية ما نصه: (وأما حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلا. ولو سلط إبليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخًا وعياطًا مما يبلونا به من نخسه). وقد عارض ابن المنير الذي كتب على الكشاف الزمخشري وعرض عند تفسير آية الذين يأكلون الربا.. إلخ، فقال: اعتقاد السلف وأهل السنة أن هذه الأمور على حقائقها واقعة كما قال الشرع، وإنما القدرية خصماء العلانية، فلا جرم أنهم ينكرون كثيرا مما يزعمونه مخالفًا لقواعدهم من ذلك السحر وخطبة الشيطان ومعظم أحوال الجن. وإن اعترفوا بشيء من ذلك، فعلى غير الوجه الذي يعترف به أهل السنة وينبئ عنه هذا الشرع في خبط طويل لهم، فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون، هذا نص كلامه.

وعندي أن الزمخشري مصيب كل الإصابة فيما أتى من التأويل، إذ به طابق بين الحقائق الثابتة والنصوص الشرعية؛ لأنه لا يخفى أن الأطباء والحكماء الفيسيولوجيين متفقون على أن الصرع مرض عصبي سببه ليس مس الجن، بل مؤثرات أخرى مبسوطة في كتبهم يضيق بنا المقام لو سردناها هنا. وكون القرآن الشريف يأتي بما ظاهره يفيد المغايرة بينه وبين تلك الحقائق، أمر يجعله مضغة في أفواه أولئك القوم ومن ثم رأي الزمخشري (ومعه الحق) أن لا مندوحة من التأويل حيث لا ضرر ويمكنني أيضًا أن أجاوب عن الزمخشري بأن الأطباء والحكماء

الفيسيولوجيين كما لا يسلمون أيضًا بأن الصرع ناشئ عن مس الجن، بل أنهم يقولون إنه ناتج عن تنبيه الجلد من تأويل الزمخشري لهذا الحديث من باب المطابقة أيضًا.

وما تقدم كافٍ في إثبات أن الجن لا تدخل بدن الإنسان ولا تمسه، وفقط الدخول والمس المستفادان من القرآن والحديث ليس إلا أمرين معنويين ينحصران في الاغواء والوسوسة. ومن ثم تكون مسألة الزار التي هي عبارة زيارة الجن بدن الإنسان باطلًا وسأتكلم في فرصة أخرى عن بطلانها من حيث العلوم الطبيعية، ذاكرًا نوع المرض المعمول لأجله الزار ومفسرًا للحوادث التي يظن أنها خارقة للعادة وذلك على قدر ما تهديني إليه المطالعة والله الهادي إلى الصراط المستقيم.

## مصائب الدجالين على المجتمع الإنساني

لا تعجبوا من هذا العنوان؛ لأنه بناء على ما ذكرتموه في أحد أعداد نيلكم المبارك من أنكم تريدون من كل شخص اطلع على شيء من أفعال الدجالين أو حصل له ضرر بالذات أو بالواسطة فليخابركم. وها أنا إجابة لما طلبتم أخبركم بما رأيته وسمعته من هذا القبيل وهو أنني سمعت من إحدى السيدات وهي صديقة لي أنها مريضة، فتوجهت لعيادتها على حسب العادة، فوجدتها طريحة الفراش، شاحبة اللون، منهكة القوى، فسألتها عن حالتها فأخبرتني أنها منذ ثمانية أشهر كان حصل لها مرض خفيف لا يستحق الذكر. فلما رأتها والدتها بهذه الحالة، ألزمتها الشفقة الوالدية أن تأخذ أثرها وهو منديل أو شيء فيه أثر العرق يسومونه(الأتر) وتوجهت به إلى أحد الدجالين. فلما رآها وتأمل فيه، قال لها إن صاحبة هذا الأثر معمول لها سحر وأنها لا تشفى إلا إذا أزيل عنها السحر وسيزيد عليها المرض إن لم تتدارك الأمر. وبما أن الشفقة الوالدية لا

تقدر قالت له يا سيدي الشيخ أرجوك افعل لها شيئًا يزيل هذا السحر وتشفى ابنتي ولك مني ما تريد وانكبت على يديه تقبلها. فلما رأى الأستاذ منها ذلك، أخذه الطمع وطلب منها خمسة جنيهات وقال إن إلامر صعب يلزم له سهر بالليل ومراقبة الأفلاك وأنا أكارمك بهذا المقدار من النقود، فأعطته بكل ممنونية (اثنين جنيه) وابقى الباقي لبعد ما تشفى ابنتها الشفاء الذي ما بعده مرض، وطلب منها أن تأتيه بطبق نحاس أحمر جديد بدون بياض، فأحضرته بكل فرح وانشراح، فكتب عليه وأمرها أن تضعه فوق السطوح بعد أن تملأه خلًّا فيبيت في الندا إلى الصباح وبعد ذلك تشرب من ذلك الخل مقدار فنجان وتغتسل بالباقي. وحينئذ يبطل السحر وتشفى البنت، ولا يخفى على كل ذي فكر ثاقب أن صدأ النحاس سم قاتل، وبالأخص إذا وضع عليه الخل، فإنه يخرجه من معدنه إخراجا كافيًا لأن يقتل به الإنسان والحاصل أن أوامر الشيخ لا ترد والتماس البركة منه أوجب تلك الوالدة أن تسرع لإتمام العمل وقد حصل وفعلت ما أمرها به، وجاءت بالدواء الشافي لبنتها وملأت لها فنجانًا من ذلك الخل الذي لونه كلون الحبر مما امتزج به من صدأ النحاس، ثم قالت لها اشربي يا بنتي بالشفاء إن شاء الله. قالت البنت لما أخته من يد والدتي وأدنيته من فمي لم أقدر على شربه سوى أني أخذت منه بقدر ما يؤخذ من فنجان القهوة لا غير. وحينما استقر في جوفي وجدت كان السم قد سرى في جميع أعضائي وشعرت بألم شديد في صدري وأمعائي وأنا على هذا الحال أخف يومًا وعشرة مريضة، فما بالك لو كنت شربت الفنجان كله؟ فما كنت تريني الآن في هذه الدنيا. وكانت والدتي جنت ما كسبته يداها ونالت نتيجة سعيها؛ فهذه فوائد الطب الروحاني الذي عمت منافعه جميع الأنحاء الشرقية.

وفي أثناء ذلك، بلغني أيضًا ونحن في ذلك المجلس ما هو أدهى وأمر، وهو

ما أخبرتني به إحدى السيدات اللواتي كن في ذلك المحل، أنها كانت منذ ثلاثة سنوات في وجه قبلي بمدينة قنا ورأت ذلك رؤية العين أن أحد العمد في قنا مستعد لاستقبال الضيوف في منزله، فدخل عليه يومًا أحد الدجالين. وحينما استقر في المحل، جعل يشم كأنه يشم رائحة شيء، فسأله صاحب المنزل عن السبب الذي أوجب له ذلك، فأخبره قائلًا إنني أشم هنا رائحة كنز وأشار إلى محل خرب في جانب الدوار وهو حاصل قديم. فلما سمع الرجل ذلك داخله الطمع وقال كيف يكون إخراجه؟ فقال أنا أخرجه ولكن يلزم لنا مصاريف ويلزم لنا جارية سوداء صفتها كذا وكذا ووصف له جارية كان رآها في منزل الرجل، وقال هي التي يظهر على وجهها الكنز ثم قال ويلزم لنا شيء من الغوزاي الذهب لأنه كله غوزاي وبنادقه وهو لا يخرج إلا على شيء من جنسه ويلزم لنا البخور وهو تفاح الجان (وهو الكزبرة على اصطلاح أئمة الروحانيين) ولا يوجد إلا في مصر وثمنه غالٍ يلزم قدر ثلاثة جنيهات، فأحضر الرجل بكل انشراح كل ما طلب وأحضر الأربعين قطعة من الذهب الغوازي ومن البنادقة ما لا أعلم له عددًا ودخل هو والجارية إلى ذلك الحاصل وأحضر برميلًا فارغًا وأمر الجارية أن تجلس تحت البرميل وقلبه فوقها وعلمها اسما تتلوه وأمرها إلا ترفع البرميل إلا إذا رفع وحده وأراها أنه وضع الذهب فوق البرميل وأخرج الرجل من المكان بعد أن أمر بأن يأتوه بالطعام من طاقة صغيرة ولا يفتحوا عليه الباب إلا بعد أسبوع من الزمان، فامتثلوا لأمره وعملوا له المرتب من الطعام فأحضروه على حسب العادة، فلم يأخذ طعامًا ولا غيره، فظنوا أنه داخل الكنز، فانتظروا أربعة أيام، فلم يأخذ طعامًا فكسروا الباب ودخلوا فوجدوا الجارية ميتة وحضرة الأستاذ أخذته الشياطين على أجنحة اللعنة وليس له أثر ولا خبر. فهذه أعمال تلك الطائفة الفظيعة التي هي أشد من الوحوش الضارية على العالم الإنساني التي ترعب القلوب ويقشعر لذكرها الجلود ويتفتت من فظاعة أفعالها الحجر

الجلمود، ولكنها ليست ظاهرة إلا لمن انبلج أمامه شيء من نور الحقيقة. وأما للبقايا فإنهم تراهم كل يوم يقع منهم في شرك هؤلاء الوحوش خلق كثير.

## لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون

من المعلوم لكل فرد من أفراد هذا العالم الإنساني أن عوالم المخلوقات بأجمعها لا كون لها ولا وجود إلا يتألفها في الهيئة والتركيب والتعاضد، فيعين بعضها البعض الآخر على مصاعب هذه الحياة. وقد شرف الله الإنسان وميزه عن جميع المخلوقات بما يخصه من المزايا التي لم يخص بها غيره، وهي العقل والنطق والإحساس والإدراك والرأفة والحنو، وغير ذلك من الصفات التي تربط أنواع البشر بروابط الجنسية ثم كانت قوانين المذاهب والديانات، فتوثقت عرى تلك الروابط وبهذا العقد الوثيق صارت الأمم يقصد بعضها بعضًا وصار القوي يعين الضعيف والقادر يساعد العاجز. وها نحن ولله الحمد قد جمعتنا الروابط الإسلامية الوثيقة وضمتنا الجامعة المحمدية في عقد نظام لا ينفرط أبدا بعونه تعالى، فنحن بهذا أحق وأولى أن نكون عضدًا مساعدًا للمضطرين منا وقد علمت الأمة المصرية ولا شك صعوبة المجاعة الحادثة في عمالة الجزائر في بلاد الغرب التابعة لحكومة فرنسا؛ بسبب القحط الذي حل بتلك البلاد، فألم بإخواننا في الإنسانية والدين خطر فادح عظيم وبلاء كادح جسيم.

وما تناقلت السنة الجرائد هذا النبأ الفاجع حتى عم تأثيره على الكثير وكنت ممن استحوذت علي الغيرة الإسلامية والنخوة العربية، فقمت لأحث إخواني وأخواتي أرباب المروءة والشهامة وأنبههم لاغتنام هذا الأجر العظيم وإعانة إخواننا المسلمين وإن تكن سبقتني إلى ورود حياض هذا الشرف السامي صاحبة العواطف الشريفة حضرة عقيلة المسيوكامبون الحاكم العام في بلاد الجزائر، فوقفت نفسها لإغاثة الملهوفين وألقت خطبة صادعة تحث فيها العالم

الإسلامي طيرتها الصحف في الآفاق وقد نشرتها لنا جريدة المؤيد الغراء في عددها الصادر يوم السبت ١٨ رمضان الماضي.

فإليكم أوجه خطابي يا رجال الشرق، وعلى الخصوص رجالنا المصريين أولي الحزم والإقدام والمروءة والإنسانية، لإعانة إخوانكم المسلمين وانتشالهم من مخالب الجوع حتى لا يفترسهم وأنتم تنظرون وأنكم (إن تقرضوا الله قرضًا حسنًا يضاعفه لكم وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرًا وأعظم أجرًا). فكيف يهنأ لنا العيش ونتمتع بالنعم التي أنعم الله بها علينا وإخواننا في الإنسانية والدين يموتون جوعًا؟!

كيف تكون حالة الرجل والمرأة منهم إذا نظرا إلى أولادهما تنهشهم أنياب الجوع، فيتساقطون الواحد منهم بعد الآخر كالأثمار من الأشجار ووالداهم ينظران إليهم وقد خانتهما الوسائل، فلم يقدرا على دفع هذا البلاء المبين عن فلذة كبديهما؟

أم كيف بنا والعياذ بالله لو أصابنا مثل ما أصابهم من الفاقة وجائعة القحط. فهل كنا نستغيث فيغيثنا حنو الإخوة من الجزائر بين الذين أصبحوا يستغيثون بنا؟ تالله أنه لم يكن يخطر ببالنا إلا استنجاد مروءتهم ولا سبيل إلا إلى إنجادنا منهم. فهيا يا إخواني لبوا استغاثة إخوانكم واعقدوا الجمعيات كعوائدكم بعمل الخير واجمعوا الدرهم النفيس واشتروا نفسًا نفيسة يكاد الجوع يوردها حياض المنايا واقتدوا بإخوانكم بأعضاء الجمعيات الماسونية، فإنهم قد شمروا عن ساعد الجد وأداروا العمل بغاية السرعة وكان في مقدمتهم محفل الثبات الذي جمع كمية وافرة من النقود بقصد إغاثة الملهوفين، فجزاهم الله عن الإنسانية خيرًا ونرجو أن يكونوا قدوة لباقي الأمة.

وكذلك يليق بكن يا بنات الشرق ومخدرات الإسلام الاقتداء بما فعلته

عقيلات فرنسا من الأعمال الخيرية التي تخلد لهن الذكر الجميل والفضل العميم ويفتخر بهن العالم النسائي أجمه. وقد كنتن قدوة العالم في الزمان السالف وأملي فيكن وطيد بأن تعود لكن تلك النخوة وتلك النشأة، بإذن الله تعالى.

كيف لا وعهدي بالكثير منكن مضارعة الرجال شهامة ومروءة، وقد برهنت لنا ذلك شهامة وكرم صاحبة العصمة البرنسيسة زبيدة هانم أفندي حين أرسلت إلى مدرسة النيل ٣٠ جنيهًا تبرعًا من مالها الخاص إعانة لتلك المدرسة. ولا بدع فهي ربيبة المجد والكرم الجديرة بأن تعطر الأندية بذكرها وشكرها وهذه فرصة قد وجدتنها لترتقين بها درجات المجد وتدركن بها أوج الشرف.

فهيا شمرن عن ساعد الجد واجمعن أنفسكن برئاسة من ترونها أهلًا لذلك. حتى إذا جمعتن شيئًا من المال لإعانة إخوانكن المصابات بالفاقة كان جزاؤكن الشكر إلى الأبد. وليس بلازم أن تتكلفن ما لا طاقة لكن به، بل التي تقدر على الدرهم تجود به والتي تقدر على الدينار تجود به عن أطيب خاطر. وما على المحسنين من سبيل والله لا يضيع أجر من أحسن عملًا.

وقالت في المدح:

| | |
|---|---|
| يا واحـــــــــد في عــــــــــلاه | لـــــــك الثنــــــاء المــــــؤبد |
| أوتيـــــــت في الثغـــــر رشـــــدا | قـــد قـــل في النـــاس يوجـــد |
| وخاطبتـــــــــــك المعـــــــــالي | اهنـــــــــأ وســـــــــد يا مُحَمَّد |
| لا زالــــت تعلــــو و ترقـــــي | لكـــــــل مجـــــــد وســـــؤدد |
| هـــا قـــد بـــدا منـــك نـــور | أسمـــــى وأســـــنى وأســــعد |

أصـــــبح كبـــــدر مضـــــيء حســــن العواقــــب يشــــهد

وكتبت إلى مدير جريدة الفتاة تهنئها باقترانها ورجوع الجريدة وقد كانت تأخرت مدة أيام الجهاز.

عزيزتي قد سررت والله كثيرًا وما أدري ماذا أقدم من الأعذار لسيادتك وما الذي ينوب عن تقصيري في التأخر عن تقديم واجبات التبريك أمام خدرك المصون مع أنني على الدوام أطلب إليه تعالى أن يجعله قرانًا سعيدًا مقرونًا بالرفاهية والبنين. وقد أخذتني نشوة الطرب حينما رأيت سناء فتاتنا العلمية بارزة تتجلى من وراء ضباب ذاك الحجاب، فقلت:

قـــران ســـعيد بالمســـرات مقبـــل ومســـتقبل رغـــد بخـــير وإقبـــال

وإشـــراق شمـــس مـــن فتـــاة عزيـــزة تجلــت لنــا في أفــق عــز وإجــلال

لهــذا نهنــئ المجــد والفضــل والنهــى بعــود فتــاة العلــم في مظهــر عــالى

وقالت وقد اقترحت عليها إحدى السيدات من صويحباتها أن تنظم لها تاريخ ولادتها الذي كان سنة ٨٤ لتضعه في لوح من ذهب وتجعله ضمن الحلي:

زهــا مطلــع العليــاء بشــمس منــيرة سمــت أفقًــا تــروي المعــالي مكارمــه

وجـــاءت بإقبـــال فقلـــت مؤرخـــا ألا وأنــت البشــرى بمــيلاد فاطمــة

عزيزتي.. قد تشرفت بنظم تاريخك السعيد، فأرجو قبوله مع عاطر تحياتي وتقديم واجب احترامي الزائد ودمتم.

١٣ ربيع أول سنة ١٣١١

وقالت متغزلة:

لا زال قلــبي مــدى الأيام خفاقًــا    وبـدر حسـنك يجلـوا العـين إشـراقًا

تكـون الجسـم منـه مـن سـنا قمـر    حـــتى تكامـــل إلماعًـــا وأبناقًـــا

نـــور تجلـــى علـــى الأرواح منفـــردًا    حـتى جلـى منـه في الأحشـاء إحـداقًا

سـرى غرامـك في قلـبي وفي جسـدي    لـــــذاك أثـــــر إســــقامًاوإخراقًا

كلـــي بكـــك مشـــغول ومـــرتبط    فلســت أشــكو إلى لقيــاك أشــواقًا

وأصــبح القلــب مــن وجــد يذوبــه    نـــور الشـــبيبة تهيامًـــا وإشـــفاقًا

وقالت أيضا:

جمعتـــني يومـــا والحبيـــب منـــازل    وتعطـف الـدهر الـذي هـو باخـل

دارت كـؤوس الآنـس فيمـا بيننـا    وبـــدا لـــدينا في الغـــرام دلائـــل

وغـــدا يعـــاطيني مـــدام حديثـــه    واللحـــظ بالســـحر الحـــلا يغـــازل

مالـت بنـاء الصـهباء في سـنن الهـوى    حـــتى وجـــدنا للكـــلام أوائـــل

جاذبتـــه نحـــوي وكـــان مقنعـــا    فتمايـــل القـــد الرطيـــب العـــادل

فلمســـت بـــدر الـــتم بـــين أناملـــي    لكنـــه قـــد حـــال دوني حائـــل

وقد خمسهم حضرة العلامة حسن بك حسني، فقال:

يا طبيـب يـوم والحبيـب مواصـل    والشـمس تزهـي والتقـرب حاصـل

فلـــذا أقـــول ولي فـــؤاد مائـــل        جمعتـــني يومًـــا والحبيـــب منـــازل

وتعطف الدهر الذي هو باخل

رقـــت صـــبابتنا وراق لنـــا الهنـــاء        وصـــفت لنـــا أيامنـــا وصـــفت بنـــا

حـــتى إذا سمحـــت بخـــيلات المـــني        دارت كـــؤوس الأنـــس فيمـــا بيننـــا

وبدا لدينا في الغرام دلائل

وشـــكا المحـــب هيامـــه لمحبـــه        وغـــدا بـــذكره علـــى تأنيبـــه

مـــزج الهيـــام قديمـــه بحديثـــه        وغـــدا يعـــاطيني مـــدام حديثـــه

واللحظ بالسحر الحلال يغازل

لـــذت شـــكايات الصـــبابة والجـــوى        وقـــد اهتـــدى القلـــب المحـــب بمـــا غـــوى

حـــتى إذا بـــاح الضـــمير بمـــا حـــوى        مالـــت بنـــا الصـــهباء في ســـنن الهـــوى

حتى وجدنا للكلام أوائل

أفديـــه مـــن ملـــك الحشـــى وتمتعـــا        وبلحظـــة جـــرح الفـــؤاد وروعـــا

لمـــا انثـــنى غصـــنا وأشـــرق مطلعًـــا        جاذبتـــه نحـــوي وكـــان مقنعًـــا

فتمايل القد الرطيب العادل

وحـــلا الهـــوى منـــا بطيـــب وســـائل        وخـــلا اللقـــا مـــن كاشـــح أو عـــاذل

وهنالـــك اهتـــاج الغـــرام بلابلـــي        فلمســـت بـــدر الـــتم بـــين أناملـــي

لكنه قد حال دوني حائل

# خالدة أديب هانم

## كاتبة وأديبة تركية

ليس بين القراء على ما أعتقد من يجهل اسم السيدة خالدة أديب، الكاتبة الشاعرة الحلوة الأغاريد، الفكهة القريض، فهي نابغة حرة مهذبة إلى الحد البعيد، وهي كذلك مرعبة ملهبة للوجدان، وقد دفعت بخطبها الحماسية، وقصائدها الوطنية، الجنود إلى النبود، وأقامت تركيا وأقعدتها وأرسلت نبض المملكة في أشد خفقاته وضرباته لأنها شاعرة، والشعراء لا يزالون يحفظون عظمة الماضي في هذا العصر العملي الغريب، يثيرون الشعب بالقصيد، ويوقدون سعير الحرب بالقريض، لأنهم سادة القلوب، وسلاطين العواطف، والعواطف البشرية نزاعة وثابة جياشة، هذه فليس من الغرابة أن تكون السيدة أديب من أكبر العوامل التي بعثت في تركيا روح الثورة والحماسة، إذ قالت بعد أن ظفرت بتحريك تركيا إلى الحرب ضد اليونان، ولقد دق ناقوس الحرب.. وصيحات الجماهير ترتفع في فناء السموات الحلوة الجميلة .. أني أكاد أجن من الفرح أن معجزة النهضة التركية ستعاد، الآن سيشهد العالم معجزة تركية .

وقد تلقنت علومها في الكلية الأميركية في الأستانة لان المدارس الوطنية لم تكن لتفي بالحاجة فلم يمض زمن على دخولها الكلية المذكورة حتى برزت على أقرانها وخرجت سنة ١٩٠١ بلقب بكالوريوس علوم وهي على ما أعلم أول امرأة مسلمة نالت هذا اللقب .

وقد عاشت خالدة أديب بعد خروجها من المدرسة عيشة هادئة إذ لازمت خدرها وأكبت على الدرس فكان لما طلعته تأسير شديد في نفسها الكبيرة فلم

تزدها في المطامع، وطموحا إلى العلي، ولما كانت فد تزوجت بإحدى المدرسين في الجامعة السلطانية رأت أن تطلقه لتكون حرى في تكريس حياتها للجد والعمل.

ولقد كانت السيدة خالدة أديب في مقدمة المرحبين بالدستور العثماني وكانت تنشر في جريدة " طنين " مقالات اجتماعية سياسية على غاية ما يكون من الأهمية فعرفت بسداد الرأي واعتدال اللهجة وكانت تجتمع رجال تركيا الفتاة ولاسيما أنور وطلعت وجمال فتبدي لهم رأيها في شؤون الدولة وهم لا يستنكفون من الإصغاء إليها والأخذ بآرائها، ولما قلب عبد الحميد الحكومة الدستورية سنة ١٩٠٩ ورد اسمها في قاعة المحكوم عليهم بالموت فاضطرت إلى الفرار حرصا على حياتها فشخصت إلى القطر المصري ومكثت فيه إلى أن استعاد الاتحاديون سلطتهم .

ومما هو مشهور عنها مدة الحرب أنها خطبت في جمع من النساء يربي عددهن على الخمسة آلاف في دار الجامعة السلطانية ولما فرغت من خطابها كان العرق يتصبب من جبينها من شدة التأثر والانفعال فنزعت أعلاقها وحليها وألقت بها في صندوق لإعانة الوطن فاقتدت بها سائر النساء وجعلن الواحدة بين الأخرى يقدمن حليهن لهذه الغاية الشريفة .

ولنعرف الآن للقراء بعض قصائدها التي عثرنا عليها في صحيفة تركية، ولعل حسن الطالع يسعدنا فنعود إلى كتابة كلمة وافية عن أعمال هذه النابغة في عدد تال .

## المختار من شعرها المنثور

(١)

### موت الأمير (١)

أطلق الأمير بصره في السهول المذهبة التي تنيرها الشمس الجميلة وقت غروبها وهو جالس على صخور البوسفور ذي اللون السماوي المنحنية الوعراء وغارق في حلم مؤثر فعال .

فحرك هذا المشهد المهيب حسه وملا الزهور نفسه وطارت به الأشعة الذهبية المنبعثة من قرص الشمس الأحمر اللاذع مطار الروح إلى مصدر تلك الشعلة، حيث يرتفع الشرق الذهبي في مركبته العقيقية، ورفع ادعيته إلى الكوكب الساطع قائلا " يا أيها الكوكب المشع يا صانعة الله المهيمن العلي، إذا عدت فصعدت نحو اله النور فخاطبه عن شعبي الهضيم المأزوم .

" وعند ما يصدر أمره فترفع سدول الغسق غصونها أمام مركبة ظفرك تنشد الشعوب جميعها وهي سعيدة نشيداً مدوماً عند انبثاق الفجر للسلام على يقظتك السحرية .

وأناشيدهم المطربة تصاحب خطواتك في محراك السماوي بحفل منظم من الشروق إلى الغروب إلا أن شعبي العزيز وينتحب نادبا سوء خطه، بل يبكي ويعول ويتعذب ولا رجاء له .

" لتتأمل عينك الفضاء وأنت تدور دورتك السنوية في أديم القبة الزرقاء تر أن شعبي يتجرأ كل يوم أنا تحت نير الطغيان، أفلا تصفر يا مصباح الحياة

(١) هو الأمير يوسف عز الدين ولي عهد تركيا السابق .

الجميل، أو لا تصب دموعا أمام الله أو لا تضرع إليه لكي يرفه حظ شعبي البار مجيباً أياه إلى آماله وأمانيه .

ثم صرخ قائلا "إنني ألومك أيتها الشمس أن مالك الموت يتخطف أنفاسي" وفي تلك الدقيقة كانت الشمس توشك أن تغور في البحر الخضم الملتهب حيث تدهده لها الأمواج كل مساء برقة ورفاء، إلا أنها وقفت فجأة متأثرة من التقريع وقد غيرت أشعتها وحدجت الأمير ببصرها ونادته بصوتها قائلة:

" هلم أيها الأمير، هلم إلى الله المهيمن العلي "

" إنك تدافع عن ذاتك أمام الإله المطلق وتسرد مصائب شعبك الممتحن فلم تعلم من الرب نفسه إذا كان شعبك يستحق الخلاص " .

وللحال انطفأت الأنوار في البحر ودوي صوت طلق ناري تردد صداه بتموجات متعاقبة فنشرت الظلمات أعلاها وراياتها السوداء لأن شمسين غابتا عن تركيا .

(٢)

### إلى الوطن

لقد تغنيت بك يا وطني على قمم جبالك الشامخة المنيعة، وفي سهولك الجميلة البديعة، وأناشيدي تدوي دائما على أكفانك الممزقة، وفي بطاحك المقتصة. لقد تغنيت بك أيضاً وأنا مبتهجة كل الابتهاج في ظلال هيا كلك تحت سمائك النقية الزرقاء، أن قلبي هو مذبحك حيث تتأمل وحدك فلا تجد فيه إلا تمثال إلهي ووطني .

لقد تغنيت بك وأنا في أرض نائية حيث أجرى مدامعي شوقي إلى رؤيتك،

وحيث تماديت عجباً وتيها بك، وشعرت بآلامك أيها الوطن المسكين .

أو لم أتغن بك في غربتي وأنا متلهبة شوقاً إليك، إلا تذكر دمعي وأحزاني لأجلك يوم تألب الأعداء يريدون قهرك واغتصابك .

ألا تذكر كل هذا أيها الوطن ؟

لقد تغنيت بك في فقرك ونار المحبة تتأجج في قلبي، أن أقوال البخور سخرية إمام عوزك، لأنه عندما قدم لك نضار القصير مكافأة على شهامتك نبذته يدك بل قد نبذته أنفتك مئة مرة وأنت في أشد أوقاتك ضنكا وعدما، أما قاومت حصون بزانطيه يا أيها الوطن، أما قاومت غارة الشعوب العاتية عند وثوبهم عليك .

ألم يتألب عليك العالم مئة مرة ويحشد قواته عند أبواب عاصمتك، ألم تقاوم تلك الحملات بقوة وشجاعة .

أن في قلوب أبنائك أيها الوطن إيمانا يتغلغل إلى الأعماق وفي صدروهم عاطفة قوية متأصلة في العقائد، فليس لقوة بشرية مهما كانت أن تقتل عزيمة أبطالك .

وإذا ما قايست فاقتك المتعجرفة بالكنوز المنتشرة في البلاد الأخرى، أوثر أن أموت شريكة لك في آلامك على أن أكون في الفردوس، فلقد نظرت أبهة الشعوب ومخيلة العالم ولكن أفضل عقبانك في فاقتهم الفخورة وشجاعتهم الشهيرة .

أفلا أتغني بك في هذه القاعدة التي هي أقصى نقطة في عالمنا ؟

فتنة الدنيا أنت أيها الوطن، فتنة العاشقين المالك على كل مغرم مذاهب

غرامه، ومقاود هواه، لك تعنوا الجباه وتخضع القلوب .

هذا مجدك الاثيل يتنقل في طيات الزمن، كما تتنقل عزتك الشامخة في أصلاب الأبناء والأحفاد فتنة الدنيا أنت أيها الوطن، درة الفطرة في تاج السكون، وابتسامة الطبيعة في ثغر الدنيا، وديباجة الحياة في وجه العالم، أنت الذي ستحوي عظام كل حي يموت من إيمانك فلله ما أقدسك وما أبهاك .

فتنة الدنيا أنت يا أيها الوطن .

أنت فاتن ككليوباترة، مجيد كالإسكندر فخم كالأهرام، جذاب كالمغناطيس معبود كالهوى، بهج كأحلام الصبا، أنت أبدع ستار لأجمل رواية، قدس الأقداس أنت .

كل شيء فيك رائع وجميل، الفن في ربوعك خالد والجمال فيك قطري .

فتنة الدنيا أنت يا أيها الوطن !

# السيدة وردة اليازجي

هي ابنة نابغة الشرق المشهور العالم العلامة المرحوم الشيخ ناصف اليازجي اللبناني، وشقيقة فقيد العلم والوطن واللغة العلامة العالم الفاضل واللغوي المدقق المرحوم الشيخ إبراهيم اليازجي والشاعر المشهور المرحوم الشيخ خليل اليازجي أجزل الله ثوابهم .

ولدت في قرية كفر شيما في ٢٠ يناير ( كانون الثاني ) سنة ١٨٣٨ ميلادية ولما بلغت من العمر سنتين وأشهراً أي في أثناء سنة ١٨٤٠ ميلادية، انتقل المرحوم والدها بأهل بيته إلى مدينة بيروت حيث كان مرسلو الأمير كان قد فتحوا حينئذ مدرسة للبنات فلما ترعرعت ادخلها في المدرسة لتتلقى مبادئ القراءة والكتابة ولما بلغت الثانية عشرة من العمر وبدت عليها أثار النجابة والرغبة في العلم أخذ والدها يلقنها أصول الصرف والنحو حتى إذا نبغت فيهما أخذ يدرسها علمي العروض والقافية ويقرئها بعض قصائده فنشأت لها رغبة في الشعر وظهر أنها مطبوعة عليه فزاد ذلك في إعجابه بها وميله إلى ترشيحها للنظم ولم يناهز الرابعة عشرة من سنها حتى كانت تنظم القصائد البديعة وتتفنن في المعاني والأساليب الشعرية بين مدح ورثاء ورسائل ودية كما يرى ذلك في ديوانها " حديقة الورد " غير أنه لسوء الحظ توالت عليها المصائب والأحزان فكان أكثر نظمها في المرائي ولها فيها من الأساليب والعبارات ما يبكي الجلمود ويفتت الأكباد الصخرية ولاسيما في رثاء والدها وولدها أمين، فإنها جاءت في هاتين المرثيتين بما تقتصر عنه فحول الرجال .

وقد تزوجت سنة ١٨٦٦ بالمرحوم الأستاذ فرنسيس شمعون من أكارم أسر لبنان وكان رحمه الله أديبا كاملا تلقى دروس اللغة والعلوم الرياضية والطبيعية في مدرسة مرسلي الأمير كان في قرية عبيه بلبنان وكان أستاذه في العربية المرجوم المعلم رزق الله البرباري وفي العلوم المذكورة المأسوف عليه العالم العلامة والفيلسوف الشهير الدكتور كرتيليوسقانديك .

ومن منظومتها البديعة قصيدة بعثت بها إلى السيدة وردة بنت المعلم نقولا الترك الشعر المشهور قالت فيها :

يا وردة الترك إني وردة العرب ... فبيننا قد وجدنا أقرب النسب
أعطاك والدك الفن الذي اشتهرت ... ألطافه بين أهل العلم والأدب
فكنت بين نساء العصر راقية ... أعلى المنازل في الأقدار والرتب
يا من جلت در لفظ جاء يخبرنا ... عن لطف حلق أتي في الناس بالعجب
أنت التي شغفت قلب المحب بها ... على السماع فكانت عنه لم تغب
كريمة شنفت أخبارها أذني ... لكن توارت عن الأبصار في الحجب
قد شرفت قدر هذا الفن بارزة ... بحسن لطف ورأي غيرمضطرب
تزين الطرس في خطر تنمقه ... فينجلي مثل عقد اللؤلؤ الرطب

وقالت في جواب رسالة وردت إليها من السيدة كاتبة بنت الخواجة موسى بسترس :

بيني وبنك في الأسامي نسبة ... لا في المعاني أنت فوق مراتبي

سميت كاتبة بكل لياقة وأنا كما تدرين بنت الكاتب

وقالت في مطلع قصيدة نظمتها إلى أحد المرسلين الأمريكان بعد عودته من السفر :

تبدي الهنا والهم أضحى مبدداً وقد صاح في الأغصان طير وغردا

وأشرق البدر الأفق بعد أفوله فزال عن الأكباد ما كان أكمدا

من الغرب قد وافي يضيء بأرضنا وهل قبله بدر من الغرب قد بدا

وقالت تاريخا لا نشاء أحدى الجمعيات الخيرية في بيروت سنة ١٨٧٦:

جمعية خيرية بنيت على حب الفقير لكي تخفف كربه

دعيت بحسب الحق إنجلية فأساسها الإنجيل تجري حسبه

فيه المسيح يقول من يحسن إلى أحد الصغار فقد وفاني حبه

وكذلك قال الله في تاريخه من يرحم المسكين يقرض ربه

وقالت من قصيدة قدمتها إلى صاحبة العصمة والعفاف نائلة سلطان شقيقة جلاله مولانا السلطان عبد الحميد خان عند قدومها إلى بيروت :

يا ثغر بيروت البهيج تبسم وبحمد خالقك الكريم ترنم

اليوم زارتك الملكة فاكتست شرفا ربوعك بالطراز المعلم

هي أخت سلطان الأنام مليكنا وسليلة الملك الهمام الأعظم

ومنها في مديح آل عثمان :

هـي غصـن دوحـة آل عثمـان الآلي    شـــادوا فخـــاراً لـــيس بالمتهـــدم

قــوم لهــم شــرف الخلافــة والعلــي    بــين الملــوك مــن الزمــان الأقــدم

مجـــد تخـــر لـــه النجـــوم وعـــزة    ورفـــت كظـــل في الـــبلاد مخـــيم

أما منظوماتها في الرثاء فمنها قصيدة ترثي بها المرحوم والدها الشيخ ناصيف وقد توفي سنة ١٨٧١ وهي:

تكـاثرت الأحـزان في كبـدي الحـري    وزادت دمـوع البـين في عيـني الشـكري

وجـارت علـى ضـعفي الليـالي واقـدت    بطـــي فـــؤادي مـــن نوائبهـــا جمـــرا

وقـــد ألمتـــني الحـــادثات بصـــرفها    كمـا ألمـت خنسـاء إذ فقـدت صـخرا

وهيهـــات مـــا الخنســـاء عنـــد بليـــتي    بشـيء وصـخر صـرت أحسـبه صـخراً

فقـــدت أبي مـــالي وللعـــيش بعـــده    فمـوتي مـن عيشـي غـدا بعـده أحـرى

حيــاة الحــزين القلــب مــوت وموتــه    حيــاة يلاقــي عنــدها الراحــة الكــبرى

فتبـــاً ليـــوم فـــرق الـــدهر شملنـــا    وجمـــع في قلـــبي مصـــائبه تـــتري

أيا قلـــبي المكســـور لم لم تـــذب أســـى    لفقـد ا لـذي في جحـره لم تـذق كسـراً

ويا نظـــري لم لا تســـيل لفقـــد مـــن    بأيامـــه لم تبـــك إلا لمـــن ســـرا

ويا جسمي المضني من الحزن مت أسى    لموت الذي قد عشت في حجره عمرا

حرام على قلبي المسرة بعده     وكيف سروري وهو قد نزل القبرا

سأنديه ما عشت دهري وأنه     جديراً بأن يبكي على فقده دهراً

نهاري كليلي أسود لا يطيب لي     وليلي كيومي بالسهاد وبالذكرى

فيا ليت كلي أعين تذرف الدما     ويا ليت كلي أكبد تفقد الصبرا

أيا علم الشرق المبجل والذي     أقرت له بالفضل كل الورى طرا

ولمعدن العلم الذي ضمه الثرى     وكم معدن كان التراب له سترا

ويا كوكبا لم يخلف الدهر مثله     تولى وأبقى بعده في الحشا وغرا

ويا بحر فضل كان بالدر زاخرا     لفقدك كاد البحر أن يفقد الدرا

ويا من له في كل فن طلائع     تبدل ليل الجهل من نورها فجرا

ويا من بمسراه تيتمت العلى     كما يتم التأليف والنظم والنثرا

ينوح عليك الشعر دهراً وطالما     بك اعتز فاستعلى على فلك الشعرا

ويبكي عليك الدهر يا تاج رأسه     ويا فخر أهليه إذا ذكروا الفخرا

لقد ملت يا ركن العلوم فأوشكت     لفرط الأسى أوراقه تذهب الحبرا

وقد غبت يا شمس العلوم وبدرها     فأصبح كل يندب الشمس والبدرا

وقد غصت من خمر المنون بسكرة     فيا أنا لم أبرح بخمر الأسى سكري

فيـــا قـــبره أكـــرم أعـــز وديعـــة    بطيـك لم تـبرح لأهـل الـورى ذخـرا

ويا سـحب الآفـاق جـودي ضـريحه    بصـوب علـى أكنافـه ينبـت الزهـرا

ويا رحمـــة الله الكـــريم تغمـــدي    لـه نفـس حـر لم تكـن تعـرف الـوزرا

عليــه ســلام الله مــا هبــت الصــبا    ومــا رددت لســن الأنام لــه ذكــرا

وقالت ترثي ولدها أمين شمعون المتوفي سنة ١٨٩٢:

بأي فــؤاد ابتغــى بعــدك الســلوى    وأنـت فـؤادي في الـتراب لـه مـأوي

وكيف اصطباري عنك والصدر جائش    يعاصـف حـزن في الحشـا أبـداً يقـوي

أيا راحـــلا عـــني ألفـــت لفقـــده    كـــدورة عـــيش لا أورم لـــه صـــفواً

لقد صرت أهوى الموت بعدك والذي    يـراك فعيشـي صـرت أحسـبه لغـوا

ومــا باختيــاري العــيش والله شــاهد    ولكنمــا لا يــدرك المــرء مــا يهــوى

علـــى أن عيشـــي لـــيس إلا مـــرارة    وحـزناً بـذا كـي جمـره كبـدي تكـوى

ألح علــى الحــزن مــن كــل جانــب    فشـن علـى صـبر الحشـا غـارة شـعوا

فلـــو أن مـــا بي بالجبـــال لأوشـــكت    تميـد لمـا تلقـاه مـن مضـض البلـوى

ولــو أن رضــوى ذاق بعــض مصــائبي    لـدك ولم يقـوى علـى حملهـا رضـوى

أرى نار قلـــبي كـــل يـــوم وليلـــة    تزيــد لهيبــاً كلمــا زدت في الشــكوى

لفقــد أميــني بــل حبيــبي ومهجــتي ... وريحـان روحـي مـن غـدوت بـه نشـوى

لقـد كـان في عيـني أبهـى مـن الـذمي ... وأعـذب في قلـبي مـن المـن والسـلوى

أديــب جميــل الخلــق والخلــق طــاهر ... الشـمائل صـاف قلبـه طيـب النجـوى

كصدر النقا كالنصل كالغصن في القنا ... كزهـر الـربي كالبـدر كالرشـأ الأحـوى

أحــــن لمــــرأى تربــــه كــــل ســــاعة ... وأهفـــو لمثـــواه ومـــا تحتـــه يحـــوي

أيا قـــبره هـــذا العزيـــز فـــلا تـــدع ... هـوام البلـى تهـوى عليـه كمـا تهـوى

وحــافظ علــى تلــك العظــام فإنهــا ... لكنــز ثمــين ليــت قلــبي لهــا مثــوى

ألا يا حمــام الــدوح نــوحي ورجعــي ... وزيـدي فـؤادي فـوق أحزانـه شـجوي

ويا أيهــا الأغصــان ميلــي تأســفاً ... على غصن بان بات تحت الثرى يطوي

ويا سـحب الآفـاق جـودي وسـاعدي ... مـدامع أجفـاني عسـى كبـدي تـروى

ويا فلـذة القلـب الجـريح الـذي مضـى ... بـه خـاطف الأقـدار يسـتعجل الخطـوا

بــرغم فــؤادي أن اخــط لــك الــرثا ... وانــدب ذاك الوجــه والمبســم الحلــوا

يفتــت قلــبي كــل شــطر اخطــه ... فـإن يمحـه دمعـي السـخين فـلا غـروا

لقـد كنـت ابكـي مـن فراقـك ليلـة ... فكيـف علـى هـذا الفـراق تـرى أقـوى

ســأبكيك حــتى نلتقــي وأبيــت في ... ترابــك إذ تمســي إلى كبــدي تضــوي

واجـري دمـاء القلـب لا دمـع مقلـة عليـك وإن كـان البكـاء بـلا جـدوى

سـلام علـى وجـه الأمـين مكـررا وألـف سـلام مـن صـميم الحشـا يـروي

علـى ذلـك الوجـه الوسـيم الـذي عـدا عليـه البلـى يمحـو محاسـنه محـوا

وجـادت علـى ذاك الضـريح سـحائب مـن العـرش تسـقيه المـراحم والعفـوا

وأما باقي شعرها فهو في منتهى البلاغة والرقة وفيه من المعاني الشائقة ما يشهد لها بطول الباع في صناعة النثر والنظم ولا بدع فإنها من الدوحة اليازجية ربة الأدب والعلم .

# الكاتبتان أنيسة وعفيفة شرتوني

هما كريمتا العلامة الشيخ سعيد الخوري الشرتوني من امرأته تقلا بنت المرحوم يوسف العدراسي المشهورة بالورع وحسن السيرة ، ولدت "أنيسة" في مدينة بيروت يوم الخميس في ٢٧ ابريل ( نيسان ) سنة ١٨٨٣ وولدت "عفيفة" في ٢٥ مارس ( اذار ) سنة ١٨٨٦ في تلك المدينة، وكانتا في أوائل أمرهما تختلفان إلى مدرسة الراهبات الناصريات ثم أرسلها والدهما إلى مدرسة عين طورة لراهبات الزيارة لما سمع عن تقدم تلك المدرسة فأقامتا ثمة سنتين، ثم دخلتا مدرسة التقدم التي كان قد أنشأها في بيروت المطران يوسف الدبس الطيب الذكر ووكل تدبيرها والعناية بها إلى راهبات العائلة المقدسة، فبقيت "أنيسة" هناك سنتين و "عفيفة" ثلاث سنوات فتعلمتا في المدرستين المشار إليها أصول العربية والنحو والفرنساوي مع التاريخ والجغرافية والحساب ومبادئ الطبيعيات وفنون الأعمال اليدوية كالزركشة والتطريز .

ولما انقطعتا عن المدرسة ولحظ والدهما أن فيهما ميلا إلى الكتابة خرجهما في الإنشاء والأصول العربية ورواهما كثيرا من جيد الشعر والأمثال، فصارت لهما عبارة شائقة مهذبة وحينئذ أقبلتا على الكتابة فأنشأتا من المقالات ما انتشر أكثر من المقتطف وشيء منه في المقتبس والروضة ولبنان والمراقب واستحلاه القراء على اختلاف الأذواق لكونه جامعاً بين الركنين اللذين هما قوام البلاغة أي بين عذوبة اللفظ وحسن السبك وموافقة الكلام لا حول هذه الأيام إلى ما تضمنته تلك المقالات من اللطائف العقلية والدقائق الفكرية .

ولما كانت سنة ١٩٠٢ اقترنت أنيسة بابن هم والدها الخواجة ميخائيل الخوري الشرتوني، وهو شاب همام دمث الأخلاق يتعاطى التجار بحذاقة وصدق معاملة وكان ذلك في ٢٢ شباط وقد رزقت في ٣٠ تموز سنة ١٩٠٥ بنتا سمتها " نضيرة " وبعد أن صارت أماً كتبت ( فصل الخطاب في الرجل والمرأة ) وهي مقالة فريدة في بابها، وفي ١٥ آب سنة ١٩٠٦ أصابتها حمى لم تمهلها إلا ثلاثة أيام فضت نحبها وخرجت من الدنيا مأسوفاً على صبائها وذكائها وآدابها وفصاحة لسانها .

وقد كان لوفاتها حرقة في قلوب جميع الذين عرفوها فكانت الكاتبة في مأتمها مرسومة على الوجوه، ومن أخص أنها كانت أنس المجلس بالأحاديث المهذبة المرصعة بالأمثال والحكم وذكر اللطائف والنكت، فكأن مجالسها يجالس رواية حكيماً لا فتاة في شرخ صبائها ولم يمر على وفاة هذه الفاضلة إلا ٥٥ يوما حتى توفيت طفلتها " نضيرة " في شرتون في ١٢ تشرين الأول فلم يبق لها على وجه الأرض إلا بنات أفكارها وثمرات لبها، وكفى بهن تخليداً لعطر ذكرها.

وأما " عفيفة " فقد عقد عليها للشاب الأديب الخواجة نصري موسى من بكفيا .

وفي ١٣ من تلك السنة سافرت مع زوجها إلى مدينة " بارا " من أعمال البرازيل ومرا بالديار المصرية فأقاما في الإسكندرية شهراً وفي أثنائه تجولت مع قرينها في أشهر مدن القطر المصري ثم سافرا إلى فرنسا وقضيا في مرسيليا ثلاثة أيام ويمما باريز وقضت عليهما أشغال قرينها أن يقيما بها زهاء أربعين يوما، وقد رأت كل ما في قاعدة فرنسا من المشاهد الموصوفة والأماكن المشهورة . ثم ذهبت مع رجلها إلى مدينة " بارا " البرازيل بطريق " الهافر " وعرجا على جزية " ماديرا " وكان وصولهما إلى بارا في أوائل خزيران فأقامت ثمة متمتعة بالعافية

إلى أواسط فصل الخريف حيث ابتدأ الحر في ذلك الإقليم فلم تقو على احتماله فألم الداء بذلك الجسم اللطيف ولم يذهب عنه حتى ذهب بحياة سيدة جمع الله فيها بين الجمال والعفاف والذكاء والآباء، وكانت وفاتها في ٣ شباط سنة ١٩٠٦ .

وقد عنى حضرة ميخائيل أفندي الشرتوني بجمع مقالات صاحبتي الترجمة في كتاب سماه نفحات الوردتين وصدره برسمهما وترجمتهما فاخترنا نقل الفصل الآتي منه للدلالة على مبلغ أدب هاتين الفاضلتين وسعة اطلاعهما .

## مختارات من مقالات المرحومة أنيسة

(١)

### المتنبي والبهاء زهير

أديبان مشهوران قد حكمت لهنا قصائدهما الغراء أن يكرما بشرف الانتساب إلى الشعر وأن يحملا أعلامه ويتصدرا في مجالسه، غير أن الأول وهو من أهل القرن الرابع للهجرة يشبه كريما يقود بعقود الجمان وقلائد المرجان ولكن بوجه مقطب عبوس فكأنما اعتمد على أن لا ينعم بجواهر أفكاره إلا على من يحتمل تعبس عبارته أي على من يفهم لسانه ويزج سجوف الغموض عن تلك الوجوه الحسان، ولذلك أقبل العلماء على شرحه ليكشفوا للناس على ما فيع من كنوز المعاني وكفى به برهانا على أن في شعره غموضاً ولاسيما على من هم من أطفال الأدب أو أحداثه فلا أكتمك أني كنت وياه أول لما أخذت أقرأه كالمخلفين لغة على أن كلا منهما تعلم من لغة الآخر فكنت كمن يجالس رجلاً ليستفيد منه ولكن الرجل قل ما يقبل عليه بوجهه ولا يكلمه غالباً إلا موجزاً فضقت صدراً حتى اضطررت على أن استخدم ترجماناً بيني وبينه لكي أفهم

المقصود من كثير من أبياته وذلك الترجمان هو شرح الواحدي فصاحب هذا الشرح كان بالغاً في معرفة الغريب وخبيراً بمذاهب الشعراء أو لعلك تقول ما الذي دعا أبا الطيب إلى جعل شعره عالياً على ضعفاء الأدباء والمتأدبين وما الذي حمله على الأغراب فأقول إن المتنبي أظن لكثرة ما حفظ من ألفاظ اللغة وخزن في ذاكرته من القصائد التي هي منازل لغريب اللغة لم يعد يشعر أنها غريبة على الناس أو أنه كان لا يلتفت إلى حال من يقرأ ويسمع ولا يراعي اختلاف الطبقات في الفهم، وربما كانت نفسه تميل إلى استعمال الغريب والعويص وتعده من مفاخر الشعر ولكن رجلاً له مثل هذه المعاني يحل عن الانحطاط إلى حالة من كل رأس ماله استعمال كلمات تدور دورانها على الألسنة وقل تداولها بين الكتاب ولم يبق لعين القارئ ولا لأذن السامع أنس لها وهي كما لا يخفي على أحد لا تكلف من يستخدمها إلا أن يفتح كتاباً من كتب اللغة فيخرجها من سجنها وهو أمر سهل على كل من أراده .

هذا ولنا أن نعلل ذلك بأن كثيراً مما هو غريب على ضعفاء الأدباء من أهل زماننا كان متداولاً بين أدباء زمانه، ولا شك أن لاختلاف الزمان تأثيراً في الكتابة لفظاً ومعنى كما أن لاختلاف الطباع والمقاصد ضرباً من التأثير في الكتابة فكثير ممن تقدموا المتنبي تجد في كلامهم أغراباً أكثر مما تجد في شعر المتنبي ما خلاه عنترة ومن نحا نحوه .

والمتنبي يظهر بهاء شعره لأهل الأدب وأرباب القريض فعيونهم هي التي ترى بدائعه ولطائفه, وأما طبقة الضعفاء فإنما يرون بعضه بعيون ضعيفة النظر ولكن بعد أن يفسر الترجمان أي الشارح ما لم يفهم القارئ من ألفاظه أو كناياته فيكون القارئ مثل صغير وعده شيئاً نفيساً وشرط عليه شرطاً فلما قام بالشرط جاءه أبوه بالموعود فابتهج نفساً .

وأما أنا ففراراً من عناء التأمل والتفتيش وتخلصا من جميل الترجمان اقتصرت من قصائده على ما هو واضح اللفظ والمعنى من نحو قوله:

إني لأعلـــم واللبيــــب خبـــير　　　إن الحيـــاة وإن حرصـــت غـــرور

ومن نحو:

الحـــزن يقلـــق والتجمـــل يـــردع　　　والـــدمع بينهمـــا عصـــى طيـــع

على أن الشاعر العظيم متى أراد أن يكلم الناس بلا ترجمان رأيت في كلامه من الحلاوة واللطف ما يستعذب على أطيب شراب وذلك كقوله في العتاب:

أأنطــق فيــك هجــواً بعــد علمــي　　　بأنــك خــير مــن تحــت الســماء

وأكــره مــن ذباب الســيف طعمــا　　　وأمضـــى في الأمــور مــن الفضـــاء

ومــا أربــت علــى العشــرين ســني　　　فكيــف مللــت مــن طــول البقــاء؟

وهبــني قلــت هــذا الصــبح ليــل　　　أيعمـــى العـــالمون عـــن الضـــياء

وقد لاحظت أنه متى همه أن يفصح عما في نفسه وحرص على أن يفهم معناه ويقبل احتجاجه ويرسخ برهانه عدل عن الأغراب وسلك أقرب طرق الأفهام كما رأيت في الأبيات المذكورة وكما ترى في قوله:

كم قد قتلت وكم قد مت عندكم　　　ثم انتقضــت فــزال القــبر والكفــن

وفي قوله:

إن كـــان يجمعنـــا حـــب لدولتـــه　　　فليـــت أنا بقـــدر الحـــب نقتســـم

وأما الثاني وهو البهاء زهير الذي ولد في أواخر القرن السادس للهجرة ومات بعد منتصف القرن السابع بثماني سنين فديوانه الروضة الناضرة الزاهرة أو الوجوه الجميلة الضاحكة فقصائد كتفاح دمشق أو عنب داريا فكأنما يلقاك بثياب فاخرة نظيفة وهيئة مشرقة ظريفة فكادت تأكله بضميرك وتشربه ثم أن شعر المتنبي مثل بئر عميق الغور لا يشرح لك ما في صدره ولا يطالعك بما في طويته إلا بعد أن يثق بودك .

وأما البهاء زهير فيكشف لك دخيلة أمره وسريرة نفسه لأول مقابلة ولا يخشى إعراضاً ولا زهداً ولا يخاف زوال كرامة، وقصارى القول أن الذوق يطلب وصول الكلام إلى العقول على أثر وصوله إلى الآذان وإن من يأتي بما لا يدرك مقصده منه إلا من باب حل اللغز كان كالمزور الذي يشيح بوجهه عن زائريه فينفرون منه ولا يحبون أن يطأواله عتبة بعدها .

وأعلم أني كتبت هذا الفصل بمنزلة عرض حال أرفعه إلى جماعة المنشئين لأبين به حال من هو مثلي عند قراءة ما فيه تعقيد أو أغراب حتى تدركهم الرأفة بضعفة الأدباء وجماعة العوام، أفلا تدري أن أهل العلم الواسع لا يشعرون بما تشعر به ضعيفة في العلم من نظائري عند مطالعة ما وضع تحت أستار من الاستعارات الغريبة والكنايات البعيدة أو ما جاء كالمتنكر بزي غير مألوف وهو ما وقع اضطراب في تركيب العبارة عنه أو أورد بكلم لم يستعمله الأمثل الحريري في مقاماته وإذا اعتبرت ما ذكرته كما أملاه علي شعوري فأحب أن أذكر من شعر البهاء زهير ما تعلق به الروح ويلتذ به السمع وكله من نمط ما يأتي حلوة وطلاوة ووضوحا قال:

مـن مثـل قلـبي أو مـن مثـل سـاكنه　　　الله يحفـــظ قلـــبي والـــذي فيـــه

يا حسن الناس يا من لا أبوح به    يا من تجني وما أحلى تجنيه
قد أتعس الله عينا صرت توحشها    وأسعد الله قلبا صرت تأويه
فمن أذاع حديثا كنت أكتمه    حتى وجدت نسيم الروض يرويه
إذا سألت فسل من فيه مكرمة    لا تطلب الماء إلا من مجاريه

قال:

رق في الجو النسيم    فتفضل يا نديم
ما ترى كيف امحت    من حلة الليل رقوم
وكأن الفجر نهر    غرقت فيه النجوم

وقال:

تقدم ذكر الجود قبلك في الورى    وأصبح من ذكراك مسكاً ختامه
أمنت بلقياك الزمان وصرفه    فغيري من يخشى عليك اهتضامه

وقال في مدح صلاح الدين الأيوبي:

عرف الحبيب مقامه فتدللا

إلى أن قال:

وقنعت منه بموعد فتعللا

أهوى التذلل في الغرام وإنما    يأبى صلاح الدين أن أتذللا

مهــدت بالغــزل الرقيــق لمدحــه وأردت قبـــل الفـــرض أن اتـــنقلا
ملــك شمخــت علــى الملــوك بقربــه ولبســت ثــوب العــز فيــه مســبلا

إلى أن قال:

قهــر الزمــان وقــد عــراني صــرفه حـــتى مشـــى في خدمـــة مـــترجلا
ثم التفــت وجــدت حــولي العمــا مـــا كـــان أســـرعها إلى وأعجـــلا

فيا ليت شعري هل يدخل على قلب القارئ من الأنس والابتهاج عند قراءة قول المتنبي:

وفـــاؤ كمــــا كــــالربع أشــــجاه بأن تسـعدا والـدمع أشـفاه سـاجمه

مثل ما يدخل عليه منهما عند قراءة ما رويت من شعر البهاء فلا ريب أنك تقول كلا فهو كالبواب الذي يتلقاك بوجه عابس وكلام يابس .

والخلاصة أن من صرف همته إلى استعمال المأنوس وتعمد أن يختار الأساليب المستلطفة كما فعل البهاء زهير كان كالمورد العذب فتقبل على شعره الخاصة والعامة ومن استطاع أن يجتذب إليه الناس فحليق به أن لا يبعدهم عنه ومن أراد أن يبث أفكاره وينشر مقاصده فلا يناسبه إلا الكلام السهل لأنه جامع بين الصحة والسهولة فهو مفهوم عند العوام ومقبول عند الخواص، وإن عدل إلى التعقيد، صرف الناس عنه فأين منقول المتنبي:

ومـا التأنيـث لاسـم الشـمس عيـب ولا التــــذكير فخـــــر للهـــــلال

قوله هو نفسه:

أحـــــاد أم ســـــداس في أحـــــاد ليلتنـــــا المنوطـــــة بالتنـــــادي

فالأول واضح كالصبح والثاني كأنه الليل البهيم فقد تكلف الشارح أن يكتب عدة سطور ليرفع الستار عن هذا المعنى ولو كان كلامه في لغة أعجمية لكانت ترجمته أيسر منشرح كلام وصل من التعقيد إلى أن أعتاص أدراك معناه على العلماء وأين منقول المتنبي وضوحا وطلاوة:

إذا أعتـــاد الفـــتى خـــوض المنـــايا فأســـهل مـــا يمـــر بـــه الوحـــول

قوله هو نفسه:

فـــتى ألـــف جـــزء رأيـــه في زمانـــه أقـــل جـــزي بعضـــه الـــرأي أجمـــع

ولكن سبحان من لا يقال في أعماله لو أو لولا فإن الفرزدق على علو طبقته صار قوله:

ومـــا مثلـــه في النـــاس إلا مملكـــا أبـــو أمـــه حـــي أبـــوه يقاربـــه

مثلا في مخالفة الفصاحة بما فيه من التعقيد .

(٢)

## " فصل الخطاب في الرجل والمرأة "

هذا موضوع كان قد كتب فيه بعض المتأدبين في جرائد بيروت أيام لم تكن هذه القصيرة اليد قادرة على الدخول في مثله موضوعا، وكثرت المحادثات فيه في الاجتماعات المنزلية على ما عرفت وظهر للمرأة أنصار يوجبون مساواتها للرجل ظن أنها في حالها المألوفة لها من صدور الدهر منحطة قدراً عن الرجل وقد جرى أمامي محادثة بين سيدتين متعلمتين تمادتا فيها وانتهتا إلى أن المرأة ينبغي أن يكون لها من الحقوق في مناصب الحكومة مثل ما للرجل فمنذ ذلك اليوم جعلت أفكر في هذه المسألة والتفت أثناء تفكيري فيها إلى الحالة

الاجتماعية التي جرت عليها المرأة من أوائل الدهر إلى يومنا هذا فخطر لي ما أنا كاتبة وهو فيما اعتقد القول الفصل في المسألة المشار إليها فأقول .

من المعلوم لكل أحد أن الرجل والمرأة مصدر الكائنات البشرية والعلة في بقائها، فإذا انقرض النوع البشري برمته حتى لا يبقى على سطح الغبراء ديار، ولا نافخ نار، وقد صاغ الخالق الحكيم كلا منهما صيغة مناسبة لما أراد به كما صاغ كل واحدة من المشاعر الخمس صيغة لا يتحصل المقصود من تلك الحاسة إلا بها .

وهذا المبدع الذي لا حدود لحكمته ولا تخوم لقدرته قد جعل البشر طبقات وجعل كل طبقة محتاجه إلى غيرها فكانت الحاجة هي الرابطة بين تلك الطبقات، فالملوك على علو مقامهم في حاجة إلى رجال السيف والقلم أو إلى الجند والوزراء، والأغنياء مع بسطة ثروتهم هم في حاجة إلى الفقراء، وترى الجهال من أية طبقة كانوا في حاجة إلى العلماء والمرضى في حاجة إلى الأطباء، ولا رزق لهؤلاء إلا العلل والأسقام فكأنما كرومهم وبساتينهم وحقولهم الحمى وذات الجنب والنقرس وانتفاخ الكبد ومرض القلب وهلم جرا إلى سائر أنواه المرض والفقر أعمال ضرورية لا يستطيع الأغنياء أن يقوموا بها، فعل من غنى يكفيك مؤونة الزرع والحصاد والدبس والطحن والخبز، ام هل من متمول يحمل لك الأمتعة إلى منزلك، ولكن الغني يجلب لك القمح ويبيعك إياه بربح، فلولاه لكان يتعسر عليك أو يتعذر جلب القمح من البلاد القاصية أعوام القحط فهذا بثروته تنفعك لينتفع منك، وعلى هذه القاعدة وزع الخالق الحكيم أعمال الحياة بين الرجل والمرأة وبتعاونهما واتحادهما بحفظ النوع وتستتب أحوال البيوت ويستمر الكون معموراً .

(٣)

## ماذا أراد الخالق بالمرأة ؟

إذا نظرت المرأة إلى الغرض العظيم الشأن الذي كونت تكويناً كافلاً للقيام به رأت أنها منبت الورى كلهم أجمعين من ضعيف وقوي ومسكين وغني وجاهل وعالم وسوقة وملك وعلمت علم اليقين أنه لم يأت العالم رجل إلا خاضعاً لسلطانها منقاداً لحكمها لائذاً برأفتها مستخرجاً رزقه من ثدييها. لا ملجأ له سواها، وأنها هي أول أستاذ له وأول حاكم عليه، فما على وجه البسيطة من ملك لم يكن أو عهدة بالدنيا تحت يد امرأة وما من سلطان لم تعرك المرأة أذنه أو تضرب خده بكفها . فإذا التفتت أختي المرأة إلى ما ذكرت رأت أنها في مقام عال في الاجتماع الإنساني بل رأت أنها أحد ركني الكون العظيمين وإذا نظرت إلى ذلك حق لي القول أن من العجب العجاب ما يقرأ من المقالات لبعض النساء اللواتي يطلبن أعمال الرجال كالقضاء مثلا مع أن الطبيعة تشهد بغير لسان أن الصيغة التي صيغت عليها المرأة لن تعدها لمثل ما تطلب نساء البلاد الزاهرة الحضارة المستأثرة بحمل راية المعارف والصنائع دون سائر بلاد الله كلها جمعاء .

(٤)

## عظمة العمل الذي أعدت له المرأة

يا له من عمل خلقت له المرأة ينحط عنده كل عمل ألا وهي التي خلقت لوقاية النوع البشري من الفناء والاضمحلال وهي التي برئت لأن تهدي إلى الدنيا الذرية البشرية الكافلة بقاء العمران ولأن تربي الأطفال وتهذبهم ولأن تكون ربة البيت وسائسة العائلة وحسبي من بيان عظمة هذه الأمور أن أوجه

نظر المطالع إليها وحسب الرجل أن يراعي ذلك حتى يقدم للمرأة حقها من التكريم بل حتى يضعها على منصة التعظيم ولما كان ذلك هو الغرض الذي أراده الخالق بها صورها صورة تسهل الطريق إلى إدراكه فهي مقضي عليها بالنظر إلى جبلتها أن تكون ملازمة بيتها معتنية بشؤونه قائمة بتدبيره كافية الرجل مؤونة الاهتمام بما يلزم البيت من إعداد المآكل والملابس وتربية الأطفال ليكون هو متفرغاً للأشغال الخارجية التي يستخرج منها نفقة عياله، وعلى وجه الاستطراد أقول ومن عجيب أمر المرأة إقبالها على طفلها بلذة فوق لذة إقبالها على التحلي بعقود الجمال وقلائد الياقوت والخروج إلى المنازه في العجلات الفاخرة فلو لم يكن للمرأة من صنيع في الكون إلا هذا لوجب أن تكرم لولا نهى الله عن السجود لغيره بالسجود، فأي رجل لم يكن وديعة رحمتها وأمانة رأفتها أم أي رجل ليس هو ابن امرأة فهي أم العلماء والأطباء والفلاسفة، وهي أم العظماء والوزراء، وهي أم الملوك، وهي أم رؤساء ووعاظ المنابر، وهي أم الرسل والأنبياء كما أنها أم أهل الزراعة والصناعة والتجارة فلا أدري كيف تطلب بعد هذا مساواة الرجل ومشاركته في ما لم تخلق له من الأمور والأعمال .

(٥)

## ما يجدر بالمرأة أن تباري الرجل فيه

أن الذي يجدر بالمرأى أن تباري الرجل فيه إنما هو الأعمال التي يصلح لها كيانه وكيانها من نحو الكتابة والشعر والتصوير والنقاشة مما لا يدفع العامل إلى التعرض للأعمال الشاقة وفي الحق أن من بنات جنسي من باريز الرجل في الكتابة والشعر كالخنساء وابنتها عمرة وجليلة بنت مرة زوجة كليب وأخت جساس قاتله وعمرة بنت دربد وعمرة الخثعمية والفارعة بنت شداد والفارعة بنت طريف وفاطمة الخزاعية ولبانة ومحبوبة ومفضلة الفزارية ومية بنت ضرار،

ومية بنت عتيبة وأسماء بنت أبي بكر الصديق إلى كثيرات غيرهم ممن حفظت أسماؤهن بما بقى لهن من الشعر .

وليس في الأدباء من يجهز مقام الخنساء ومقام جليلة والفارعة بنت طريف وليلى الأخيلية، ولإذا أردت الاطلاع على ما لهؤلاء الشواعر وغيرهن من الشعر فعليك بديوان الخنساء الذي نشرته المطبعة اليسوعية وضمت إليه قصائد في الرثاء لستين شاعرة من شواعر العرب، وتتبع كتب التراجم فترى عدة شواعر مثل علية بنت المهدي العباسية أخت أمير المؤمنين هارون الرشيد التي توفيت سنة ٢١٠ للهجرة فهذه لها ديوان شعر ومثل عائشة الباعوني صاحبة البيتين المشهورين وهما:

بـــني ســـلطاننا برقـــوق جســـراً     بعـــدل والعبـــاد بـــه مطيعـــة

مجـــــاز بالحقيقـــــة بالـــــبرايا     وأمـــر بالســـلوك علـــى الشـــريعة

والباعو نية هذه من أصحاب البديعيات وكما بارت الرجل المرأة الشرقية في الكتابة والشعر فقد بارته المرأة الغربية أيضاً كالسيدة سفينة وابنتها وحفيدتها وللسيدة سفينة عشرة مجلدات من الرسائل التي كتبتها إلى ابنتها وهي عند الإفرنج، مثل مضروب في السهولة والانسجام، وقد ذكر المقتطف ترجمتها ورسم صورتها من كاتبات الإفرنج السيدة ( مانتنون ) التي طبعت رسائلها من بعد موتها، والسيدة ( ستايل ) وهي أشهر النساء والمؤلفات في القرن الثامن عشر إلى كثيرات غيرهن، وقصارى القول أن استمرار النوع البشري في دار الدنيا قائم باثنين الرجل والمرأة، فهما الركنان اللذان لا تعمر الأرض بدونهما وأن كلا منهما ميسر بالصورة التي صور بها لضروري من أعمال الحياة لم يتيسر لها الآخر، وإن من الأعمال ما هو موافق للاثنين وعلى هذا مشى الناس من

صدور الدهر ولم يزالوا عليه إلى اليوم ولن يزالوا ما بقوا، فلا يظن بعض أخواتي من أديبات العصر أن المرأة لا تستوفي حقها من الكرامة إلا بمساواة الرجل ومشاركته في كل ما أهلته الطبيعة للانفراد به كالجندية وصناعة البناء وصناعة الحدادة وسوق العجلات، فإن العناية بتدبير البيت وترتيب أحوال العائلة للراحة والاطمئنان وسبب لتفرغ الرجل لما يتعاطاه من صناعة أو تجارة أو خدمة وهو مما انفردت به المرأة وهذا على أهميته لا يعد شيئاً بالقياس إلى ما تهدي إلى الدنيا من النسل وتغني بتربيته وتحتمل المشاق في سبيل تنشئته .

فاكتفى أيتها المرأة الحكيمة بالاستقلال بحمل هذا العبء العظيم الذي من أجله يجب على الرجل أن يقدم لك أقصى ما يتصور من التكريم، وأما هذه الآراء الجديدة فلا أراها إلا من باب مخالفة الطبيعة، ولا يعرف في الكون عمل خالف الطبيعة ونجح، وعلى سبيل الاستطراد أقول:

من شوائب هذا العصر أن جمهور أهله يتهالكون على الجديد ولو باطلاً وينفرون من القديم ولو حقا وهو انحطاط عقلي يزري بأهل عصر يسمونه عصر العلم، فسبيل كل من أهل العصر أن يعرض على عقله ما يراه من الأقوال الجديدة المخالفة لعادات أو قواعد أو نواميس قديمة ويوازن بين الجديدة والعتيقة حالا ومالا ونتيجة وسببا ومسببا وعليه قبل أن يفضل الجديد أن يكرر هذه الموازنة مرات فإذا رأى أن الصواب إتباع الجديد اتبعه وإلا بقة متمسكا بالقديم وهو على علم أن من الصواب البقاء عليه وان من الضلال إتباع الجديد الذي ولده الغرور .

هذا وقد صار من اللائق أن نفكه المطالع بشيء من شعر ربات الخدور مما تتراءى فيه العواطف الشريفة تحت ضياء العقل ونور الحكمة، قالت جليلة في قصيدة أخت كليب وهي من طيب الشعر:

يا ابنـــة الأقـــوام أن لمـــت فـــلا　　تعجلـــي باللـــوم حـــتى تســـألي
فـــإذا أنـــت تبينـــت الـــذي　　يوجـــب اللـــوم فلـــومي واعـــذلي
أن تكـن أخـت امـرء ليمـت علـى　　شـــفق منهـــا عليـــه فـــافعلي
جــل عنــدي فعــل جســاس فيــا　　حســـرة عمـــا انجلـــى أو ينجلـــي
فعــل جســاس علــى وجــدي بــه　　قـــاطع ظهـــري ومـــدن أجلـــي
لــو بعــين فقئــت عــين ســوى　　أختهـــا فانفقـــأت لم أحفـــل
تحمـــل العـــين أذي العـــين كمـــا　　تحمـــل الأم أذى مـــا تفتلـــي
يا قتـــيلا قـــوض الـــدهر بـــه　　ســـقف بيـــتي جميعـــا مـــن علـــى
هـــدم البيـــت الـــذي اســـتحدثته　　وســـعى في هـــدم بيـــتي الأول
لـــيس مـــن يبكـــي ليـــومين كمـــن　　إنمـــا يبكـــي ليـــوم ينجلـــي
يشـــتكي المـــدرك بالثـــأر وفي　　دركـــي ثأري ثكـــل مثكلـــي
إنـــني قاتلـــة مقتولـــة　　ولعـــل الله أن يـــرتاح لي

(٦)

### " محادثة " بين أهل العصر والحارس المضطهد

الحارس الأمين – فيم أسأت إليكم أهل العصر حتى استوجبت بعضكم واحتقاركم ولماذا أرى فريقاً من كتابكم وخطبائكم يهجمون على حتى يقلعوا

حرمتي من قلوبكم .

لا أعرف أن لي سيئة في حق أحد منكم وأعلم من نفسي بأني أبذل باذل جهدي في المحافظة على حياتكم وصيتكم وأموالكم، أفهذا هو الذنب الذي يدفعكم إلى أن تصبوا الذم على رأسي.

ليت شعري هل فيكم من يريد أن تتناوله الألسنة بالغيبة أم هل فيكم من يريد أن يعيش بين قوم لا يعدون القتل حراماً ولا يرون الضرر بالصيت والمال إثماً، لا أظم أن فيكم من يريد ذلك بل أعتقد أن كلا منكم يريد أن يكون في مأمن على حياته وصيته وماله، وأنا أنا الكفيل له بذلك فلماذا إذا تكرهوني .

هل أكرمني قوم ولم يذوقوا طعم السعادة أم هل رعى حرمني أحد ولم يرع الناس حرمته أم هل عرف إنسان بالثقة بي ولم يجد الناس يثقون بقوله – لا شك أنكم لا تنكرون اعتماد الناس على كل من عرف بموالاتي واشتهر بمحبتي، فإن كنتم تفتخرون بالعلم ولا تردون لي ما استحق من التكريم فقد ضل عملكم واظلم نور ذكائكم واضطربت أحوالكم فليس في الدنيا من يغني غنائي في المحافظة على هذه الأشياء الثلاثة التي هي أهم من كل مهم: الحياة والصيت والمال .

أهل العصر – قل لنا من أنت قد شوقتنا إلى معرفة اسمك الكريم حيث إذ ذكرت أن كل سعادتنا من فضلك وراحة بالنا نعمة من نعمك .

الحارس – أنا رونق الاجتماع أنا كفيل الإسلام،أنا القاضي العادل، أنا الأب الحكيم الحنون، أنا منهل السعادة .

أهل العصر – قل لنا ما اسمك .

الحارس – اسلمي الدين .

أهل العصر – يا لها من صفات شريفة تحسن صاحبها وتجمله ولكن أين هي منك بل أين الحراسة منك فلو كنت كما وصفا نفسك لكنت تكون جاعلاً الخاملين اسمك كالأخوة، لكنت تكون فد استأصلت من بينهم القتل والسرقة وشهادة الزور ولكنت تظهر بلون لا بألوان والحال أن الناس المنتسبين إليك يأكل قويهم ضعيفهم ويغش عاقلهم غبيهم ولا يرد القادر منهم عن إيقاع الضرر بالضعيف إلا سلطة قاهرة .

الحارس – إن صفاتي شريفة وإن دعواكم صحيحة وإني كما قلت كفيل السلام وعماد السعادة بين الأنام ولكن متى مشوا تحت علمي واتبعوا وصيتي، فليس ذلك لقصور مني ولكن لنفور منهم عني .

ثم إني لذو لون لا ألوان ولكن جرى ما جرى حتى لونوني ألواناً ونوعوني أنواعا وما أنا في جوهري إلا نوع واحد، ومع ذلك فإن ألواني وأنواعي على اختلافها تجتمع في وجوب المحافظة على الحياة الصيت والمال، وهي مدار السعادة في هذه الدنيا كما قلت لكم وإما الاختلاف بين تلك الأنواع فلا مدخل له في الأمور المعاشية .

أهل العصر – كيف تدعي القدرة على ذلك وهذه السجون من قديم الزمان ممتلئة بأصحاب الجنايات، كيف تدعي ذلك والناس لا يقدرون أن يعيشوا بلا سلطة تنصف مظلومهم من ظالمهم وتردع قويهم عن ضعيفهم .

الحارس – كل كلامكم حث من جهة أن الناس لا يقدرون أن يعيشوا ما لم يسلطوا واحداً عليهم وكذلك أن السجون ممتلئة بأصحاب الجنايات، وأما من جهة عجزي فلو أكرمتم وصاياي لاستغنيتم عن مراجعة المحاكم ولكنكم احتقرتم اسمي ودستم وصيتي فوقعتم في هذه الاضطرابات كما قلت لكم .

أهل العصر – ما احتقرناك ولا شككنا فيك إلا لما رأينا خدامك قد ازدروا بك وأرادوا أن يتسلطوا علينا باسمك وهم لا يحفظون كلامك ولا يكرمونك فبينهم من العداوات والاختلافات على الدنيا أكثر مما بين سائر الناس فكل الحق عليهم لا علينا .

الحارس – قد أخجلتموني بذكركم ولا أجد جواباً أرد به كلامكم فأنا مثلكم غير راض عن كثير منهم فهم أهانوني ولكن فيهم كثيرون كرموا اسمي ورفعوا على كالعادة المنتشرين في الأطراف البعيدة وكالراهبات القائمات على تمريض المرضى وكالكهنة الذين أخرجوا قلوبهم من الدنيا وكالرؤساء الذين تثبت أفعالهم تجردهم لخدمة الرعايا وكالذين أسسوا المدارس وألفوا الكتب للتعليم والتهذيب وكالذين وقفوا الأملاك الكثيرة الريع على الفقراء فبهؤلاء اقتدوا وبهؤلاء تمثلوا فهم قد أتموا واجباتهم ورفعوا بيرقي وحينئذ تعرفون منافعي وتكفون عن اضطهادي .

أهل العصر – نعم الحارس أنت وحبذا الذين اتبعوا وصاياك وبئس الذين خدعوك واعتزوا بك ثم جروا عليك الاضطهاد وسودوا وجهك عند الناس وأنت لابد أن تنزع الكرامة عن كل خادم غير أمين كما لابد أنك تتشدد في قبول من يجيء ليتقيد بخدمتك وتستقصي البحث عن أخلاقه وسيرته فإذا وجدته موافقا من حيث الأمانة والنزاهة قبلته وإلا رفضته كما ترفض الجندية من في جسمه عيوب كالعور والعرج والجذام .

الحارس – الآن قد اتفقنا ولم يبقى بيننا خلاف ومما سرني أنكم تصرفون النظر عن الذين يعطون الناس قدوة رديئة ولا تلتفتون إلا إلى أولئك الذين يعطون الناس قدوة حسنة فهؤلاء هم خدامي الأمناء وأما الذين يتوسلون إلى استخراج الأموال باسمي أنا الدين ويصرفونها في سبل الدنيا ومآرب المجد

والملذات فهم الجديرون بأن أفرغ غضبي عليهم فهؤلاء الذين أطلقوا في دمي السنة الخطباء وهؤلاء الذين أجروا الأفلام بالطعن في .

فيا أيها الكتاب والخطباء المستخفون بي من سوء تصرف بعض المنتسبين إلى انظروا في سيرة الأمناء من أتباعي وما هم القليل حتى في هذا العصر .

الكتاب والخطباء – عذرا أيها الحارس الأمين أبي الله أن نجرد للطعن فيك يراعا أو نطلق لساناً لكنا متى رأينا أحد خدامك قد خانك وداس أوامرك فحينئذ ننهض عليه انتصاراً لك وتنزيها لشأنك وإجلالا لمقامك فإنك نقي لا تحتمل الدنس وأمين لا ترضى الخيانة .

كما أننا تعطر الآفاق بالثناء على أصفيائك من الرؤساء المقبلين على القيام بأعباء مقاماتهم المعلمين الناس السيرة الحسنة بأفعالهم الصالحة وطريقتهم الحميدة .

الحارس – الآن قد اطمأن بالي ووثقت أن الكتاب والخطباء يعرفون أن رجال الدين ليسوا أرواحا بلا أشباح بل هم بشر ولابد أن يوجد فيهم من تغويه الدنيا فيحيد عن سبيله فهذا تستعمل الفطنة في تنبيه وكتم أمره ما دعت المصلحة العامة إلى كتمه .

## مختارات من مقالات الأديبة المرحومة عفيفة

### قراءة الصحف

قد أولعت بقراءة الصحف والمجلات وحصلت لي بذلك لذة زادتني رغبة وولوعا حتى إذا مر على أسبوع ولم أطالع بعض ما ظهر فيه من أعداد الصحف الأسبوعية شعرت بالاستيحاش ومست قلبي حرارة الشوق إلى المطالعة وإذا انقضى شهر ولم أطالع ما الفت مطالعته من المجلات العلمية انقبض قلبي

وأصابني ما يصيب المدخن إذا أعوزه الدخان ولقد رأيت هذه المطالعة من أفيد المطالعات لمن يدخل في الأعمال ويخالط الأنام ويجالسهم إذ تعقه على أحوال البلاد وتريه ما بين الدول من الوفاق أو الشقاق وإذا عرض عن مطالعتها رأي نفسه عند مجالسة الأصحاب غريبا عن الدنيا ليس عنده شيء من أخبارها ومنحطا معرفة عن طبقة من يحسنون مطالعتها .

## كيفية مطالعة الصحف

إن من أراد أن يستفيد من مطالعة الصحف ولا يلحقه أذى من بعض منشوراتها فلابد له من أربعة أمور الأول أن يقرأ كل ما فيها ولا بدع مطلبا من مطالبها ولا خبراً من أخبارها ولو من أخبار قدوم رجل من العوام أو سفرة ممن لا يتوقف على معرفة قدومه أو سفره أمر من الأمور جرياً على القول المشهور " العلم بالشيء ولا الجهل به " وهذا إلا أمر قل من يوفيه حقه ممن نراهم يطالعون الجرائد بل كثيراً ما ترى الشخص يأخذ الجريدة فإذا لم يجد فيها خيرا يلذ له ألقاها من يده أو نبذه نبذ شيء يعلوه قذر حالة كونه لا شاغل يشغله عن استتمام القراءة بل قد يعرض عنها إلى ما ينتهي به من ضروب اللعب وأن يستقري الحوادث وأسبابها وسيرها ونهايتها .

الثاني أن يتتبع المطالب عدداً فعدداً حتى يكون عارفاً في كل مسألة كمن يصير من منبع النهر إلى مصبه بحيث لو أراد أن يكتب تاريخ حادثة جرت أو مسألة وقعت لصور لك دواعي وجودها وأراك طرق سيرها وبين لك المصاير وعالها وقد عرفت بعض من يلتزمون ذلك ويراعونه وكانت أحاديثهم الصهباء في أذني ألذ من ذوق الأخطل .

الثالث أن يستدعي انتباهه ويستنجد عقله حتى لا يذهب عليه شيء مما لا حجة له وكي لا يستحسن مالا وجه لاستحسانه فإن أكثر أصحاب الجرائد

العربية أنما يأثرون ما عدا الأخبار المحلية عن جرائد أوربا وهذه قد تذكر أموراً يحسن هناك ذكرها ويفيد ويقبح نشرها هنا ويضر وما يتصدى لها أصحاب صحفنا إرادة الأذى لكن كثرة الشواغل وتراكم المهام عليهم قد يغفلانهم عن رعاية ما تقتضيه حال المطالعين وحالة البلاد التي تجوبها جرائدهم ومن أحب الالتفات إلى ما أقول فلينظر جرائد كل مملكة كيف تخبر عن جيوشها في الحرب يرها تكتم أخبار الانكسار أو تفرغها في أضيق قوالب الإيجاز ويرها تبادر إلى نشر أخبار الانتصار على غاية ما تصل إليه الأقلام من الأطناب فعند الانكسار تكاد المحابر تجف وعند الانتصار تمد المحابر اليراع كأنها برك تدفق بالمداد وهل يلامون على ذلك كلا بل أنما هو تلقين الحكمة وإرشاد الفطنة وهو السنة المتبعة عند البشر مذ كانوا .

الرابع أن يعذر الجرائد إذا نوهت ببعض الناس تنويها عالياً وغالت في مدحهم وأني لكثرة ما قرأت وسمعت من الانتقاد من هذه الجهة أعملت الفكر في ذلك فتبين لي وجه للعذر وجيه وهو أن يكونوا معروفين بالصفات العالية والمناقب الشريفة شأن سائر البشر فهم يؤاخذون أصحاب الجرائد التي يشتركون فيها أن عرض ذكرهم ولم يتبعوا أسماءهم بالنعوت النبيهة وربما أدى ذلك إلى مصارمة الجريدة وقطع رزقها ولو نزل المنتقد نفسه منزلة من يخسر ماله وعناءه أن لم يراع خواطر القراء لعدل عن الانتقاد على أن أصحاب الجرائد الذين يؤاخذون في ذلك لا يصفون المرء بصفة لا أثر لها فيه وغاية ما هنالك أنهم يكبرون تلك الصفة وهذه سنة الناس في المدح وأنهم يشمئزون من بعض ما يكتبون من هذا القبيل فوق هذا فوق ما يشمئز غيرهم منه ولكن الضرورات تبيح المحظورات .

## مما يضر نشره

مما يضر نشره اندفاع الجرائد بالطعن على ذي منصب غير مستوجب الطعن وإطراؤها من هو جدير بأن يتظلم منه لمخالفته ما يوجب عليه منصبه، فإن كانت ذات غيره على مصلحة العباد ومحبة لعمران البلاد، فسبيلها أن تنتقد أعمال من يشذ عن مقتضيات منصبه، وتذكر ذلك بعبارة خيالية مما يحقره ويشوه اسمه وإلا عرضت نفسها للاستخفاف والامتهان، لا أقول ذلك كمن لا يعتقد أن الجرائد تقدر أن تخدم الآداب والشعوب أفضل خدمة وتستطيع أن تكون أقرب وسيلة لجر المنافع ودفع المضار ولاسيما إذا كانت حرة يديرها الحكماء ويدونها الفضلاء، ومن تتبع مطالعة الصحف يرى أن بعض الجرائد والمجلات قد صارت ذات مكانة في النفوس وأحرزت أقولها التكريم عند الخواص والعوام، وذلك لترفعها عن مجاراة الأهواء والتزامها الانقياد للبرهان ونعمد المنفعة العامة والمحافظة على كرامة الصيت، فعلى الجريدة إذا رأت أن وراء الانتقاد على بعض الأعمال فائدة أن يفعل ولكن على وجه يليق بقدرها وقدر الحق الذي تود المحافظة عليه .

وأما الذم الأليم والطعن الموجع فأحر بها أن تتكارم عنهما ويقيم نفسها مقام المهذب أو مقام الجراح المداوي فليس تونيب المهذب كذم العدو ولا مدية الجراح كسيف القاتل، فهما وأن جمعهما ألا يلام يفرقها الباعث، فتونيب المهذب يبعثه صفاء الود، وجرح الجراح يدعو إليه طلب الشفاء، وأما ذم الذام وجرح العدو فلا باعث لها إلا الضغينة، وعيب على صاحب الجريدة أن يجلس نفسه على كرسي الحكم أو النضج وقلبه مدنس بدون الحقد وعقله طوع هواه، فكل ما يكلف به المهذب والمعلم يكلف به صاحب الجريدة حتى تصيب جلالة في عيون الناس ومحبة القلوب وإلا أطرحوها كما تطرح القمامات واقبلوا على ما

ينشقون منها نفحات الأدب .

## طرق السفر وكتب المطالعة

إن طرق السفر قد تكون مخفية ذات مخاطر، أما من قبل قطاع الطرق واللصوص وأما من الوحوش الضارية فلا غنى لمن يضطر إلى السير فيها أن يتخذ عدة ويستصحب رفاقاً اتقاء لما ربما يعترضه من المخاطر، كذلك الكتب التي يندفع إلى قراءتها قد تكون مكامن للصوص الأخلاق الحميدة، فتثبت عبارات منها بسلاح التمويه والزخرفة على عقل المطالع وتنهب من آدابه كما يثب اللصوص على المسافر وينهبون أمتعته وأثقاله وربما تخرج بعقل المطالع عما كان عليه من المبادئ الصالحة وتجره إلى مبادئ طالحة فيكون كالسائح الذي يفتك به قطاع الطريق .

فكا كان من الكتب كهاتيك الطريق فلا يقدر على مطالعته الأمن كان له من العقل قوى كافية تريه تلك الأخطار وتعينه على ردها وتذليلها .

وقد تكون طرق السفر ضيقة واقعة على شفير مهواة فإن زلت بالسائر قدمه، أو بالراكب مطيته لقي حتفه فلا يتقي السقوط إلا إذا جانب حافة الطريق وتثبت في وضع قدمه ونقلها، وأشبه شيء بهذه الطريق كتب تتضمن من الأخبار والقصص ما يجعل الخطر على الآداب قريبا، فإن لم يكن للمطالع عقل يريه الخطر القريب منه يخش عليه أن تقوم قيامه آدابه ويخرج عن جميل عاداته، وقد تكون طرق السفر وعرة شاقة تصعب قطعها كالطرق الكثيرة العقبات أو الطويلة المعطشة، فمن ساقه الدهر إلى اجتيازها فإن لم يكن ضليعاً مستضحياً من الزاد والمزاد ما يرد عنه الجوع والعطش هلك في تلك المفاوز، ومثله من يحمل نفسه على مطالعة كتب يشق عليه فهمها ولا يقوى عقله على تناول معانيها فيضيع وقته في قراءتها ولا يحصل منها على فائدة، فإذا تصفحها من

أولها إلى آخر كان مثله مثل من يقطع الطريق تحت ستر الظلام فلا يرى شيئاً من البلاد التي على جوانبها أو مثل غريب يمر نهاراً بإقليم يرى من قراه وقطانه ولا يعرف قرية ولا إنساناً فيستطيع أن يقول رأيت قرى كثيرة ولا يمكنه أن يسمى قرية واحدة منها فتكون مطالعة مثل هذه الأسفار جافية موحشة لا لذة فيها ولا فائدة وراءها، وقد تكون البلاد التي ينتقل فيها قدرة خبيثة الهواء فتنبو نفسه عنها لما يلحق نظره وسمعه من الألم لرؤية الأقذار وخبث الرائحة، ويقابل بلاداً تلك صفاتها كنت تكثر فيها الألفاظ المستقبحة والقصص المستكرهة مما لا يسع المهذب إلا أن يسد أذنيه عن سماعها ملفوظة ويغمض عينيه عن رؤية حروفها مكتوبة فمن أطال مكثه في بلد فاسد الهواء كدر الماء كان عرضه لأن تهجم عليه العلل فتذهب بحياته .

ومثله عاقبة ومالا من يكثر من قراءة تظاهر هاتيك الكتب فلا يؤمن عليه أن نلصق الأدران بنفسه فتلبس بعض بياض نزاهتها سواد المخازي .

وقد تكون طرق سهلة ممهدة تمر بها العجلات وعلى جوانبها الأشجار والحدائق والمنازل الجميلة والدور البديعة التي تذهب بسالكها إلى بلاد عامرة تخفق فوقها راية العلم والأدب أو إلى مدن فيها القصور الشاهقة، والأسواق الحافلة، والمدارس الزاهرة ومظاهر سكانها مما يروق الناظر، ومعاشرتهم مما يسر الخاطر وينير العقل ومثل هذه الكتب النقية المهذبة الخالية من الألفاظ المستهجنة والتراكيب المعقدة الظاهرة فيها المعاني ظهور الأصحاء من أهل الجمال في أفخر ثياب المخمل والحرير فيجتمع بفيها جمال اللابس بجمال الملبوس .

فمن هاتيك الكتب يجني المطالع الثمار الطيبة والطعم الحسنة المنظر فيرجع عنها مسرور القلب بما رأى مستنير الذهن بما عرف ينثر لسانه الدور الغالية مما

يتناول جنانه من تلك الكتب التي تقابل من يطالعها بالابتسام وتجلسه على مائدة حافلة إلا بألوان الطعان لكن بألوان من الأفكار، لذتها عند القوة العاقلة تفوق لذة الأطعمة الطيبة عند القوة الذائقة .

فإن تيسر للمطالع أن لا يتصفح إلا كتباً من هذا النمط فكأنما اقتصر على المناهل العذبة والموارد الصافية فتحسن عليها صحته ويهنأ عيشه ولا تصادف ما يؤلم حاسة من حواسه بخلاف الكتب الشبيهة بالمياه إلا جنة في الأمكنة الوبيلة التي تعاف النفس شربها ويعل المزاج منها كالأسفار المشحونة بالأقاصيص المصنوعة والحكايات الموضوعة، فما راجت هذه الأسفار في قوم إلا أطفأت أنوار عقولهم وقذفت بهم إلى غور الذل . فانظر إلى الصين التي تبدر بثلث العالم تر إلى أي حطة نزلت الخرافات بأهل تلك المملكة الكبرى، فمن أعظم الإحسان إلى بني الإنسان إحراق كتب الخرافات وإخلاء الدنيا من آثارها.

ثم إن السفر قد يكون منحصراً في المملكة التي ينتسب المسافر إليها وقد لا يكون كذلك ومثله المطالعة فهي إما منحصرة في لغة المطالع ومؤلفات علماء بلاده وأما متجاوزتها إلى لغة قوم أو لغات أقوام آخرين، فمن الكتب المكتوبة بلسان غير عربي ما هو كمعادن الفضة والذهب ومغاوص اللؤلؤ مثل كتب العلوم والفنون والصنائع، ومنها ما هو كالبساتين الحاوية أنواعاً من الأشجار والفواكه وضروبا من البقول الطيبة والنباتات العطرية مثل كتب التاريخ وسير العلماء والأدباء والفضلاء، ومنها قصص وحكايات مما يتعلل به العوام في أوقات الفراغ، على أن في هذه قسماً مما يجب تطهير الأرض منه وتسليط النار عليه، فمن يقرأ كتب بلغاء الإفرنج وعلمائهم لا يصدر عنها إلا وفي ذهنه جواهر فوائد، وكذلك من يتصفح كتب العلماء من كل جيل، ولا يخفى أن نحو

ثمانية أعشار ما تذيعه جرائدنا ومجلاتنا معرب عن كتب الأعاجم ومجلاتهم وصفحهم وفي بعض هذه المعربات من الدلائل على ما تضمنته كتبهم ومنشوراتهم من الثمار الفكرية ما يهجم بالقارئ على تعلم لغة أعجمية والاجتهاد لاكتساب ملكة الإنشاء في العربية .

## نفوس الشعراء

الشعراء وما أدراك ما الشعراء، فئة من الناس رزقوا من بقاء الذكر أوفر نصيب، فهذا السموئل قد خلد ذكره بلاميته الفخرية التي دارت على الألسنة حتى تتمثل بأبياتها الكتاب والخطباء والمحدثون، وهؤلاء أصحاب المعلقات السبع قد حرص الأدباء على نسخ قصائدهم وحفظها وطبعها وعنوا بشرحها . وهذا الأعشى والحطيئة والنابغة والأخطل والفرزدق وأبو تمام وأبو الطيب وأبو عبادة البحتري ومئات بل ألوف غيرهم قد بقى ذكرهم مما نظموا من الشعر فكأنما هم أحياء باقون إلى يوم الحشر والنشور، ولقد اشتغل الأدباء ببيان طبقاتهم ولم ينظروا في ذلك إلا إلى حسن السبك ولطف الأسلوب ورقة المعنى وجمال التخيل، وهو أمر لابد منه لمن يهمه أن يعرف طبقات الشعراء، لكن أحداً ممن تصدى للكلام في أشعارهم لم يلتفت إلى الينابيع التي نبعت منها ،المعترفة بقصر اليدان أوجه النظر الضعيف إلى تلك الينابيع لأعرف طبقات نفوسهم التي عنها صدرت أقوالهم، ومنها جاءت قصائدهم ومقطوعاتهم فرأيته خاطراً جميلاً له طلاوة الجديد . وحلاوة المبتكر غير أني لم أجد رابية ولا قمة جبل ولا كوة فأطل منها على نفوس الشعراء ولا غرض لي أطلبه فيها سوى الأشراف على نفوسهم فأقبلت على أشعارهم فرأيت أكثر تلك النفوس لاصقة بملاذ الأبدان مؤتمر أوامر الطمع والأهواء مشغولة بما يلد الحواس راكعة ساجدة أمام ربات الحسن والجمال أو واقفة بأبواب العظماء والكرماء وقفه السؤال،

فثلاثة أرباع الشعر العربي في باب الغزل وربعة في سائر . الأبواب وهو تقدير لا أحسبه قصياً عن الصواب . ولو سعت هممهم إلى الملاذ المعنوية ما لصقت نفوسهم بالملاذ الحسية ولا انقادت لأوامر الطمع والهوى، فهم إذا في عبودية الدنيا كما سبق الإيمان حاشا أبا العلا المعري ومن حذا حذوه قولا وفعلا .فلقد رأيت نفسه كملك خرت الدنيا على قدميه فاعرض عنها وأقبل يتأمل هذا الكون البديع الناطق بأنه ابن القدرة الفائقة والحكمة العالية فيا لها من نفس شريفة ليس لها غير الفضيلة حلة .ألا وهي القائلة:

ولـــو أني حبيـــت الخلـــد فـــرداً		لمـــا أحببـــت بالخلـــد انفـــراداً

فـــلا هطلـــت علـــى ولا بأرضـــي		ســـحائب لـــيس تنـــتظم الـــبلادا

فلو صورت نفس هذا الشاعر لتجلت لك الفضيلة، ولو صورت نفوس الشعراء المقيدة بحب الدنيا المسترقة للشهوات لبدا لك معها الطمع كالحوت فاغر والحسد كالنار تتقد في قلوبهم ولكنت تنشد حينئذ مع القائل في أبي العلاء:

قـد كـان صـاحب هـذا القـبر جـوهرة		كريمـة صـاغها الرحمـان مـن شـرف

عــزت فلــم تعــرف الأيام قيمتهــا		فردهـــا غـــيرة منـــه إلى الصـــدف

## فكر أبي العلاء

لم يكن أبو العلاء من حيث الفكر سوقة ولا رعية بل كان ملكا فهو من أعاظم ملوك الأفكار ومن أكابر قواد العقول وأما غيره ممن أطلعت على شعرهم فمعظمهم رعايا أفكار من درجوا وأصحاب معان متداولة، ولو اتفق لأحدهم أسلوب جديد في معنى مطروق ولم يكن قد عثر عليه فيما طالع أو سمع بادر إلى

دعوى الابتكار كأنه قد فتح مملكة عظيمة وربما لو استقرى ما تقدمه من الأشعار لظهر أنه مسبوق إليه لاحق له فيه إلا أن يعد من باب توارد الخواطر .

على أنك لو أخذت الأبواب التي نظم فيها الشعراء قاطبة ونظرت إلى أصول المعاني لاستطعت أن ترد الدواوين ديوانا فإنهم لا يختلفون إلا في صور التعابير وأبواب الدخول على المعنى، فيكون ذلك الديوان عصارة أفكارهم وخلاصة ما انبتت قرائحهم، وأما أبو العلاء فمع أنه قد نظم كثيراً من المعاني المتداولة لكنه جاء بمبتكرات متعددة فبحق القبة بقائد الأفكار فلقد نهج سبلاً لم تنهج من قبل، مررت بخمسة وعشرين ديواناً غير ديوانه ولا ضائع لي فيها إلا الغرض الذي ذكرت فإن كان قد سبق إلى ذلك فأمر لم أطلع عليه .

## منزلة أبي العلاء ومنزلة الشعراء ( عند القوة العاقلة )

لو كان المصور أن يصور العقل متصدرا في مجلسه والشعراء يقبلون عليه بقصائدهم التي سبحوا بها لربات الحسن والجمال، أو جعلوها حانات لأهل الشراب ومجامع للمغنيين لرثى لهم ولبكى لسوء مصيرهم وأرهم أنهم قد تركوا ملاذ النفس الشريفة الدائمة إلى ملاذ الجسد الدنيئة الزائلة ولكان يهنئ أبا العلاء ويقربه ويجل قدره ويكرم وفادته، ذلك أولا أنه لم يرض لنفسه أن ينغمس فيما انغمسوا فيه كيف لا وهو الفاعل بما قال :

ومـــن يظهـــر بخـــوف الله مهجتـــه      فـــذاك إنســـان قـــوم يشـــبه الملكـــا

وثانيا إنه استعان ببيانه ووقف أشعة ذهنه على إرشاد الأفكار ودعاء الناس إلى الخير فهو المتبع وصيته الصريحة في قوله :

عليـك بفعـل الخـير لـو لم يكـن لـه      مـن الفضـل إلا حسـنه في المسـامع

خلافاً لمن قال فيهم :

لقــد جــاء قــوم يــدعون فضــيلة وكلهــم يبغــى لمهجتــه نفعــا

ولعلك تقول لي أم بعض الشعراء قد نظموا في الحكم والنصائح والتوبة والزهد كابن الوردي والمتنبي وأبي العتاهية، والحريري فلم لم تنظيمهم في سلك أبي العلاء ولم هذا الكلف بهذا الضرير فقلت أما كلفي بهذا الضرير البصر الصحيح البصيرة فلا لآصرة قرابة أو معرفة أو التماس منفعة فبيني ولينه ما يزيد على ثمانمائة سنة فأنا أعرف أسمه، وأقواله فقط وهو لا يعرف من أمري شيئاً، ولا سبيل لي فأقول عنه كما قال عن نفسه في قول المتنبي :

أنا الــذي نظــر الأعمــى إلى أدبي وأسمعــت كلمــاتي مــن بــه صــمم

وأما إني لم أنظمهم وأمثالهم في سلكه فلأن أولئك من السكارى بخمرة الملاذ الجسدية ومن نهل المطامع البشرية لكنما عرضت لهم صحوات فأبصروا طريق الهدى غير أن نفوسهم المصابة بهوى هاتيك الملاذ أبت عليهم أن تسلك ذلك الطريق فكان تأثير قصائدهم المنظومة في تلك الصحوات مثل تأثير الأغاني في بوق الفونوغراف فمن كان هذا حالة فهل يحق له أن يجلس إلى جنب مثل أبي العلاء الذي تكاد نفسه تكون سالمة مما يشين الفضل أو يقدح في النزاهة كما تدل على ذلك أفعالة وكلام الذين كتبوا سيرته وعاشروه فكم في هذه الأرض من قائل خير وفاعل شر ممن هم مصداق قول شاعرنا الصافي النفس :

رويــدك قــد غــررت وأنــت حــر بصــاحب حيلــة يعــظ النســاء

يحــرم فــيكم الصــهباء صــبحاً ويشــربها علــى عمــد مســاء

يقــول لكــم غــدوت بــلا كســاء    وفي لـــــذاتها رهـــــن الكســـــاء

إذا فعــل الفــتي مــا عنــه ينهــي    فمـــن جهتـــين لا جهـــة أســـاء

**مجلس النساء**

ليس علينا نحن النساء نكير أن يدور الحديث في مجالسنا على أنواع الحلي من خواتم وأسورة وحلق أو علي ما درج من الأزياء وما بطل كما لا حرج علينا في الكلام في أثاث البيوت ومفروشاتها أو في الخطبة والزواج والجهاز فإن هذه الأشياء مما يوافق حالتنا كما لا حرج على الرهبان أن يتذاكروا قصص الزهاد والنساك وأهل التقى والصلاح وكما لا حرج أيضاً على الشعراء أن يحفظوا أشعار السلف من المشاهير بل أن روايتها تعد من ثروتهم الأدبية ولا على العلماء أن يتفاخروا بكثرة الاطلاع وتطلب الكتب النادرة الوجود وذلك جرياً على القاعدة الطبيعية من أن كل أحد يهتم بما يخصه ويليق به .

لكنما نحن النساء أنفسنا نمتعض من المفاخرات بما لا يجلب لهن فخراً بل ربما يجر عليهن امتهاناً فمن هؤلاء المتكبرات الغبيات الرقيقات الحال القليلات المال من تفتخر بأنها لا تخيط إلا عند الخياطة فلانة ( فتقول هذه أجرتها غالية تأخذ على الفستان ليرتين ) .

ومنهن من تفنن في أساليب الافتخار بما لا فخر فيه كأحاديث التنزه والسهرات والمقامرات والرقص مع الرجال فنظائر هؤلاء الضعيفات النفوس يحسبن كل ذلك من المميزات المجيدة الشريفة ولكن ما الحيلة وطبائع الخلق شتى فيها كل غريب وعجيب .

على أن سيدات العصر وفتياته المتعلمات في المدارس المتعودات مطالعة الجرائد والمجلات يجدن مواد كثيرة للكلام مما يفكه ويفيد ويحي الهمم ويحث على المروءة والسخاء والإقدام وطلب العلم والتوغل في البحث كأخبار المخترعين الذين أنعموا على بني البشر نعماً دائمة يتمتعون بها قرناً بعد قرت وكأخبار الذين بكدهم وصدقهم وحذقهم خرجوا من ضيق الفقر إلى سعة الغنى مثل بيت روتشليد الذي قال فيه المقتطف في المجلد ٢٧ " بيت روتشليد أكبر البيوت المالية بلا مشاحة وله العلاقة الكبرى بالحكومة المصرية مديونة له بملايين كثيرة من الجنيهات وعلاقته بحكومات أوربا وآسيا أعظم من علاقة أي بيت كان وكلمة منه تكفي لخراب ألوف من البيوت المالية وبعمار ألوف غيرها وهو عنوان النخوة والثروة وأصالة الرأي " .

إلى أن قال وتوفى ( مايو ) سنة ١٨٠٢ بعد أن صارت ثروته ملايين كثيرة وجمع بنيه الخمسة قبل وفاته وأوصاهم قائلا " أحفظوا شريعة موسى، ابقوا على اتحادكم، شاورا أمكم في كل عمل كبير تريدون عمله واعتمدوا على رأيها، أحفظوا هذه الوصايا الثلاث فلا تلبث الدنيا أن تصير لكم " .

ومثل خبر ( وليم هنري سميث ) بائع الجرائد الذي صار فيما بعد بكده وزيراً من وزراء الانكليز ورئيسا لمجلس النواب الانكليزي وصاحب ثروة طائلة جمعها من بيع الجرائد وكأخبار الرجل الذي هو نادرة من نوادر العصور في صفاته الحميدة الشريفة وهو ( سسل رود ) الذي أوصى بمليوني ليرة ينفق ريعها على ٢٥٠ طالبا من البلاد الانكليزية والأمريكانية بحيث يصيب التلميذ ثلاثمائة ليرة من هذا الريع البالغ في السنة خمسة وسبعين ألف ليرة، و ( سسل رود ) هذا رجل سافر إلى جنوبي أفريقية فقيراً فأدرت الأيام الرزق عليه فصار ذا مال عظيم يقدر بألوف الألوف فاتجهت نفسه إلى تسهيل العلم على شبان

بلاده وشبان الأمريكان فسخت تلك النفس الشريفة بذلك المبلغ الطائل .

فمن خبر هذا النادرة تعرض المحدثة على نفوس مجالسيها ومجالستها ثلاث فضائل فصيلة الرأي والنشاط والكرم الواسع ومن اعتقاده رحمه الله إن التدين الحقيقي إنما هو السعي في إصلاح شان الناس، وكان يكرم خدمة الدين ويحبهم كثيراً ذا رأس أنهم اختاروا هذا السبيل لكي يبذلوا كل قواهم لإفادة نوع الإنسان .

ويندرج في هذا السلك الكنت ( خليل صعب ) الذي هاجر من قرية بعبداً رقيق الحال وقدم مصر وأنعم الله عليه بثروة حصلها باجتهاده وحسن رأيه فالكنت المشار إليه قد تبرع بأربعة عشر ألف ليره في سبيل الطائفة المارونية لبناء دار للمطران في مصر وبناء كنيسة للطائفة فيها عدا تبرعات أخر سنوية أجزل الله ثوابه، هذه قل من كثر مما جاء في كتب التاريخ والمجلات من أمثار هذه الأمور وهو ما لا يخفي بآدابنا وأرفع لشأننا من الأقاصيص الموضوعة التي ليس وراءها إلا تحليل عري الأدب ولا أريد أن انفي الفكاهات الأدبية والهزليات المهذبة والمداعبات المستلطفة فإن هذه الأفكار بمنزلة الراحة للأجسام والفواكه اللذيذة للأذواق، ولا تنفي هذه من المحادثات إلا متى نفيت من الولائم الفواكه والحلويات .

# الأميرة السكندرة دي فرينوه فيز ينوسكا

هي كريمة المرحوم قسطنطين نعوم خوري الشهير، ولدت في بيروت وبها نشأت وتلقت مبادئ العلوم بمدرسة الراهبات العازرية ومدرسة الأمريكان، ثم قدمت الإسكندرية في الربيع العاشر من عمرها مستهدية في سيرها بنور ذكائها مستعينة على تحقيق آمالها الكبار بنفسها الفتية .

ولما نزلت بالإسكندرية أخذت تستزيد من المعارف فدخلت مدرسة الراهبات واهتمت بإتقان اللغتين الفرنسية والإيطالية، غير أن حب الوطن كان غلاباً عليها فلم تشأ أن تهمل لغة بلادها وأن تحرم الاتصال بين أخواتها الفاضلات من شهيرات الشرق ولذا أتت بمعلم يعلمها آداب العرب ويعودها فصاحتهم ويقوي سجيتها في ملكتي النظم والنسر بلسانهم فنالت حظاً وافراً وغنمت من ثمرات ذلك الاجتهاد ما شرح الصدور وملأ العيون .

ولما بلغت السادسة عشرة تزوجت الموسيوملتيادي دي افرينوه، ولم يشغلها الزواج عن العلوم ولا ألهاها عن الأدب فكانت تكتب على المطالعة وتتفرغ إلى الإنشاء متصرفة في فني النظم والنثر وكانت أكثر ولوعا بالشعر إذ ورثت محبته عن المرحوم والدها، وكانت باكورة نظمها في الثالثة عشرة من عمرها، وكبرت عنايتها بقراءة المجلات والجرائد الشهيرة بين عربية وإفرنجية وبالكتابة فيها حينا بعد حين بأسلوب تحني له الهام وتسجد لجلاله الأقلام .

ثم لما قويت مبادئها ورسخت ملكة العلم والعمل في نفسها الكبيرة أحبت الدخول في معترك الأقلام ومزدحم العقول والافهام، فأقدمت ومعها من عدد هذه الحرب ما يكفل لها الفوز، أجالت السيدة عيناً صادقة النظرات فرأت

المرأة الشرقية في غمرات الجهل وظلمات الاستعباد والأسر فرأت أن تنشئ لبنات جنسها قوة تطالب بها بحقوقهن وتجعل لهن مكانة في الشرق مثل التي لأخواتهن في الغرب فأنشأت مجلة أنيس الجليس وجعلت تدافع فيها عن المرأة وتناضل عن حقوقها بل توخت فوق ذلك نشر العلوم النافعة وبث المبادئ الراشدة الكافلة للجنسين معا أوفر نعم الحياة وأقصى غايات الخير بحيث لم يكن حظ الرجل من السرور بهذه المجلة أقل من حظ المرأة في الاعتزاز بها والاستفادة منها .

أقل الأدباء والأديبات على ( الأنيس ) وتنافسوا في اقتنائه وتساجلوا على صفحاته وانزلوه منزلة رفيعة فنالت المجلة من القبول والإقبال ما لم تنله مجلة قبلها وأكسبت صاحبتها الفاضلة من حسن الثناء وسمو القدر والمكانة في ممالك الشرق والغرب ما لم تكسبه كاتبة إلى زمانها .

عرف الصحافيون قدر هذه السيدة الفاضلة فتسابقوا لنشر رسمها في صحفهم وفي مقدمة تلك الصحف أشهر جرائد الأستانة ومجلاتها وكذلك مجلة المجلات الفرنسية وكران موندو الإيطالية ومجلة مادام الانكليزية والمونيتورد يكونسيكوفيمينا ومجلة آرتي ومجلة ريفستا لاتينا ومجلة معاصرينا وجريدة اتينيه الباريسية وغيرها مما لا تحضرنا الآن أسمائها، هذا عدا مجلات أمريكا ومصر وسوريا، ولم تقف شهادة الفضلاء عند هذا الحد بل تحفظ الأميرة بين أوراقها كتب الثناء من الشرق والغرب ومن مصر خاصة متضمنة مزيد الشكر على جهادها وهمتها يعترف كاتبوها بأن بناتهم إنما دخلن المدارس اقتداء بها وأخذاً بإرشادها أما مكانة الأميرة من ذوي العروش والتيجان فلا يعدوها اقتراح ولا يتجاوزها طماح، بعثوا إليها بالهدايا النفسية وقلدوها الأوسمة الشريفة .

ولقد سافرت إلى باريس لزيارة معرضها بالنيابة عن السيدات المصريات في

جمعية السلام، حيث كان لها أعظم حفاوة وعناية من أكبار رجالها ونسائها وقد دفعت قصيدة عربية غراء إلى جناب المسيو لوبة رئيس الجمهورية الفرنساوية فكان لها حسن الوقع وقوبلت بمزيد من الثناء من جنابه فأكرم وقادتها وأحسن استقبالها ودعاها إلى ليلة رقص في الإليزيه ثم دعاها إلى ( جاردن بارتي ) حيث حصر كبار القوم وعظماؤهم .

ثم ألقت خطابا بقاعة المستعمرات تحت رعاية وزير المعارف بحضور جمهور عظيم من أعيان باريس وسواها وشهد هذه الحفلة باي تونس ووزراء مراكش، فذكرت في خطابها فضل المرأة الشرقية وتقدمها السريع حتى استرعت الأسماع وكان لهذه الخطبة استحسان كثير حتى نهض الموسيو مالو سكرتير وزارة المستعمرات فألقى خطبة أثنى عليها وذكر أن السيدة هي التي عرفته حقيقة منزلة المرأة الشرقية وأن صاحبة الترجمة نموذج لها .

وقد نشرت الخطبتان أي خطبة صاحبة الترجمة وخطبة السكرتير في الجرائد كلها مقرظة أحسن تقريظ هذا عدا ما كان لها من الوقع ساعة إلقائها فقد قامت لها قيامة السامعين فاستقبلوها بالتصفيق وأقبلوا يصافحون السيدة ويثنون على رائع أدبها وحجتها الدامغة .

ثم سافرت إلى الأستانة لحضور العيد الفضي لجلالة السلطان عبد الحميد ولشكر جلالته على ما أنعم به عليها من وسام الشفقة الثاني فنالت هناك غاية الإكرام والإجلال من السلطان وأكابر رجاله ولاسيما رجال الوفود الذين حضروا من قبل الملوك لحضور ذلك العيد، وبعد رجوعها إلى القطر المصري أنعم عليها السلطان بوسام الشفقة من الطبقة الأولى ( غران كوردون ) وهو وسام لا تناله إلا نساء الملوك والوزراء بسبب خدم أزواجهن وأما السيدة فقد نالته بفضلها الذاتي .

وقد أنعم عليها جلالة شاه العجم مظفر خان بوسام ( شرفت ) فجعله إليها سعادة على أكبر مفخم السلطنة شقيق البرنس رضا خان سفير إيران في الأستانة وأخبرها أن جلالة الشاه قد صنع هذا الوسام خاصة من أجلها ثم أنعم جلالة الشاة عليها بعد ذلك بلقب نجمة الشرق وأرسل لها صورته مكبرة في إطار جميل وموقع عليها بيده الكريمة .

وبعد عودتها من باريس فكرت في إنشاء مجلة فرنسية لتتطلع أهالي الغرب على أحوال المرأة الشرقية وتقدمها وتنفي بذلك اعتقادهم بتأخرها وتطلعهم على آداب العرب وحقائق أحوالهم فخابرت مشاهير كتاب فرنسا في المشروع وطلبت منهم أن يكونوا مراسلين لها فقبلوا طلبها مع الشكر .

فأنشأت مجلة اللوتس فنالت وافر الثناء والإعجاب من كل جرائد الغرب العظيمة بحيث لم يكن يصدر منها جزء إلا وتنقله مجلاتنا إعجاباً به ولكن السيدة قد تحملت في سبيل هذه الخدمة نفقات لا قبل لها باحتمالها فأوقفت إصدار المجلة بعد أن قضت منها الغاية التي تسعى إليها وقد كافأتها حكومة فرنسا على خدمتها بوسام الأوفيسيةداكاديمي .

ظهرت جمعية السلام النسائية في أوربا فوالت السيدة رسائلها إليها تحمل من دلائل عظمة الجنس اللطيف ورقة شعوره معاً ما قوى ذلك المبدأ وأمضى تلك العزيمة وأفاد صاحبة الترجمة حسن ثقة الجمعية بها واحترامها لأفكارها السامية فكتبت إليها رئيسة الجمعية البرنسيس ( فيزنيوسكا ) كتاباً تشكرها فيه وتستزيدها من ذلك الجهاد الشريف وتسألها أن تكون نائبة عنها ومراسلة لها في هذه الأقطار، فأجابت السيدة سؤالها ودعت نساء بلدها دعوة كان لها دوي عظيم في هذه الأرجاء ومن مآثرها لدى الجمعية الباريسية بل منها على الأمم الشرقية أنها صنعت على نفقتها راية مصرية جميلة من الحرير مطرزة بالذهب

أهدتها إلى الجمعية باسم نساء الأمة المصرية وتلك عرضت في معرض باريز فنالت عقب ذلك وسام الجمعية الذهبي .

وعلى ذكر البرنسيسفيزنيوسكا يحسن هنا أن يعرف القراء أن هذه البرنسيس وزوجها كانا شديد الإعجاب بمآثر صاحبة الترجمة حتى رأينا أن يحيلها هي وأسرتها بأحسن ما لديهما وهو لقبهما واسمهما فتبنيا زوجها ليبقى لقن الإمارة في ذريته إذ لا ذرية لهما .

وكان لصاحبة الترجمة منزلة رفيعة عند كثير من أمراء الشرق وأميراته، وناهيك بما نالت عند سمو الخديوي السابق من المكانة وكذلك سمو والدته وسمو حرمه، وما قصدت الأمير السابق بمطلب إلا أجيب بالقبول . وكانت تذهب إلى قصره وتخطي بمقابلته كما يقابل عظماء الرجال، وقد أهداها صورته وعليها خطة دلالة على إعجابه بها وإجلاله لها وبذا أنصفت وأغاثت كثيرين لا يزالون يولونها الشكر على ذلك ما دامت لهم الأيام .

وكذلك نالت الميدالية الفضية من لجنة عيد الجلوس الخديوي ( المعرفة بتعيين الجوائز للشعراء ) نالتها شاهداً عدلاً بنبوغها في الشعر العربي وحسن ذوقها في نظمه .

وكان لسلطان زنجبار السابق رحمه الله عناية خاصة بها وإعجاب كبير بسمو آدابها فواصل رسائله إليها وأهدى إليها رسمه الكريم مكبراً وموقعا عليه بخط يده وما أحسن أن ينعطف هذا الانعطاف السامي على نابغة شرقية ملك شرقي عربي المحتد، وأنعم عليها البابا ليون الثالث عشر بوسام محامين القديس بطرك وبطريك أورشليم بصليب قصر المقدس الذهبي وجمهورية سان مارينو بميدالية الاستحقاق الذهبية .

وكانت عضواً شرقيا في جمعية تدعى المعاصرين وفي رومية ونالت وسامها الذهبي، وسام الصليب من الدرجة الأولى من جمعية تأليف التربية لمعاصرينا، وسام عضوية الجامعة الاسبانية الأمريكية، وسام صليب أمريكا الشرقية الأكبر، وسام عضوية جمعية مار بطرس، وسام شفالية من جمعية الإنسانية والسلام التي يرأسها الدوق سرج أورلوف .

وأخيراً سافرت إلى رومية حيث كانت موضع الحفاوة والتكريم وأكثر جرائدها احتفلت بها ثم قابلت مرتين قداسة البابا بيوس العاشر مع كريماتها فاهدي إليها قداسته رسمه موقعا عليه بيده الكريمة مع بركته وكذلك أهدى إليها الكاردينال فابوتيلي رسمه موقعا عليه بخطه وقابلت بعض الوزراء والساسة وصاحبة الترجمة لها ولع كبير بالسياسة وشؤونها ولها مقالات رنانة بالمؤيد وغيره تشهد لها بأفكارها الصائبة وخدمتها السياسية لهذا القطر، ومن كثرة ولعها بالسياسة نشأت جريدة أقدام لتخدم بها الوطن والوطنيين إلا أنها ألغتها لما عانته فيها من الخسارة والتعب .

ولما شبت الحرب سبقت نظراءها إلى دعوة أخواتها الوطنيات لمساعدة الجرحى وأنشأت في ذلك الفصول الطوال في أشهر الجرائد فأجيب نداؤها ولا تزال الهمة مستمرة بعد تلك النهضة التي أنهضها قلمها .

أما صفات السيدة الشخصية ولأنخالها إلا منطبعة في أذهان قراء ترجمتها من منظر رسمها فلا نريد أن نفيها حقها في هذا الباب الذي تدخله والمهابة تأخذ منا بالفم واللسان وتلف البنان بالبنان .

وأما أخلاقها فالدليل الصادق على أن الغالب في جمال الخلق أن يكون مقرونا بجمال الخلق والحجة البالغة على أن الروح الطاهرة الجميلة يسكن الجسم الطاهر الجميل – يرى منها الجليس أحسن ما ترى العينان – ويسمع من

حديثها أطيب ما تسمع الأذنان، يقصدها ذوو الحاجات متوسلين بها إلى العظماء وذوي الأقدار والمكانات فتمضي في حاجاتهم على ما في ذلك من العناء والتعب – وعلى ذكر العظماء وذوي الأقدار نذكر أنه يندر أن يكون لغيرها ما لها من الاتصال العظيم بكبار القوم والجانب المرعى من سراتهم، وقد أشار إلى ذلك الدكتور ( هرتمن ) في كتاب له وضعه باللغة الإنكليزية وفيه الشيء الكثير من خصائص ومزايا صاحبة الترجمة فليراجعه من أراد وقد أشار إليها أيضا في عدة كتب أصدرها عن أدباء الشرق ومن أخص مزاياها تلك الشجاعة الأدبية التي عرفت بها فلا ترتد عن مطلب تنتحيه مهما وعر سبيله وخشن مركبه وهي فوق ذلك جريئة مقدامة فيما تعني به من أحرز الشؤون .

ورثت السيدة خلق الجرأة والإقدام عن والدها الذي اشتهر في سوريا بهذه المزية وزادها ما أشربت نفسها الكبيرة من العظمة التي هي ثمرة التربية الصالحة والنشأة العالية، وأنه لكذلك تكرم الأخلاق إذا كرمت المنابت والأعراق، وللسيدة حرص على الرياضة البدنية وولع بركوب الخيل والصيد ولا خلاف في أن هذا النوع أحب أنواع الرياضات إلى ذوي النفوس الجبارة والهمم المترامية وبالجملة فالأميرة رقيقة الشعور لطيفة الروح كبيرة القلب ذات ذكاء متوقد وحذق لا تدانيها فيه امرأة إلى سلامة ذوق وحسن تقرير وهي سمحة كريمة تواسي البائسين والفقراء مواساة من لا يبقى على مال أو يرغب في ثراء وقلما رأت مشروعا وطنيا إلا صافحته بيد بيضاء وسلمت إليه بهمه شماء وهذه الأخلاق أيضا مما ورثته عن والدها، فقد كان رحمه الله جوادا سخياً ذا نجدة ومروءة مارد سائلاً ولا خيب طالباً .

أما ولعها بالآداب وحسن انعطافها على جماعة الأدباء فأيسر ما يقال فيه أنها كانت تهدي العدد الأجزل من مجلتها إلى رجال العلم والأدب ومعاهد

التربية والفضيلة بين مدارس وكنائس ومساجد سواء في الشرق والغرب وهي التي طبعت ديوان لويس بك الصابونجي وكتاب السيدة عفيفة أظن وديوان الشاعر الناثر المرحوم الشيخ نجيب الحداد كما يعلم جمهور المتأدبين وما أجمل أن يحنو الأديب على الأديب وينعطف النجيب على النجيب .

وللسيدة أيضا شيء من المأثورات والمؤلفات، منها رواية تمثيلية عنوانها أمانة الحب ذات خمسة فصول لم تطبع ولم تمثل بعد ورواية أخرى قصصية عنوانها شقاء الأمهات وهي متداولة ومطبوعة وكلتاهما تدل على ولوعها بالآداب وقد كان في جملة قصائدها أيضا قصيدة رفعتها بواسطة اللورد كرومر إلى جلالة أدوار السابع ملك انكلترا تهنئه بعيد تتويجه وهي غاية في الحسن وقد شكرها جلالته عليها بكتاب رقيق وكذلك قصيدة أخرى رفعتها إلى جلالة الملكة أملي ملكة البرتغال حين زيارتها للقطر المصري وقد سرت بها جلالتها سروراً فائقاً وشكرتها، ولها غير ذلك من المآثر والآثار ما يضيق عن ذكره هذا المقام . وقد كان آخر ما بلغنا من دلائل فضلها أنها عملت على تزويج كثيرات من البنات الفقيرات بما لمدتهن به من مالها الخاص .

هذا ما وسعه نطاق الفكر عن صاحبة الترجمة الفاضلة كتبناه راجين لها فوق ما نالت من مكانة عالية وشهرة مترامية، آملين أن تكون قدوة صالحة لطالبات العظمة من نساء الشرق بل ولطالبيها من رجاله فتكون كمن نفث روحاً طيبة في جسده وقضى على يومه لغده .

# السيدة لبيبة هانم

## صاحبة مجلة فتاة الشرق

### المختار من نثرها

#### القمار والزواج

قف معي يا رعاك الله في ليلة صفا من الغيوم والأمطار وابتسم ثغر بدرها فتألفت من ثناياها الأنوار وبدا جبين السحاب متوجا بجواهره الساطعة وخلع النسيم على الفضاء رداء من نسيجه تتخلله أنوار الكواكب اللامعة وبسط السكون أجنحته على الرياض والآجام وامتدت أذرع الهدوء تعانق القفار والآكام وتقدمت شفاه الخشوع تقبل وجنات الطبيعة الزاهرة في حين لم يكن عليها رقيب سوى عين البدر الساهرة وقد نكس الحيوان لهذا المشهد الجليل وأوى الطير أعشاشه دهشا لهذا المظهر فلم يبق سوى هيبة الوحدة فوق هذا الكون الجامد ووحشة العزلة حول هذا القفر الهامد ففي مثل هذا الموقف الذي يبعث على التأمل ويحرك الأفكار ويثير الهواجس ويجلي الأبصار يرى الناظر قصوراً جميلة البناء تشمخ بأحكام هندستها عزة وخيلاء قد دانت لها الحدائق وحفلت لها الفخامة يمين الإثراء وانسابت المياه أمامها مرددة مع خفيف النسائم شهادتها بأجمل الألحان أن هنالك جنة الخلد وأن ساكنيها من أسعد أهل الزمان، وما تمت لو يعلم إلا مقابر أحياء في صورة منازل وأنفاس يأس تبعثها الصدور في أسلاك الكهرباء فتنير المخارج والمداخل .

هنالك في تلك القصور الشامخة برؤوسها في العنان والمقاصير المزينة برياش

الديباج والأرجوان كثيرات من السيدات الشقيات قد جلسن منفردات وأبصارهن سابحة في عرض الخلاء ينظرن إلى هذا العالم الباسم وقد ارتسمت على وجوهن علائم السويداء كأنهن يندبن العمر أو الجمال وهن في مقتبل الشبيبة وقد لبسن من الحسن أكمل سربال فما يحزنهن يا ترى وعلام تستعر صدورهن بالزفرات وأنى للحسرات أن تستولي على قلوبهن وهن من أبعد الناس عن بواعث الحسرات ولم أختار نرجس المقل نظم حبات الدموع وعهدي بمثله مشتغلا بإرسال السهام لشق الضلوع .. هذه تتململ وقد هجر أجفانها النعاس وتلك تتخطر ذهاباً وإياباً وهي مضطرمة الأنفاس وأخرى تحاول النوم تلتمس السلو بالرقاد وغيرها تتلهى بتلاوة كتاب سطوره في واد وأفكارها في واد وجمعين أسيرات الهم أليفات الأحزان .

وأني لأجد للمقامر عذرا إذا قصر عن تصوير حال قرينته ومقدار شقائها متى كان مكبا على مائدة القمار تاركا إياها بين أيدي الهواجس تستعد لما سوف يأتيها به من الخسائر والأضرار بل لا ألومه إذ ابهره بريق الأصفر القرار فلم يفطن إلى أن تلك جناية تجنيها ووديعة لأولاده يتصرف فيها.

ولكني أعجب به وبمناقبه الشريفة طيف تجيز له الاندفاع في هذه الخطة المغايرة وتبيح به سرقة الغير على تلك الصورة التي يسمونها المقامرة وهو يرى من نتائجها في سواه من المقامرين مالا ترضاه أحقر النفوس وأحط الأخلاق في العالمين وكفاه نذيرا ما يراه من ضياع أموالهم وشقاء أسرهم وتعريضهم مستقبل أولادهم على أثرهم وتمهيدهم السبل أحياناً لنسائهم للانضمام إلى حلقة القمار على ما يلحقهم في ذلك من حط الكرامة، وشين الأقدار وهل ما يدعو إلى امتهان الرجل وتحقيره مثل تعريضه عياله لأنياب الفقر والانحدار بزوجته إلى مهاوي الذل والقهر وتعويدها عملا دنيئاً يجعل فيها ملكة حب الكسب بلا

تعب بل الاستيلاء على أموال الغير من غير حق ولا سبب .

فلا أهل بعصر جر على الشرق أمثال هذا الداء، ولا مرحبا بفرنجة اقتبسنا عنهم هذه الخلة الشنعاء وسلام على زمن قضاه أجدادنا في بسطة العيش وصفو المسرات وسقيا لأيام سادت فيها الجهالة، ولكنها امتازت بالفضل وصيانة الذات بل تسعا لدهر غدونا نشكر فيه الحاضر ونتلهف على ما فات فقد قنعوا من دهرهم بالراحة ورخاء البال ورغبنا في هذا التمدن الكاذب على ما فيه من المساوئ والوبال فغنموا الراحة والهناء وغدونا فريسة الجهد والعناء وأصبح الزواج في عصرنا مثلا يضرب في اجتناء الشوك دون الأزهار وباتت بناتنا هدفا لسهام الذل وشفار البوار وغدا شباننا يتسابقون في مضمار هذا التقليد الذي اخف ما فيه من الويلات عار القمار .

وليت تفشى هذا الداء قد وقف عند حد الرجال بل إن عدواه تناولت قسما كبيرا من ربات الحجال فغدون لا يلذ لهن سوى الاشتغال بأسبابه ولا يفكرون من الواجبات إلا في إتقان أبوابه وربما اضطرهن الحال إلى إتباع طرق الغش والاختلاس تخلصاً من خسارة تدهمهن أو طمعاً في استنزاف ما في الأكياس مخاطرات بمقامهن إلى أحط ما يتصوره العقل من أنواع الابتذال والاستهتار متحملات في سبيل ذلك أعظم ما تقوى نفس سيدة على احتماله من معاملة المقامرين على ما فيهم من اختلاف الأخلاق وتباين المقامات والأقدار .

وما كان أنزه المرأة عن ذلك لولا ما تراه في زوجها من الشذوذ عن طريق القويمة والانهماك بمثل هذه العادة الذميمة التي تمهد لها من جهة سبيل الاقتداء به ومن جهة أخرى توجب عليه التساهل معها فيما قد يشين شرفه ويحط من حسبه وسواء كان ذلك منه رغبة في صرفها عن عدله أو طمعاً في دريهمات

تضيفها إلى أرباحه فهو مخطئ وهو كمثله .

وليت شعري هل يجيز القمار لصاحبه ما لا يجيز سواه من احتمال الذل والهوان وهل تختلف فطرة المرأة باختلاف العصور حتى إذا دخلت في ذلك الدور من " الحضارة " تمسي لديها الآداب والصيانة في خبر كان .

لعمري أن التمدن برئ من هذه النهمة بعيد عن هذه الوصمة فهو لا يحل إلا حيث يسبقه العلم ولا يسير إلا حيث يرافقه الاختبار وما كانت الجهالة لتجسر على تشويه وجه أو تلطيخ ثوبه بادر أن العار إنما هي عادات ألفها قوم فاقتبسها عنهم آخرون ولله في خلقه شؤون .

ولما كان الشرق لم يزل في مهد الحضارة والعلم والمرأة في طور النقاهة من مرض الجهل فعلى الرجل أن يجعل نفسه خير قدوة لقرينته وبناته وأن يظهر لهن بمظهر الرئيس المدبر والمثال الحين فيسرن على خطواته ولكننا لسوء الطالع قل ما نجد بين الرجال من قاس هذا السبيل بمقياس حكمته فجرى عليه في أعماله وعرف بعض ما يلزمه من الواجبات نحو عياله فأذعن لما يوحي إليه هاتف العقل وأصفى لصوت إلهام الضمير فعمل بما تفرضه عليه الحكمة والشرف وما يعود عليه بالسعادة وحسن المصير بل أن العدد الأوفر منهم لا يعلمون من واجبات الزواج سوى مقدار مهر المرأة وما هي عليه من الجمال ولا يهمهم بعد ذلك من الحياة سوى امتلاك الحرية والاندفاع مع تيار اللهو والابتذال جاهلين أو متجاهلين أنهم بذلك يقوضون دعائم راحتهم ويقذفون بأنفس نسائهم إلى أعماق اليأس والاحتقار ويعرضوهن لخطر التهور والعار ثم لا تلبث أن تعلوا أصواتهم بالشكوى من مضار الزواج وما هو الحاصل في هذه الأيام ولا ذنب للزواج سوى ما جنوه بجهلهم من البلاء وما جروه على أنفسهم من الواهي العظام .

فليعلم طالب الزواج ما يترتب عليه نحو قرينته من الحقوق والواجبات أو فلينصرف عنه إذا كان ممن يخشى المتاعب والشقاء فلابد أن يحصد كل ما زرع في هذه الحياة والله سبحانه يهدي من يشاء ويضل من يشاء .

## الكاتبة هنا كسباني كوراني

جرجي أفندي نقولا باز

كانت كاتبة وخطيبة باللغتين العربية والإنكليزية وأديبة فاضلة وجريئة مقدامة واسعة الصدر جدية الفكر ذكية الفؤاد نقية غيورة طويلة القامة ممتلئة الجسم كبيرة العينين جميلة لطيفة، لبنانية المولد سورية الأصل شرقية النزعة وطنية مخلصة .

ولدت في كفر شيما من بيت كريم في أول فبراير " شباط " سنة ١٨٧٠ وتربت في ظلال العلم والأدب والدين فنشأت على هذه الأسس القويمة ترفل بحلل العافية والنضارة تحت كنف والديها الكريمين متغذية بلبان الفضيلة مع لبان الأمومة ومعتصمة بحبال التهذيب شأن بنات الوالدات المتعلمات المتهذبات، وظهرت عليها علائم النجابة باكراً جداً فبدأت تشتغل خرجاً وتفصل ثياباً في سن يندر فيه أن تنتبه الابنة إلى مثل هذه الأمور وبرهنت في طفولتها وحداثتها على استعداد ترجي منه فوائد عمومية جليلة منبئة بطلائع ما فطرت عليه، وحرى بمن كانت مثلها أن تولد مستعدة هذا الاستعداد ومفطورة على ما أهلها لنوال الشهرة في عالمي الكتابة والخطابة .

وبدأت بتلقي مبادئ القراءة في مدرسة أنشأتها حكومة لبنان ولعلها اكتسبت منها ما زادها غيرة وطنية على أنها لم تمكث فيها أكثر من شهرين ثم دخلت مدرسة المرسلين الأميريكان وكلتا المدرستين في كفر شيما وانتقلت إلى

مدرسة شملان الانكليزية وغادرتها بعد سنتين إلى مدرسة البنات الأمريكية الكبرى في بيروت فصرفت أربع سنوات درست في خلالها قواعد اللغتين العربية والإنكليزية والتاريخ والجغرافيا والفلك والنبات والفسيولوجيا والهيجين، ومن الذين تلقت عنهم هذه العلوم العلامة الأستاذ الحوراني .

ولما تركت المدرسة فائزة بالشهادة النهائية المقرة بذكائها واجتهادها دعيت إلى مدرسة البنات الأمريكية في طرابلس فعلمت فيها سنة وعادت إلى كفر شيما فاقترنت بالمرحوم أمين كوراني وأقامت سنة في الشويفات وسنتين في بيروت وكانت في أثنائهما تراسل الجرائد والمجلات بمقالتها وتترجم روايات وتؤلف رسائل وتعلم صفا من الصبيات في مدرسة الأحد وتخطب في بعض الأندية ومن خطبها المشهورة في ذلك الحين خطاب تلته في مدرسة الأحد على نحو خمسمائة شخص في وجوب رفع شأن الصنائع الوطنية في سوريا .

وسافرت إلى أمريكا في أوائل عام ١٨٩٢ مندوبة من قبل بنات سوريا لحضور مؤتمر النساء العلمي في معرض شيكاغو وهناك خطبت تلك الخطب الرنانة عن الشرق والشرقيين ودافعت ما استطاعت عن الفتاة الشرقية دفاع غير مخلص جرئ وبعد انقضاض المؤتمر خطبت كثيراً في نيويورك وبروكلن وبوستن وغيرها من المدن الأمريكية خطباً أذاعت صيتها في أربع أنحاء أمريكا وكتبت في الجرائد مقالات عديدة فكان كتاب الجرائد يتسابقون إلى محادثتها واستطلاعها أخبار الشرق وعادات أهلية ومقام المرأة فيه .

وكثيراً ما كانت تخطب في الجماهير الغفيرة وهي في الزي الشرقي كما يرى من رسمها وقد بقيت ثلاث سنين في تلك البلاد النائمة سعت في خلالها مدة إلى طلب الرزق بالاعتماد على النفس دون احتياج زوج أو شقيق فربحت بخطبها مادياً وأدبياً إلا أنها تضررت صحياً لكثرن التعب والبرد، وفيما هي تجاهد في

سبيل رفع شأن الشرق والمرأة الشرقية في عيون الأميريكان والجرائد والمجلات تذيع وتنشر رسمها مع خطبها ومقالاتها في طول البلاد وعرضها وتنتقل من منبر إلى منبر ومن مدينة إلى مدينة مجتهدة في أعمالها ومهتمة فيها وصورها تباع في أسواق أمريكا بيع صور المشاهير وشهرتها تنتشر كعرف الزهر في الربيع لم تدر إلا وفاجأها الداء ( داء الكتاب ) فعادت حزينة إلى سوريا وفي قلبها غصة من الزمان .

وعبثاً كان مجيئها للاستشفاء فقد مضت مدة الصيف في لبنان ومدة الشتاء في مصر دون جدوى ومازال جسمها ينحل والداء يذيبه على ما قاومته به من وسائل الشفاء حتى رزحت بضعة أيام في السرير أظهرت فيها جرأة حتى على الموت وتقوى وإيماناً حياً وعزت والديها ولفظت أنفاسها الأخيرة في مسقط رأسها كفر شيما مساء الجمعة في السادس من أيار سنة ١٨٩٨ وهي في أوائل التاسعة والعشرين من عمرها .

زهرة أدمية ذوت في ربيع الحياة بعد أن عطرت جو الإنسانية بشذا أنفاسها الذكية وتركت آثاراً أدبية تحفظ لها الذكر الجميل وتحث الهمم على الاقتداء بها وقد أنفقت أعوامها بأسمى ما تنفقه فتاة بعد إتمام الواجبات النسائية ونابت من الشهرة ما ندر أن تناله سورية غيرها وبلغت شهرتها برلين عاصمة ألمانيا، فدعيت لتكون عضواً في الجمعية النسائية الإمبراطورية وأرفقت الدعوة بأسئلة لتجيب عليها إذا لم تستطيع الذهاب، وقد اتخذتها مرة أحدى كبيرات الجرائد التركيا حجة على حسن استعداد المرأة الشرقية واستشهدت بها، وقرظها كثير من المشاهير، وكانت أينما ذهبت وعلم بوجودها تحترم وتكرم وفي مدة وجودها في مصر تعرفت بكثيرين من الفضلاء والعلماء ومنهم الجامع الأزهر وأحدى الأميرات الكريمات التي أحبتها كثيراً وظلت تراسلها إلى لبنان، وكان لها في

أمريكا مقام أدبي جليل دعي الجمعيات العلمية والأدبية والدينية إلى استدعائها للخطابة مراراً .

وأول عمل باشرته بعد تركها المدرسة تأليف رواية كتبت منها بضعة أوراق فقط ثم بدأت بمكاتبة الجرائد والمجلات كلسان الحال والفتاة وغيرهما وألفت رسالة في الأخلاق والعادات طبعتها ورفعت نسخة منها إلى جلالة مولانا السلطان فأمر بمنحها وسام الشفقة تكريماً وتنشيطاً ومن رواياتها المترجمة والمطبوعة ( فارس وحماره ) و ( زقاق المقلاة ) و ( الحطاب وكلبه بارود ) وهي روايات مفيدة للكبار والصغار ولا غرو فإنها كانت ترمي بكتاباتها وخطبها إلى تنوير الأذهان والحث على اقتباس العادات الحميدة والتخلق بالأخلاق الحسنة ساعية لترقية بنات جنسها ورفع شأن الشرق والشرقيين في عيون الغربيين والشرقيين أنفسهم والحض على طلب العلم وخدمة الوطن وتعزيز كل ما هو وطني، وقد صدرت رسالتها في الأخلاق والعادات بهذه الأبيات :

خطت يدي ما جال في خاطري ... وغايتي خدمة هذا الوطن

تعاون الأفراد يقضي إلى ... تجمع القوة وهو الحسن

أنفقت مما لي فإن تنفقوا ... مما لكم نلنا المنى والمنن

وختمتها بهذه الأبيات :

خواطر أفكاري بثثت إليكم ... بني وطني يا عمدتي وعماديا

خواطر لاحت لي فأحببت نشرها ... وها أنذا أبدي لكم ما بدا ليا

ولولا يقيني أنكم أكرم الورى ... لأشفقت أن أرمي بنفسي المراميا

علـى أنـي جـرأت نفسـي بحملكـم وأملـــت فـــيكم أن أنال الأمانيـــا
فـــلا حرمـــت ســـورية مـــن أفاضـــل يشــد بهــم مــا كــان مــن قبــل واهيــا
يشـــد بهـــم أزر المعـــارف والحجـــى ويـــدحر جهـــل بيننـــا كـــان فاشـــياً

وكانت سلسلة العبارة لطيفة الأسلوب رنانة الصوت قوية ذات لهجة تشبه الأديب كتبت كثيراً وآخر خطاب لها كان في بيروت في مدرسة الأحد حضره نحو ستمائة شخص موضوعه التمدن الحديث وتأثيره في الشرق طبع على حدة وقرظته الصحف لما يستحقه من الثناء، ولم يبق من أثارها إلا ما طمع فقط وما بقى من أوراقاً وكتاباتها وبينها مجموعتين انكليزيتين كبيرتين مما خطبته وكتبته وقيل عنها في أمريكا قد أحرق خوفاً من جراثيم الداء .

ومع انهماكها بالكتابة والخطابة والمطالعة فقد كانت تتعاطى الأشغال اليدوية وتتقن الأعمال المنزلية إلا أنها لم تكن سعيدة في حياتها الزوجية لأنها لم ترزق أولاداً ولم يتسن لها بلوغ ما قدرته لنفسها من السعادة .

فسلام على روحك الكريمة يا فقيدة الأوراق والمنابر سلام على شبابك الذاوي وأدبك الغض وتعبك الوافر وعملك الجليل يا فخر الجنس اللطيف السوري، سلام عليك وعلى كل سورية متعلمة متهذبة تعمل جهدها لترقية جنسها وخير أمتها .

# الآنسة مي زيادة

## المختار من نثرها

### غاية الحياة

موضوعنا اليوم " غاية الحياة " ولا أعرف كلمة خطيرة كهذه وأكثر تفلتاً من حدود التعريف . أن لفظة " الحياة في معناها التام تشمل الكون بأسره مما يرى وما لا يرى، وهي ذلك التيار الخفي النافذ في كل شيء، المحيط بكل كائن، وقد حوى من الاقتدار والجبروت ما ألقى في روعنا أنه من روح الله، كائناً نحسب الحياة نسمات نور وإنعاش منطلقة من صدر تلك القوة الكبرى التي نسبح جميعاً في بحار جودها ونسميها " الله " .

فإذا شمل معنى الحياة جميع الموجودات فأنى لنا تعيين غايتها، من ذا الذي يجرأ على تعيين غاية الفلك في دورته، والنجوم في سيرها، والمذنبات في تكونها، والشموس في تشعل واحتراقها، والنيازك في تساقطها على الأرض حجاراً سوداء، من ذا الذي استشف من البحار غاية المد و والجزر ومن القمر غاية الاكتمال والانتقاص، ومن النوع البشري غاية مدنياته وأديانه وأنظمة وكل ما يتقلب عليه من الأطوار، كيف نتحرى غاية الربيع بحلوله بعد الشتاء، فيتبعه الصيف المتلظي الذي لا يلبث أن يزول أمام الخريف الحزين، وما غاية الغصن في تمايله وتجرده وإيراقه، وغاية البذور في النمو والإنتاج والذبول، نحن نعرف الأسباب الطبيعية في الخليقة وما يترتب عليها من النتائج، ولكن لماذا تعمل تلك الأسباب، وما غاية تلك النتائج، وإلى أين يقودنا هذا الوجود وهذا الفناء ؟ لغز رائع لا يحله الإنسان مهما ارتقى علماً وفضلاً وإخلاصاً .

والإنسان الذي هو جزء من هذا الوجود غير المدرك أكثر ما يستعمل كلمة " حياة " ليعني كمية أيامه على الأرض ومجموع أعماله، وكمية أيام كائنات أحاطت به وقد امتاز عنها جميعاً بما أوتي من ادارك وحرية فالجماد مثلا لا يتحرك إلا مرغماً بفعل العناصر كالأعاصير والرياح تقتلع الصخور، والأمطار تنحتها وتفتتها، أو بعامل آلي كالديناميت يدمر الآكام ويصعق الراسيات والنبات، وان تحرك مع النسيم ونشر شذاه في الهواء وكان له إحساسه الخاص كبعض النباتات التي تنكمش إذا ما لمست، إلا أن أصوله تظل أسيرة أرض تغذيها والحيوان ينتقل من مكان بدافع الرغبة وبإيعاز الإدراك الذي لديه منه كمية ما، ولكن للإنسان وحده قوة التميز والمقارنة والاستنتاج والإبداع في أتم أنواعها الممكنة له وحده حرية الانتقال من جهة، والتفكير فيما شاء، وتنفيذ ما أراد له وحده أن يتصرف بالموجودات التي يعقلها ويعالجها ويستخدمها لحاجته، وهي تعنو له صاغرة لأنها لا تعلقه وتبقى دونه مهارة ومقاومة، وأن جمحت يوماً وفتكت به ساعة غضب عنجهي، فتلك طوارئ عاديات كالصواعق والفيضان والطوفان والأوبئة التي لا تدوم غير وقت ما، ولسرعان ما يهب لمقاتلتها واختراع ما يمكنه منها ويقيه شرها، ولئن خنعت الموجودات إلى النظام الكلي الذي يسيرها قهراً فعاشت عيشتها الصخرية العشبية وأدت وظيفتها المعينة جاهلة صاغرة، فإن الإنسان – وفي ذلك ميزته وفخره – لا يكتفي بتلك العيشة الابتدائية العنصرية ولا يعيشها مرغما بل سعيداً، مدبراً مختاراً، وهو فوق ذلك يخلق لنفسه غايات قومية وسياسية وفكرية وقلبية جمة، تتسابق إلى تحقيق غاية قصوى يوجه نحوها مجهوداته، ويجمع أعماله في شبه قناة حيوية تنتهي إلى تلك الغاية البعيدة تلك الغاية المحبوبة التي يخالها تناديه وقد اتخذها كعبة آماله .

عند هذه الكلمة " كعبة الآمال " المرادفة لموضوعنا ( غاية الحياة ) يقف

كل قلب ويزفر زفرة حارة إذ يتساءل ( وما غايتي من الحياة ؟ أأعرفها أنا وهل تشعر هي أو تبالي بوجودي ؟ ما هي يا ترى أثروةأبتغي حشدها ؟ أم قدرة، أم حال أنعم فيها بجميع أسباب الهناء وأتذوق خلالها لذائذ الفوز والسيطرة، أهي علم لا أفتأ أذهب في غوره ليكشف لعاقلي حجب الحياة وأسرارها ؟ أهي أرهف ملكاتي الذهنية والنفسية إرهافاً يرفعني أقراني ويجعلني موضوع إعجابهم أهي تقوى تدنيني من خالقي وتظمئن بها نفسي ؟ أهي شخص أيقظ في حياة الوجدان العجيبة وتمثلت لي في ذاته صفات الألوهية المعبودة حتى صرت أستهين لأجله بكل عزيز وأجازف بكل مكنون ؟ وأين أنا الآن من صالتي المنشودة ؟ ماذا أكسبني جهاد الأعوام الغابرات، وإلى أين أوصلني ذلك الجهاد الطويل ؟ ماذا جنيت من الكد والتجلد والرجاء ؟ وبعد دموع أرسلتها وأخرى أمسكتها وزفرات أطلقتها وأخرى كتمتها ؟ أراض أنا عن نفسي وعن غيري أم أنا كلما خطوت خطوة إلى الأمام تقهقرت إلى الوراء خطوتين ؟ أم أنا كنت أعلل النفس بشيء فلما ثار لي وجدته شيئاً آخر أم أن ما كان يبدو لي حقيقة محبوسة إنما هو خداع فتان كلما جريت نحوه ملتمسا ودنوت منه مستعطفاً ارتد وتباعد كما يرتد ويتباعد السراب في الصحراء وعدت أنا إلى عذاب محتوم واصطبار جميل ؟ غايتي من الحياة السعادة . فهل أنا سعيد ؟

وهنا يقف كل فتى أخرى ويزفر زفرة جديدة سعيداً كان أم شقياً، لأنه لابد لكل قلب من فراغ لا يملأ ومن حاجة لا تسد ، ولأن النفس البشرية تشبه بركة الماء مهما راقت صفحتها وتلألأ حركها قليلا تتعكر وتكفهر بماء ركد في أعماقها من الأحوال وفي أعماق كل نفس آلام ثاوية، وتذكارات جاثمة، وجراح صديدة اندمل بعضها على فساد يكفي أن تلمسها يد أو شاره لتمضها الأوجاع فتعمد إلى الاستعانة والأنين .

إن السعادة غاية الجميع أما السبيل إليها فمختلف باختلاف الطبائع، حرمها الناس طويلا فازداد شوقهم، واحتشدت في قلوبهم الكظوم والضغائن حتى لكان الإنسانية تتحرك اليوم فوق بركان ثائر، ففي كل مكان حروب وتقاتل على المنافع، ومن الغريب أن النقيضين أي يقظة الوطنية وانتشار الاشتراكية يسيران جنبا إلى جنب، والأمم جميعا إلى وجل واضطراب تنتظر من وقت إلى آخر تغير الأحوال ووقوع ما كان يرجى أو ما لم يكن ليرجى .

بيد أن الحياة العامة لا تأخذ من حياة الفرد سوى ساعات معدودات، وفي أشد حالاته تحمساً تظل حياته الداخلية على ما هي تقريباً، يطل له عوزه الذي لا يملأه الغنى العام، تظل له آلامه الجسمية والروحية يتجرع مرارتها ويحتمل من وخزها ما لا يخدره التهليل العام، ترى ما هو تأثير تلك لأفراح الوطنية الجميلة في العليل البائس، وفي المعدم الذي ليس لديه ما يسد رمق صغاره، وفي القلب الذي حوى جمرة تأكل سويداءه، وفي الصدر الذي أكتظت فيه الغموم، تلك لمحات ابتهاج تسطع ثم تترك القلب أكثر وحده وسواداً، والعليل أكثر أسفاً على أيامه المتتابعة كالإظلال.

السعادة هي الغاية، وما السعادة في حقيقتها وعلى تنوع ثورها في الأذهان سوى تطور متتابع نحو حالة تستوفى عندها جميع القوى وسائل النمو والانبساط والطهور كاملة وافية بأقل ما يمكن من المقاومة والألم، هذا إذا تعذر الخلاص منهما على الإطلاق، وهل من تطور ونمو بلا عمل ؟ لا جمود في الخليقة حيث كل مخلوق حتى ولو اختفى وراء مظاهر الموت يؤدي وظيفته ويتمم ما وجد لتتميمه، وكذلك كل خليه من خلايا الجسم تعمل لتؤدي وظيفتها، غير أن ذلك العمل الآلي ليس ليغني الفرد المفكر المريد الذي لا تكفيه الغاية العامة في الكون إنما هو يعمل عملاً خاصاً إضافياً يتفق مع غايته المختارة تتمرن عليه

مجهوداته ويمارس به قواه، تلك السعادة التي يحلم بها لابد أن يسعى إليها سعياً خصوصياً حثيثاً أربياً في تحنيه وتشعبه وتنوعه، ومع ذلك ليست كل قيمة العمل في أنه موصل إلى الغاية المقصودة، ولكن قيمته المعنوية الكبرى في كونه آله الاستقلال الفردي وخالق الاحتياج إلى الاعتماد على النفس .

وما هو الاعتماد على النفس إن لم يكن مكيف الذاتية الحرة التي تدرك أهمية احتياج الآخرين إليها وتدرك كونها مخلوقة على صورة الله ومثاله، لأن الله وهو المبدع الأعظم خلق الإنسان وأودعه قوى الإدراك والاختبار والابتكار التي لا تظهر إلا في العمل، فبهذا العمل الذي يخلقه الإنسان ويتقنه يصبح إلها صغيراً، بالعمل يكبر في ع يني نفسه وتنسجم حوله هالة الكرامة المفرزة عناصرها من داخله المتشبع ثقة بكفاءته وإقدامه، بالعمل يرفع رأسه الذي أحناه الطلب والاستنجاد وينظر إلى الناس كأشباه لا هم فوقه ولا هم تحته بل هم أخوان يعملون في سبلهم المختلفة، وينظر إلى الحياة متفرسا في ملامحها بلا وجل لأنه تعلم في مدرسة الاعتماد على النفس أن المصائب والمحن والمعاكسات الداخلية والخارجية تعجز عن النيل من قواه الجوهرية، وأن تلك الرزايا إنما هي عناصر اختبار له أن يستخرج منها دروسا قيمة ومعلومات جديدة تزيده قوة ونبلاً .

ليس النبيل من ورث نسباً ومالاً فاستخف بالناس والأشياء اتكالاً على وراثته، بل النبيل من خلق نفسه ومازال بها كل يوم يجددها بعمله ليخلف للمستقبل ثمرة مجهوداته النبيل من لا ينتظر "الظروف " و " الحظ " و " البخت " تلك الكلمات التي يتملح بها الذليل الخامل، بل ينتهز الفرص ليجعلها صفحات جليلة في كتاب عمره، وما الأيام والساعات سوى فرص ثمينة للنابه يستخرج منها العجائب .

هنا أود أن أحصر الموضوع في المرأة لأن الموضوعات النسائية تستوقفنا بوجه خاص لنبحث فيها عن نقائصنا ونعرف مواطن ضعفنا فنحاول الإصلاح ما استطعنا إليه سبيلا .

أما فيما يتعلق بضعف المرأة فأصارحكن القول بارتيابي منه في المعنى الذي يقصدون، أرسل البحث في شؤون العمران فأجد تأثير المرأة وراء كل عمل مسبباً من الحوادث ما لا تفسير له بغير كلمة نابوليون ( فتش عن المرأة ) . وأقلب صفحات التاريخ فأراها في تعاقب العصور ملكة صالحة وسياسية دقيقة ومفكرة كاتبة عاملة مصلحة لا يستهان بها وذات بسالة كبسالة أعاظم الأبطال، ذلك على رغم الجور والاستبداد، فلو أبدلناها بالرجل وعاملناه بمثل ما عاملها فحرمناه النور والحرية دهوراً فأي صورة هزلية يا ترى يبقى لنا من ذياك الصنديد المغوار .

على المرأة أن تكون جميلة أنيقة دمثة لينة متعلمة قوية الجسم والنفس ماضية العزيمة، عليها أن تصون ذاتيتها الفردية، بينما هي تصطبغ بصبغة محيطها وتراعي ميوله لنحفظ توازن السرور والانشراح في البيت الذي يحبها وتحبه، عليها أن تأتي بالأولاد وتتعهدهم جسماً وعقلاً وروحاً، عليها أن تحافظ على وفاق الأسرة وسلامها وأن تنشئ علاقات تآلف بين أسرتها وأسر الأصحاب والمعارف وغيرهم ممن تدينها منهم المصلحة أو أي شأن من الشؤون، فكأنها بذلك وزيرة داخلية ووزيرة خارجية ووزيرة معارف ووزيرة مواصلات ووزيرة مستعمرات الخ، هذه الأعمال التي توزع على نخبة من أفضل رجال الأمة وأقواهم تلقى جميعا على عاتق امرأة واحدة تقوم بإتقانها على قدر المستطاع ثم يعودون فيقولون أنها " ضعيفة " .

صدقوا هي ضعيفة، ولكن إزاء نفسها الفائضة بالعواطف الرجراجة

الصاخبة المستعمرة، ضعيفة بأعصابها الدقيقة السريعة التأثر وباستعدادها لتشرب الألم واستيعابه إلى درجة لا يتصورها من لم يكن امرأة، وإنما هو هذا الضعف الذي تجعلها أحيانا أكثر عدواً من الرجل إذ تتناوبها هبات ووثبات تندفع بها كمن يريد التكفير عن قعود مضى أو كمن يخشى عجزاً آتياً، في حين أن الرجل يظل منظم السير واسع الخطى كأنه واثق من توفر القدرة والنشاط لديه على الدوام، وأن التمست غاية استعملت للحصول عليها فناً وحذقاً ليس هو حذق الرجل ولا هو فنه، وكل ذلك ناتج عن تراكم آلامها الوراثية وعن توحد الغاية في الأجيال النسائية الخالية التي لم تكن تبغي غير الحب والزواج والعائلة، فإن كانت هذه غايتها اليوم انطلقت إليها بقوة ساقت ملايين ملايين النساء منذ أن وجد النوع البشري، لا تبالي أصادفت وعراً أم اصطدمت بصخر، وأن تغايرت الغاية سبقت بذات القوة يزكيها التوق إلى المجهول ولذة الاختلاف والرغبة في النجاح، فتتفوق في عملها، إن شراً فهي السفاحة ماري تيودور أو هي ريا وسكينة بطلتا فظائع الإسكندرية، وإن رأفة فهي الأم المفادية والشقيقة العاكفة على فراش المريض تصد عنه الموت وتجلب إليه العافية وإن حماسة وفخراً فهي جان دارك ومدموازيلبوستافويتوف البولونية، أو هي المرأة المصرية تجول الأحياء مرصعه هواء بلادها بالأعلام الخافقات، وتهتف بما يستفز الدموع ويستنهض الهمم ويفهم الرجال شباناً وشيوخاً قيمة الأوطان وعز الأوطان وحرمة الأوطان .

ليست الصعوبة في المجاهدة لنيل غاية عزيزة وإنما الصعوبة الموجعة على الرجل والمرأة معاً في عدم وجود الغاية، أوجع شيء للمرأة أن تكون مبهمة المطالب والمستقبل أمامها صفحة خاوية خالية ليس فيها بارقة أمل ولا كلمة عزاء، كثيرات هن التعبات اللاتي وقعن فريسة ذلك الشلل المعنوي مولد المجازفة

والانحطاط الذي يدعى السآمة فيجرين هنا وهناك هرباً منه مخاطرات بما وجب صونه، ناسيات ما عليهن أن يذكرنه، ومنهن من لا تطيق البقاء يوما واحداً بلا زيارات واستقبالات وأحاديث جارات وخالات وعمات كأنها تخاف الاختلاء ومقابلة نفسها وجها لوجه فتفقد بذلك أعظم تعزية وأعظم أمثولة في الحياة، وأن أحسنت القراءة دفنت سآمتها في الروايات دون أن تفقه ما فيها من مغزى اجتماعي أو أخلاقي، مكتفية بتتبع الصلة الغرامية والاستسلام إلى ما بيديه أبطال الرواية من انفعال اصطناعي مضخم جاهلة أنها بتطلب ذلك التحريض القهري تطفئ نور ذهنها وتضعف من نفسها جميع القوى حتى قوة الحب الذي ينتقم من مهينيه ومزيفيه انتقاماً صارماً .

ما أعظم الحب وإشرافه في القلب المتصبر الحكيم، هو أقدر عامل ينهض بالإنسانية مسهلا طريقها مخففا أثقالها خالقاً من أبنائها الأبطال والجبابرة وأجمل الأرواح وأكبر القلوب وأنبل النفوس إنما هي تلك التي يظل فيها نهر الحب دائم الفيضان وتظل تبعث شمسها الداخلية إلى ما وراء الفرد والبيت والوطن، فتمتد على كل شيء وتضيء كل شيء الذي يحب كثيراً لأن الحب أستاذ ساحر نتعلم منه بسرعة ويفتح لنا رحب الآفاق يهمم فيها صوته المحيى الذي لا تسكته أصوات الأفراح والأحزان .

ولكن كم نصغره ونحتقره عند ما نحصره في الموضوع الواحد الذي تدور حوله الروايات والأشعار الغزلية وننسى انه الرابطة الكبرى . كدت أقول الرابطة والوحيدة، بين أجزاء الكون وبين الإنسان والموجودات، وأنه هو وحده دواء السآمة الناجح وبلسم التعزية الفعال .

وكيف نتناول ذلك الدواء ونتغذى بذلك القوت الإلهي السبيل واحد لا ثاني له، وهو العمل، العمل الذي ينير العقل ويفتح القلب، ويملأ الوقت ويحبو

الحياة طعماً لذيذاً ويروح النفي الواجمة، ويرضى الطباع الساخطة، ويصرف العواطف المتلازبة في منافذ ومخارج حسنة العائدة على المرأة الواحدة وعلى من يلوذ بها، فلتعمل المرأة أي عمل ينتظر يداً تقوم به وكل عمل تشعر من نفسها بميل جدي إليه، وسواء كانت مشتغلة لتعيش أو لتلهو، لا فرق بين نوع العمل من علم وفن وخياطة وتطريز وتدبير منزل أو بيع في المخازن، فالأمر الجوهري هو الاجتهاد ووضع قلبها وفكرها في ما تعمله لتتقنه وتكبر به مهما كان صغيراً حقيراً، ولكن لفظة الحقارة لا تصلح لمعنى العمل لأن كل عمل شريف في ذاته .

وليس منظف الشوارع بين الغبار والأقذار بأقل أهمية من الرجل العظيم في قصره بين التهليل والإكبار، ولا هو أقل نفعاً لامته وللإنسانية .

إذا أحبت المرأة ذاتها حباً رشيداً كانت لنفسها أبا وأما وأختاً وصديقة أو مرشدة ، نمت ملكاتها بالعمل وضمنت استقلالها بكفالة عيشتها . لأن الأهل الذين تتكل عليهم قد يموتون، وللأخوة والأخوات عائلاتهم وسلبهم في الحياة، والأصدقاء يتغيرون وينسون، والثروة الطائلة قد تنقلب هباء أما هي فلا تخون ذاتها ولا تنسى ذاتها ولا تفقد ذاتها، والثروة كل الثورة في الآباء والاستقلال الفردي وتعاطي عمل ما بجد واهتمام وبراعة، والأعجوبة أن هذا العمل الذي نباشره هرباً من الملل، ورغبة في قتل الوقت، لا يلبث أن يصبح ذا شأن كبير ويعين لنا غاية عظيمة مشيراً إلى وسيلة الحصول عليها بل لا أجوبة في ذلك ما دام العمل الكبير مجموع تفاصيل صغيرة دقيقة، أليس أن الجوامع الأثرية البديعة، والمآذن الهيفاء الباذخة إنما برزت وثبتت بتناسق الحجر قرب الحجر ؟ أو ليس أن العلم الذي تتفيأ بظله أماني الأمة ورغباتها إنما نسج من خيوط واهية يكاد يكون كل منها بلا أهمية في ذاته ؟

كذلك فلتكن مجموعة أعمالنا غاية جليلة نقوم بها عاليات الحياة تحت

أكاليل العزم والجهاد، وقد اختفت من عيوننا خيالات الخضوع المسكنة، وحلت محلها نظرة من هي لم تعد عبده قلبها وهو أعظم جائر مستبد، بل نظرة من أصبحت سيدة نفسها تطيع مختارة، وتعمل مختارة بهدوء من فاز أو قدر له أن يفوز في الحياة . فتكتشف عند كل خطوة جمالاً جديداً وتفرح كل يوم كأنها خلقت خلقاً جديداً .

## فردوس توفيق

### مختارات من نثرها

### رحلة بين القبور .. أهم من السياسة الاشتغال بمصالحنا

أرى أفكار جميع أفراد لأمة متجهة إلى الحرب الزؤوم التي اشتعلت نارها في أوروبا وعن الحالة الحاضرة التي آلت إليها مصر من جراء الأزمة المالية التي أصابتها في ثروتها، فلا حديث للرجال والنساء في مجتمعاتهم إلا تلك الحروب وكل يضرب على وتر مخصوص ويبدي من الآراء ما عن له أن صدقاً أو كذباً حتى كثرت الأقاويل وراجت الإشاعات فعافتها الآذان ومجتها الأذواق .

أصبحوا يتحدثون ويتسامرون فيما يضرهم ولا ينفعهم مع أن السواد الأعظم منهم لا يدرى من السياسة شيئاً بل يخبط خبط عشواء، وفاتهم حفظهم الله أن من أهم الواجبات علينا الاشتعال بمصالحنا الداخلية وتقويم المعوج من أخلاقنا وعوائدنا وترك السياسة لأربابها .

بيننا يا قوم مرض عضال تفشي في أنحاء القطر بح صوت العقلاء عن اجتنابه ونهت الشريعة السمحاء عنه وأنتم عنه لاهون .

ناشدتكم الله والذمة يا قوم أن تعيروني التفاتاً فتظهروا الدين الحنيف من هذا الدنس وتقطعوا دابر هذه الجراثيم القاتلة التي تمتص دم الفضيلة .

### نظرة عامة :

قبل الخوض في هذا الموضوع يجب على أن أقارن ما عليه مقابر الإفرنج وما هي عليه مقابرنا ليظهر لك جلياً الفرق الهائل والبون الشاسع لتحكم أنهم

تقدموا عنا بمراحل وتقهقرنا إلى الوراء لأننا لم نسلك سنة الشرع الشريف .

أنا لا أكلفك أيها القارئ مشقة البحث والتنقيب في كتب الرحلات ولا التجول في عواصم البلاد الأوروباوية، بل أنتقل بك إلى مصر القديمة – فما راء كمن سمعا – حيث ترى مدافن الإفرنج يحيط بها الأسوار وتكسوها الخضرة ويعلوها الأزهار والرياحين ولها طرق منظمة على أحسن نسق، ولا أحدثك على ما هي عليه من النظافة وحسن الترتيب .

تعالى بي يرعاك الله لأريك مقابر الإسلام حيث خيمت عليها الأقذار، وتراكمت حولها الأوحال ورفرف عليها الشقاء بأجنحته السوداء .

ها يقف القلم جامداً واليراع مبهوتاً لا يستطيع أن يسطر حرفاً من تلك المخزيات التي تقطع نياط القلب ويذوب لها الفؤاد هلعاً فيقشعر بدني وترتجف يدي ويسيل الدمع أسفاً على ما وصلت إليه هذه الحالة . سر يا صاح واجعل وجهك شطر المقابر فترى كيف يراق دم الفضيلة، ويذبح العفاف وتنتهك حرمة الآداب .

أني لا ألقى الكلام على عواهنه، ولا أكيل القول جزافاً بل أحدثك بنبأها لتكون على بصيرة من أمرها .

أنا لا أحرم زيارة القبور ولكني أقصد نطقا جديرة بالاعتبار فيا حبذا لو أعارتها الحكومة بعض العناية فتكتسب من العقلاء الثناء والشكر، ومن الله عظيم الأجر، ويكون لها نصيب وافر من الإيراد يعود عليها بالمنفعة من عدة وجوه .

موضوعنا هذا ليس ابن يومه فطالما كتب فيه الكتاب ووفوه حقه من المضار التي تنجم من زيارة القبور ولكن كتابتهم كانت قاصرة على الوجهة

الدينية والعهد ليس ببعيد على هذه النشرات التي كانت توزعها نظارة الأوقاف ولم يزل يرن صداها في الآذان وها أنا أحدثكم اليوم عن مضارها من الوجهة الأدبية والصحية والمالية حديث من سبر غورها وكانت على إلمام بأحوالها — وعند جهينة الخبر اليقين —مضارها من الوجهة الأدبية :

غير خاف أن زيارة القبور لها ثلاثة مواسم، الموسم الرجبي، موسم عيد الفطر، موسم عيد الأضحى المبارك، خلاف ما يتخللها في بعض الجمع، فالأول يبتدئ من يوم الخميس ليلة الجمعة، والثاني من يوم الوقفة وثلاثة أيام العيد، والثالث من يوم الوقفة وأربعة أيام العيد .

هنا أقف بالقلم قليلاً إشفاقاً عليك أيها القارئ الكريم من أن تنتابك نوبة عصبية من جراء تلك الفظائع التي تجري من وراء ستار باسم زيارة القبور .

كنت أود أن لا أذكر تلك المساوئ ولكن للضرورة أحكام فقد رأيت أن أحارب تلك البدع التي يأتونها باسم الدين بقلمي ما استطعت إليه سبيلا .

تقوم المرأة في صباح اليوم الذي تكون فيه عازمة على الزيارة وهي على أحر من الجمر فتجهز من المأكولات أشكالاً ما لا يدخل تحت عدولا حصر وقد ارتدت بالملابس السوداء ووضعت أنواع الصبغات على وجهها .

فإن كانت غنية طلت من النافذة وهي كالعروسة ليلة عرسها ترى الرائح والغادي وتغازل الشبان الذين لا خلاق لهم غير هيابة ولا وجلة من تلك الآيات البينات التي تقرأ أمامها وعين الله بصيرة عليها .

وإن كانت فقيرة جلست على حصيرة إزاء لحدها وبجوارها ما طاب لها من المأكولات وقد رفعت النقاب من على وجهها وربما توسدت ذراعيها وافترشت الغبراء فتمزح مع كل عابر سبيل بألفاظ بذيئة يتندي لها وجه الحياء خجلاً .

وفي هذه الأيام يؤم المدافن خلق كثيرون ممن لا تهذبهم الأيام ولم يرتدعوا في الحكم فتجدهم زرافات ووحدانا، هذا يمزح مع تلك وذاك يضرب للأخرى موعد اللقاء وربما انتهزا فرصة خلو مدفن من أصحابه فيدخلان آمنين مطمئنين وعلى بابه ذاك الحارس حافظاً لها وأميناً .

ذاك الحارس لا أكلفك البحث عنه للعثور عليه فهو :

**التربي**

وهو الذي يأتي لهما ببنت الحان فيشربان هنيئاً مريئاً عملاً بما هو مسطور على السبيل الذي شيده صاحب المدفن ( الباشا أو البك ) رحمة الله .

يا وارد المـــاء الـــزلال الصـــافي          اشـــرب هنيئـــاً صـــحة وعـــوافي

وهذا قليل من كثير ولو أردت أن أحصى ما يدور هناك من الفظائع والمدام لجف المداد وجفت الأقلام واحتجت إلى مجلدات ضخام .

**مضارها من الوجهة الصحية :**

أتركها لحضرات الأطباء فهم أعلم مني بها وأظنهم لا يضنون بإبداء رأيهم في هذا الموضوع الحيوي خدمة لتلك الأمة المنكودة الحظ التي تسعى وراء حتفها .

**مضارها من الوجهة المالية :**

يكفيك أيها القارئ للإحاطة بمضارها من الوجهة المالية أن تقف على باب أي مدخل قرافة فترى العربات حاملة النساء حاوية من المأكولات أنواعاً ومن الفواكه أصنافاً كأنهن إلى الحشر مسوقات فلا تستطيع أن تخطو خطوة واحدة وأنت على قدميك من شدة الازدحام فيخيل لك أن العالم انقلب على عقبه

وقد تركت بيوتها قاعا صفصفاً عرضة للصوص واشتغال البوليس .

فمتى رأيت كل هذه المناظر المحزنة فاحكم على ما تتكبدههؤليات النسوة من المصروفات الباهظة لقضاء لباناتهن وشغفاً بحب الظهور، وولوعاً بإتيان المنكرات .

تلك المصروفات أيها القارئ الكريم تمتص دماء ثروة أزواجهن وربما عضهم الفقر بنابه من سوء هذه التصرفات الوخيمة .

فإن كانت المرأة غنية ويأتي لها المال عفواً بلا تعب فبذرت سفها فيما ينفعها ولا يفيد أموالها وتستمري هذا المرعى الخصيب فتبعثر ذات اليمين وذات الشمال .

وإن كانت فقيرة معدمة لا تملك قوت يومها رهنت ما تملك يداها من نحاس أو فراش ربما باعتها بثمن بخس للقيام بهذا الواجب ( على زعمها ) .

ها هي سجلات المحاكم الشرعية بين أيديكم فاقرؤوها تجدوها مشحونة بمنازعات استحكمت حلقاتها بين الزوجين في أيام هذه المواسم .

فإذا كان عندهن مثقال ذرة من العقل أليس الأولى بتلك النفقات التي تصرف بدون جدوى أن يدخلوها لوقت العوز والاحتياج أو تنفقها في سبيل البر والإحسان ووجوهها كثيرة .

قد أظهرت لك بعض الفصول التي يمثلها الزائرون والزائرات على مرسحالهزو والسخرية بالأموات باسم زيارة القبور ولكن فاتني أن اذكر لك بطل هذه الرواية الذي يمثل أهم فصولها وإن شئت فقل فارس هذا الميدان ولذا أعددت له فصلا خاصاً لأهميته في هذه الحوادث .

## التربي

التربي وما أدراك ما التربي ولا أطيل عليك وصفه فكيف أن تعرف أنه من سكان القرافات يعيش في تلك المفاوز بعيداً عن دماثة الأخلاق ورقة الطباع فهو شيطان في صورة إنسان بل هو جرثومة الفساد ومنبع الشرور وأصل البلاء ومحط رحال اللصوص، فكم يقترف من الذنوب والآثام وكم يرتكب من المعاصي والموبقات بعيداً عن سطوة القانون .

إذا أمعنت النظر قليلاً رأيت المأكولات المحمولة على العربات لا تدخل إلا في بطونهم عدا ما يتناولونه باسم عوائد الموسم فهم يتسترون على هذه المنكرات بل يضعون عليها حجاباً كثيفاً .

كم من باب مغلوق على فجور ومنكرات لجأ إليها أولوا الغايات لما ضاقت في وجوههم بيوت البغي وطاردهم رجال البوليس فآواهم التربي وأكرم مثواهم مقابل دراهم معدودة .

كم من مجرم أثيم فر من وجه العدالة ولاذ عندهم، كم من لصوص عاتية اختبئوا في هذه المدافن حتى إذا جن الظلام خرجوا للسلب والنهب وعاثوا في الأرض فساداً فلو رأينهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً، وكم وكموكم ..

إني لأعجب من رجال البوليس الذي يقتفي أثر الفارين ويبحث عن المجرمين وهم أمامه وبين أيديه بل هم أقرب إليه من حبل الوريد .

لماذا تكلف نظارة الداخلية نفسها النشرات الإدارية للبحث عنهم وها هاو مقرهم ومأواهم .

أين اللقطاء يا أولي الحل والعقد الذي كان يعثر عليهم البوليس في الطرف والأزقة من وقت إلى آخر بينما كانت امرأة الأمس أكثر عفافاً من امرأة اليوم .

هل أدلكم عليهم ؟ .. أم يكفيكم التلميح دون التصريح فيا أيها القابضون على زمام الأحكام، يا أيها المسيطرون علينا ويا أيها الرقباء أيرضيكم أن يكون ذلك الجيش الجرار الساكن الصحراء يأتي كل هذه الأعمال وأنتم عنه معرضون ؟ ..

أيرضيكم أن يكون جيش من العاطلين يحترفون بكل سفالة وهم خطر يهدد الأمن العام ؟ ..

هل يجوز أن يترك مثل هؤلاء الأوغاد تلك صناعتهم وأخلاقهم تنطبق عليهم لائحة المتشردين يتفنون في المعاصي فياويلهم من ربهم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يفعلون.

يحكى أنه كان في السنين الغابرة في كل بيت من بيوت الأعيان جب كالقبر وله غطاء من الحجر لدفن الأحياء فيه انتقاماً منهم وتشفياً فيه لأغراض متنوعة فلما أتت المدنية الحديثة حمت كل هذه الفظائع وعفت آثارها وفاتكم أن هنالك من شكل هذا الجب ملايين عديدة لأن المقبرة كالجب مغطاة بأحجار تسمى المجاديل فلا يفوتك يا أب الفتاة التي تتركها بدون تربية أن يفترسها أحد الأشرار ويدفنها حية .

ويا ليت المصاب وقف عند هذا الحد، يل مما يزيد الطين بلة، والطنبور نغمة أنهم إذا رأوا مقبرة تركها أهلها وعشيرتها ردحا من الزمن يعثروا عظام أمواتها وحطموا أحجارها وكسروا بنيانها وعرضوها مقبرة جديدة للبيع وقس على هذا المنوال من التحطيم والتبديل حتى أصبح أكثرهم من أصحاب الثروة الطائلة، فياويحهم من ربهم وياويحهم من عذاب أليم .

والأنكى والأضر والأدهى والأمر انه إذا دفن أحد الأغنياء وكان عليه من

الأكفان ما غلا ثمنه نبشوا قبره وخلعوا ما عليه من أثواب غالية .

ومما هو جدير بالذكر أن أكثرهم من أصحاب السوابق العديدة فإذا دخل أحدهم السجن خرج وهو على أتم وفاق مع كبار الأشقياء ليخبأ عنده إذا داهمته الحكومة بخيلها ورجالها .

فمن هذا يتبين لك جليا ما هم عليه من الفظاعة وسوء السير وأنهم يرتزقون بطرق غير مرضية .

أما آن للحكومة أن تضرب بيد من حديد على هؤلاء القوم الذين لا حيل لهم إلا التفنن في أساليب الفظائع وكلهم ينسجون على منوال واحد ويضربون على وتيرة واحدة كأنه ميراث يتوارثه الخلف عن السلف .

**خطرات أفكار**

كنت أتردد من وقت إلى آخر في إبرازها على صفحات الجرائد عسى أن تصادف قبولاً من رجال الحكومة الساهرين على مصالح الأمة فتخرجها من حيز القول إلى حيز العمل لا أريد على ذلك جزاء ولا شكوراً .

تنشأ الحكومة فرعا لها يسمى إدارة الجبانات وتبتدئ بتقسيم الجبانات إلى عدة أقسام تميزها عن بعضها بأسماء لها وعلى كل قسم سور يحيط بها وذلك بعد هدم هذه المباني حتى لا تبقى سوى القبور ظاهرة للعيان لا فرق بين غني وفقير لأن أجسام الجميع متساوية .

ولكل قسم من هذه الأقسام ناظر وكاتب وبستاني وتربي براتب شهري وعلى الجميع قلم للمراقبة والتفتيش .

ولهذا الاقتراح فوائد جمة ومزايا مهمة :

**فائدة الاقتراح من الوجهة الأدبية .**

عدم اختلاط الرجال بالنساء لأن لكل قسم من هذه الأقسام غرف للاستراحة فيخصص في أيام المواسم وكذا أيام الجمع يوم للرجال ويوم للنساء ويكون لهن نسوة خصيصات لهن فتنعكف النسوة في بيوتهن بدلا من خروجهن تحت جنح الظلام في البرد القارص ونومهن في قارعة الطريق حتى يضطر بعض الرجال إلى مغادرة بيوتهم لملازمتهن وفي هذا من الضرر ما لا يخفي على أحد وتكون قد حصرت كل هذه المدافن المبعثرة تحت سلطانها ومراقبتها فتأمن كل عائلة على قبورها إذا انقرض أفرادها من أن يبيعها التربي وكذا إذا قلت أحد من وجه العدالة فلا عاصم له يأويه من القانون فيفر قطاع الطرق واللصوص الهاربون إلى مورد رزق شريف يتعيشون منه .

ورب معترض من أصحاب الحوشان الواسعة يعترض على كلامي هذا لكثرة ما بذلوه من المصروفات عليها فأقول لهم أين حوشان من كان قبلكم ؟ .. أين المباني التي تقدمتكم ؟ .. لقد لعبت بها أيدي التربية فمحوا آثارها .

**فائدة من الوجهة الصحية :**

عدم وجود مراحيض وسط المدافن وعدم الذبيح هناك والطبخ والمبيت سواء كان للرجال أو للنساء، فلم يبق ثمت قاذورات ولا أوساخ متراكمة ولا رائحة كريهة تتصاعد .

**فائدة من الوجهة الاقتصادية :**

أشرت فيما تقدم أن جيشاً عرمرما يشتغل هناك باسم تربية يحترفون بها يتوارثها الأبناء والأحفاد عن الأجداد حتى تكاثر عددهم وقلت منفعتهم

وأصبحوا أعضاء أشلاء في الهيئة الاجتماعية فإنك تجد الرجل وأولاده وأحفاده وانسباؤه وأصهاره وأقاربه منتشرين كالجراد وقد سكنوا المدافن وجعلوها متاعاً لهم يتمتعون بمياهها ومفروشاتها وتركوا الحرف والصناعات خاوية على عروشها فأفسحوا للفلاح مجالاً فغادر بلاده وأتى للاشتغال هنا حتى غلت أجورهم على المزارعين لقلتهم .

فلو طاردت الحكومة ذلك الجيش وهولا يقل عن الأربعين ألف نسمة لزحف على المهن واشتغل بها وعاد الفالح إلى أهله يتمطى فيكثر عددهم هناك وتقل أجورهم .

### فائدته من الوجهة المالية :

لو اتبعت الحكومة تلك الفكرة واقتفت آثارها بعين الدقة والإمعان لانهال عليها خير كثير يعود عليها بإيراد وافر :

١- وضع صناديق مثل صناديق الأضرحة على كل باب فيدفع كل على مقدرته عند دفن ميته .

٢- أثمان المقابر وهي لا تتكلف على الحكومة نصف ما تباع به .

٣- الصدقات التي يتبرع المحسنون في أوقات المواسم والأعياد مثل الكعك والأقراص .

٤- خيرات الوقفيات وهي مرصودة في سجلات المحاكم الشرعية فيأكلها نظار الوقف وهم يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً .

٥- بيع المقابر التي أنقرض أصحابها بعد دفن رفات الأموات القدماء .

منكل هذه الأشياء يجتمع مبلغ وافر لا يستهان به فيوزع منه جزء على الفقراء

والمساكين وأبناء السبيل وأصحاب العاهات المستديمة احتساباً لوجه الله خيراً من أن يتركوا يتكففون فتكون الحكومة قد أحسنت صنعاً من وجهتين:

أ- صيانة كرامة الأموات .

ب- أعطاء الصدقات لمن يستحقها .

أما نفقات هذه الأعمال لا تكلفها كثيراً لان لديها من العمال العاطلين والمسجونين ما فيه الكفاية والأنقاض متوفرة لديهم من هدم القديم .

# الفهرس